

**الدلالات العقديّة
للآيات الكونية السماوية والأرضية**

د . عبد المجيد بن محمد الوعلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾^(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذه مباحث منتقاه من كتابي " الدلالات العقدية للآيات الكونية"، رأيت أفرادها لأهميتها، ومن أراد الاطلاع على المزيد فيمكنه الرجوع إلى أصل الكتاب.

وهذه المباحث هي:

الفصل الأول: الآيات الكونية السماوية ودلالاتها العقدية.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: السماء.

المبحث الثاني: الشمس.

المبحث الثالث: القمر.

المبحث الرابع: النجم.

المبحث الخامس: الرعد والبرق والصواعق.

المبحث السادس: المطر والثلج والبرد.

المبحث السابع: الريح والرياح.

الفصل الثاني: الآيات الكونية الأرضية ودلالاتها العقدية.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: حركة الأرض.

(١) الأنعام: ١.

المبحث الثاني: الجبال.

المبحث الثالث: الزلازل والخسوف والبراكين.

المبحث الرابع: البحار والأنهار.

المبحث الخامس: الليل والنهار.

المبحث السادس: الحياة والموت.

المبحث السابع: النوم.

المبحث الثامن: النبات.

المبحث التاسع: الأمراض.

أسأل الله ﷻ أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجه الكريم، وصلى الله وسلم على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد المجيد بن محمد الوعلان

١٤٤٣/٤/٣

Awalaan@gmail.com

الفصل الأول

الآيات الكونية السماوية ودلالاتها العقديّة

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: السماء .

المبحث الثاني: الشمس .

المبحث الثالث: القمر .

المبحث الرابع: النجم والنوء .

المبحث الخامس: الرعد والبرق والصواعق .

المبحث السادس: المطر والثلج والبرد .

المبحث السابع: الريح والرياح .

تمهيد

الآيات الكونية السماوية هي الآيات العلوية كالسماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها.

وفي هذا الفصل أذكر الآية الكونية ومعناها وورودها في القرآن والسنة، ودلالاتها العقديّة على التوحيد بأقسامه الثلاثة - الربوبية والألوهية والأسماء والصفات - وبقية أركان الإيمان، ومسائل العقيدة.

ثم أذكر المخالفات العقديّة والأحاديث الموضوعية والضعيفة المتعلقة بهذه الآيات الكونية.

المبحث الأول: السماء

السماء في اللغة: اسم لكل ما ارتفع وعلا، وهو مأخوذ من السمو، وهو العلو، يقال: سما بصره، أي علا، وسما لي شخص: ارتفع حتى استتبته. وهي تذكر وتؤنث، وجمعها سماوات، وكل سقف فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب: السماء^(١).

وفي الاصطلاح: منطقة فضائية مرئية من الأرض، تبدو كالقبة عليها، تحتوي على الغلاف الجوي^(٢).

وقد ورد لفظ السماء في القرآن في (١٢٠) موضعاً، وبلفظ الجمع في (١٩٠) موضعاً^(٣).
وورد لفظ السماء في السنة في (١٦٣) حديثاً^(٤).
وذكر بعض المفسرين أن السماء في القرآن على خمسة أوجه^(٥):

- أحدها: السماء المعروفة. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٧).

- والثاني: السحاب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٨/٣، تهذيب اللغة: ٧٩/١٣، لسان العرب: ٢١٠٧/٣.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٩٠/١٣، والموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد غربال: ١٠١٠/٢.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي: ٤٥٩-٤٦٥.

(٤) هذا العدد حسب عدّ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة للآيات الكونية في السنة النبوية.

انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٦.

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر: ٣٥٨، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدماغاني: ٤٣٥/١، وبصائر ذوي التمييز

للفيروزابادي: ٢٦٢/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٠٥/٢.

(٦) البقرة: ٢٩.

(٧) التغابن: ٣.

رَحْمَتِهِ^٤ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١﴾.

- والثالث: المطر. ومنه قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٢).

- والرابع: سقف البيت. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَدَاكَ يُزْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾^(٣).

- والخامس: سقف الجنة وسقف النار^(٤). ومنه قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥).

(١) الفرقان: ٤٨.

(٢) هود: ٥٢، نوح: ١١.

(٣) الحج: ١٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٩٩/٩.

(٥) هود: ١٠٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - السماء-:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبيناً شأن هذه الآية الكونية: " ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخباراً عن عظمها وسعتها، وإما إقساماً بها، وإما دعاءً إلى النظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيتها ورافعها، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتتام أجزاءها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته".

ثم قال: " فكم من قسم في القرآن بما كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(١)، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾^(٢)، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾^(٣)، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(٤)،... ولم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر"^(٥).

أولاً: وجود الله:

دلت هذه الآية الكونية على وجود الله، فإن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها دليل قاطع على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدث إلى المحدث^(٦)، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾^(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٧﴾.

(١) البروج: ١.

(٢) الطارق: ١.

(٣) الشمس: ٥.

(٤) الطارق: ١١.

(٥) مفتاح دار السعادة: ٣٠٣/١-٣٠٤.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٤٥/١٦، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد للعريفي: ٢٠٩-٢٢٦.

(٧) الطور: ٣٥-٣٦.

والعناية بهذه الآية الكونية، والإتقان فيها يدل على وجود خالقها وكمال ذاته وصفاته، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٢).

ولما ذكر الله ﷻ استنكاره لمن كفر به في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣)، ذكر من الأدلة على وجوده - مع ما هو مستقر في الفطر - خلق السماوات والأرض^(٤)، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥).

ولما حصلت المجادلة بين الكفار ورسولهم في الله، قالت لهم رسولهم - ترشدهم إلى الدليل والطريق لمعرفة الله لمن حصل عنده شك أو اضطراب -: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦) أي: أي وجوده شك^(٧)، فهو الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لهما من صانع، وهو الله

(١) النمل: ٨٨.

(٢) الملك: ٣.

(٣) البقرة: ٢٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/١، وتفسير ابن كثير: ٢١٣/١.

(٥) البقرة: ٢٩.

(٦) إبراهيم: ١٠.

(٧) وهذا على أحد المعنيين في الآية. والمعنى الثاني: أي إلهيته وتفردته بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع

الموجودات. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٤.

لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه" (١).

وفي جواب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون عندما سأله عن رب العالمين وكان يجحد الصانع ويعتقد أنه لا رب سواه: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (٢) أي خالق جميع ذلك ومالكة هو رب العالمين، وهو الخالق (٣).

ثم إن الله تعالى يدعو عباده إلى التفكير في مخلوقاته - ومنها السماوات - الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه المعبود وحده (٤)، فيقول: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴾ (٥).

ثانياً: توحيد الربوبية:

بين الله عَزَّ وَجَلَّ أن النظر في ملكوت السماوات والأرض والتأمل في خلقهما يدل على وحدانيته عَزَّ وَجَلَّ في ملكه وخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه (٦)، قال تعالى: ﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٧).
وأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن له ملك السماوات ومن فيهن، ويتصرف بها كيف شاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ (٨).

(١) تفسير ابن كثير: ٤/٤٨٢.

(٢) الشعراء: ٢٤.

(٣) المرجع السابق: ٦/١٣٨.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٨/١٤، وتفسير ابن كثير: ٦/٣٠٥.

(٥) الروم: ٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٨٣، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٣/٢٩٠.

(٧) الأنعام: ٧٥.

(٨) الأنعام: ١٢.

وأنه الحاكم فيهما كما أنه المالك لهما^(١)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).
وأخبر جل وعلا أن السماء والأرض تقوم بأمره لها، وتسخيـره إياها، وأنه ممسك لها أن تقع على الأرض إلا بإذنه^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٦)، فلا يقدر على ذلك إلا الله، وهذا من أدلة ربوبيته^(٧).
وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار المشركين بالله، المكذبين لرسوله: أن الله هو رب السماوات والأرض، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾^(٨) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ^(٩)، فهو وحده الذي قهر كل شيء وغلبه. وهو المالك له المتصرف فيه، ولم ينكر ذلك المشركون^(٩)، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١٠).

وأنه سبحانه وتعالى ليس معه في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿

(١) انظر تفسير القرطبي: ٦٩/٢، وتفسير ابن كثير ٣٧٩/١.

(٢) البقرة: ١٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٦.

(٤) الروم: ٢٥.

(٥) الحج: ٦٥.

(٦) فاطر: ٤١.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٣٥٦/١٤، وتفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٨) ص: ٦٥-٦٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢١٤، وتفسير ابن كثير: ٨٠/٧.

(١٠) لقمان: ٢٥.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿٢٣﴾

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١ - الثناء على الله:

الله ﷻ يثني ويمدح نفسه ويمجدها لخلقها للسموات والأرض، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢).

ولما ذكر حُكمه في المؤمنين والكافرين وجزائهم قال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤)، فله الحمد والثناء على ربوبيته لسائر الخلائق (٤).

وعن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد» (٥).

٢ - التنزيه:

(١) سبا: ٢٢-٢٣.

(٢) فاطر: ١.

(٣) الجاثية: ٣٦-٣٧.

(٤) انظر: تفسير ابن سعدي: ٧٧٨.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع: ١/٣٦٤ برقم (٤٧٦).

أخبر الله ﷻ عن هذه الآية الكونية العظيمة أنها تسبحه وتقدسها، فقال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١).

وأن السماوات كادت تتفطر عند دعوة المشركين أن الله ولداً، فقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢) أن دعوا للرحمن ولداً أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظاماً للرب وإجلالاً؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيدِهِ، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفاء له، بل هو الأحد الصمد^(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، فكادت أن تزول منه لعظمة الله»^(٤).

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥). فمن خلق هذه السماوات وأوجدها على غير مثال سابق كيف يكون له ولد؟!^(٦).

وفي رد الله على أهل الكتاب في زعمهم أن الله ولداً^(٧) قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَابِ لِأَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ مَرَّ مِنْكُمْ فَيَكْفُرُوا بِهِنَّ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِّ وَالْكَافِرُونَ﴾^(٨) لعلهم يتفكرون.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) مريم: ٩٠ - ٩١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٥.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٠/١٦، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ١٤٢/١٠.

(٥) الأنعام: ١٠١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٧، وتفسير القرطبي: ٥٣/٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦/٢.

رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً
 أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ
 لَهُ قَدِينٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢﴾.

ففي هذه الآيات رد على النصارى ومن أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن نسب
 لله الولد، فأكذب الله جميعهم في دعواهم.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: "فمعنى الكلام: سبحان الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما في
 السموات والأرض، تشهد له جميعا بدلائنها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها
 وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه؟" (٣).

٣- العدل والحكمة:

أخبر الله ﷻ أنه خلق السماوات والأرض بالحق وللحق، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا
 لعباً، وأن ذلك بالعدل والحكمة (٤)، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكُمْ ظَنُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
 تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦﴾.

(١) النساء: ١٧١.

(٢) البقرة: ١١٦-١١٧.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٥/١، وانظر: تفسير ابن كثير: ١/١٦٦.

(٤) انظر: تفسير ابن سعدي: ٧١٢.

(٥) ص: ٢٧.

(٦) النحل: ٣.

٤- بعض أسماء الله وصفاته:

ورد في القرآن أسماءً لله وصفاتٌ مقيدةٌ بالإضافة إلى السماء^(١)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ

نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

ومن ذلك اسم الله القيوم، ومن صفاته القيم والقيام^(٣)، وقد ورد عن النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل أنه يقول: «اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن»، وفي لفظ: قيوم، وفي لفظ: قيام^(٤).

ومن ذلك أيضاً رب السماوات، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾^(٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧).

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢٠١/١، ومجموع الفتاوى: ٣٨٦/٦، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم: ٤٥.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل: ٢٢٢ برقم (١١٢٠)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه

من الليل: ١٢١٥ برقم (٦٣١٧)، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾^(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾:

١٤٢٠ برقم (٧٤٤٢)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ٥٣٢/١ برقم

(٧٦٩).

(٥) الصفات: ٤-٥.

(٦) ص: ٦٥-٦٦.

(٧) الجاثية: ٣٦.

٥- الصفات الفعلية الاختيارية لله^(١):

قد دلت هذه الآية الكونية على الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وكان ذلك بعد خلق الأرض^(٣).

وأخبر الله ﷻ أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض، وعلق ذلك بإذنه ومشيئته، فقال

تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٤) أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه^(٥).

٦- صفة القدرة:

أمر الله ﷻ بالنظر في خلق السماء، وكيف رفعت، ففيه دلالة على قدرته وعظمته،

فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾^(٦).

(١) الصفات الفعلية الاختيارية: هي الصفات التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته: مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبه، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه وإحسانه، وعدله ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز، والسنة". مجموع الفتاوى: ٢١٧/٦، ١٣٤/١٦، وانظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل: ٣/٢، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ١٣٢/١، وشرح العقيدة الواسطية للهراس: ٥٣، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلطان: ١٧٤.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢١٣/١، وتفسير ابن سعدي: ٤٨.

(٤) الحج: ٦٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥١/٥.

(٦) الغاشية: ١٧-١٨.

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾^(١).

وبين أن من آيات قدرته العظيمة خلق السماوات والأرض، فقال: ﴿ وَمَنْ آيَاتِنَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢).

كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن كمال قدرته في خلق السماوات بغير عمد^(٣) فقال: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾^(٤).

٧- صفة الغنى والقوة:

دلت هذه الآية الكونية على غنى الله وفقر العباد إليه وعجزهم وضعفهم قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٥) فهذه السماء على عظمها وسعتها وكثرة من فيها فإن الله ﷻ لا يعجزه أهلها بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه^(٦).

وأخبر الله ﷻ عن كمال غناه، وأنه غني عن إيمان الطائعين، و لا يضره كفر الكافرين، وأن له ملك السماوات والأرض^(٧)، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾^(٨).

(١) ق: ٦.

(٢) الروم: ٢٢.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة: ٣١٩/١.

(٤) لقمان: ١٠.

(٥) العنكبوت: ٢٢.

(٦) تفسير الطبري: ١٦٢/٢٠-١٦٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٧١/٦.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٤٠٩/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٣١/٢.

(٨) النساء: ١٣١.

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١) فهو الغني عما سواه، فكل شيء خلقه وملكه، وكل شيء فقير إليه^(٢).

٨- صفة الرحمة:

لما أخبر الله تعالى أنه المالك للسموات والأرض ومن فيهن، وهو الغني عن خلقه بين أنه كتب على نفسه الرحمة، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَانَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»^(٤). ففي الحديث أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ويستجيب لمن يدعو ويعطي من سائله، وهذا من رحمته عَزَّ وَجَلَّ بعباده.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا^(٥) وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء

(١) لقمان: ٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٦٥١.

(٣) الأنعام: ١٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ٥٢١/١ برقم (٧٥٨).

(٥) بضم الحاء، والمراد بها هنا: الذنب الكبير كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، وهو الحوبة أيضا مفتوحة الحاء مع إدخال الهاء. انظر: عون المعبود: ٢٧٤/١٠.

من شفائك على هذا الوجع^(١) فيبراً^(٢).

٩ - صفة العلم:

أخبر الله ﷻ عن كمال علمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة ولو كانت في هذه السماء العظيمة، والأرض الوسيعة^(٣)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

فهذا يدل على كمال صفاته سبحانه وتعالى، وسعة علمه، وأنه يعلم غيب السماوات والأرض، وما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله؛ فهو يعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ولا يخفى عليه منها شيء في الأرض ولا في السماء^(٦). كما أخبر جل وعلا أنه يعلم الأخبار الماضية عن القوم السابقين ولا يعلمها أحد غيره؛ لأنه سبحانه له غيب السماوات والأرض^(٧): ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

(١) بفتح الجيم أي المرض، أو بكسر الجيم أي المريض. انظر: عون المعبود: ٢٧٥/١٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى؟: ٤٢٧ برقم (٣٨٩٢)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول من كان به أسر: ٥٧٩ برقم (١٠٣٥)، والحاكم في مستدرکه: ٣٤٤/١، وقال: قد احتج الشيخان بجميع رواه هذا الحديث غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث، وقال الذهبي - عن زيادة -: قال البخاري وغيره منكر الحديث. والحديث حسنه ابن تيمية، انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الهراس: ١١٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٢/١.

(٤) آل عمران: ٥-٦.

(٥) يونس: ٦١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/١١، وتفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦، وتفسير ابن سعدي: ١٢١.

(٧) انظر تفسير الطبري: ٢٦٨/١٥، وتفسير ابن كثير: ١٥٠/٥.

وَالْأَرْضِ ﴿١﴾

وبين الله ﷻ سعة علمه بعلمه غيب السماوات والأرض، وأن الخلق لا يعلمون ذلك، وأنه وحده لا شريك له هو المتفرد بعلم غيب السماوات والأرض، وأن غيره عاجز عن ذلك فقال:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ بَلِ ادْرَاكَ

عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٢﴾

كما أخبر تعالى بأنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما

غاب عن العباد وما شاهدوه - (٣) فقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٥﴾

١٠ - صفة الكلام لله ﷻ :

من الأدلة التي استدل بها أهل السنة في إثبات صفة الكلام لله والرد على من زعم أن المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتين، أن الله ﷻ أخبر أن السماء تكلمت، في

قوله ﴿قَالَتَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ﴾ فأثبت الله ﷻ للسماء كلاماً. فهل يثبتون لها لسان وجوف

وشفتان؟! (٦).

(١) الكهف: ٢٦.

(٢) النمل: ٦٥ - ٦٦

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/٣٣٨.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) الحج: ٧٠.

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٢/٣٩٣، ٤/١٥٩.

١١ - نزول القرآن والشرائع من الله:

بين الله ﷻ أن هذا القرآن منزل من خلق الأرض والسموات العلى، القادر على كل شيء^(١)، فقال تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾^(٢).

فالذي أنزل هذا القرآن هو رب السماوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، قال تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾^(٣).

وقد كان أهل الكتاب يسألون النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾^(٥) فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٦) وإنما

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/١٦، تفسير ابن كثير: ٢٧٢/٥-٢٧٣.

(٢) طه: ٤.

(٣) الدخان: ٥ - ٧.

(٤) النساء: ١٥٣.

(٥) الأحقاف: ٣١.

(٦) الجن: ١-٢.

أوحى إليه قول الجن" (١).

وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» (٢).

ولما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن قيام النبي ﷺ قالت للسائل: «ألست تقرأ ﴿يَأْتِيهَا

الْمُرْمَلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة» (٣).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «أن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن، فقرأوا القرآن وعلموا من السنة» (٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» (٥).

ولما أنكر اليهود النسخ في الشرائع وأن ذلك مستحيل عقلاً، بين الله ﷻ أن له ملك السماوات والأرض، وأنه يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه الفعال لما يريد، ولا راد لحكمه، وأنه يأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وأنه ينسخ ويبدل في أحكامه التي يحكم بها بين عباده، وأن الخلق

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر: ١٥٩ برقم (٧٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: ٣٣١/١ برقم (٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قبل حجة الوداع: ٨٢١، برقم (٤٣٥١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: ٥١٢/١ برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ١٣٨٨ برقم (٧٢٧٦).

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل فاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة: ٥٥٤/١ برقم (٨٠٦).

عليهم السمع والطاعة في ذلك كله^(١)، قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢﴾.

١٢ - صفة العلو:

قد دلت هذه الآية الكونية على صفة العلو من عدة جهات:

أ- إخبار الله ﷻ عن نزول الأمر من السماء إلى الأرض، وهو يدل على علو الله، قال تعالى: ﴿ يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ ۝٣﴾، وقال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٤﴾.

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ»^(٥).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ: «أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذَكُرُ الْأَمْرَ قَضَى فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينَ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»^(٦).

وكانت زينب زوج النبي ﷺ تفخر على أزواجه تقول: «زَوْجُكَنْ أَهَالِيكَنْ، وَزَوْجُنِي اللَّهُ

(١) تفسير الطبري: ٥٥٥/١.

(٢) البقرة: ١٠٦-١٠٧.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) الطلاق: ١٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ٩٠٢ برقم (٤٧٠١).

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٨ برقم (٣٢١٠).

تعالى من فوق سبع سماوات»^(١).

ب- رفع الأعمال إلى السماء^(٢)، وهذا أيضاً يدل على علو الله، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣).

ج- محاجة الكافرين بعض الأنبياء وطلبهم على سبيل العتو والتمرد تهيئة أسباب الصعود إلى الله ﷻ عن طريق أبواب السماء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾^(٤).

وقد كان المشركون يطلبون من النبي ﷺ على سبيل التحدي والتعجيز أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وأنهم لن يؤمنوا حتى يرقى للسماء ويفعل ذلك^(٥)، قال الله تعالى مخبراً عن حالهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: ١٤١٤ برقم (٧٤٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢١، والأسماء والصفات للبيهقي: ١٠٤/٢ برقم (٦٦٧).

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) غافر: ٣٦-٣٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٠/٥.

(٦) الإسراء: ٩٠-٩٣.

د- رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء ينظر إليها ويدعو الله^(١) إشارة منه إلى علو الله تعالى. عن أبي بردة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال، أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٢).

ه- إخباره ﷺ أنه أمين من في السماء، قال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خير السماء صباحاً ومساءً»^(٣).

وقد أقر النبي ﷺ قول الجارية حينما سأها أين الله؟ قالت: في السماء، بل شهد لها بالإيمان، ففي الحديث أن النبي ﷺ سأل الجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: اعتقها فإنها مؤمنة»^(٤).

و- العروج بالنبي ﷺ إلى السماء:

فقد عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، وكلمه ربه، وسمع صريف الأقلام، وفرضت عليه الصلاة^(٥).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٥٧/٢، وتفسير ابن كثير: ٣٩١/١، ٤٥٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة: ٤ / ١٩٦١ برقم (٢٥٣١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قبل حجة الوداع: ٨٢١، برقم (٤٣٥١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته: ٣٨١/١، برقم (٥٣٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء: ٩٠، برقم (٣٤٩).

ز- الإشارة بالأصبع إلى السماء:

فقد كان ﷺ يشير بأصبعه إلى السماء ويرفعها وينكتها إلى الناس عند ذكر الله في الدعاء حال الخطبة^(١) إشارة منه إلى علو الله تعالى.

ح- رفع اليدين إلى السماء عند الدعاء:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه^(٢)، وفي خطبة عرفة رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم اشهد عليهم، اللهم اشهد عليهم»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٤)، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٥)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمة حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»^(٦).

١٣- صفة الاستواء:

حيث أخبر الله جل وعلا أن الاستواء على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض^(٧)

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: ٨٨٦/٢ برقم (١٢١٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء: ٦١٢/٢ برقم (٨٩٥).

(٣) مسند الإمام أحمد: ٤٤٥/٣٣ برقم (٢٠٣٣٦)، وقال محققه: حديث صحيح.

(٤) المؤمنون: ٥١.

(٥) البقرة: ١٧٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها: ٧٠٣/٢ برقم (١٠١٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٥/١٩، وتفسير ابن كثير: ٢٧٤/٤.

فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾^(١).

١٤ - صفة النزول:

ورد في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له»^(٢)، وفيه دليل على نزول الله سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة^(٣).

١٥ - العرش:

بين الله ﷻ أن العرش كان موجوداً عند خلق السماوات فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٥).
وأخبر ﷺ عن صفة العرش بالنسبة للسماء فقال: «إن عرشه على سمواته هكذا» وقال بأصابعه مثل القبة عليه، فالعرش فوق السماوات وهو مثل القبة. قال ابن بشار في حديثه: "إن

(١) الفرقان: ٥٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ٥٢١/١ برقم (٧٥٨).

(٣) انظر: التهميد لابن عبد البر: ١٢٨/٧، واجتماع الجيوش الإسلامية: ١٤٣.

(٤) هود: ٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: ٢٠٤٤/٤ برقم (٢٦٥٣).

الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته" (١).

١٦ - عظم الكرسي:

وفي بيان عظمة الكرسي أخبر الله - عز وجل - عنه أنه وسع السماوات والأرض، فقال:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٢)، وقال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ثُرس» (٣).

١٧ - صفة اليمين لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (٤) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية: ٥١٥ برقم (٤٧٢٦)، وقال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، وافقه عليه جماعة منهم: يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضا، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثني وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني. وقال الذهبي في كتاب العلو للعلي العظيم ٤١٣/١: "هذا حديث غريب جدا فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا". وقد قواه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية: ٥٦٩/١، ومجموع الفتاوى: ٤٣٥/١٦، وأورد ابن القيم في تهذيب السنن: ١١٧-٩٥/٧: المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وأجاب عنها ومال إلى تصحيح الحديث.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ٥٨٧/٢، وابن جرير في تفسيره: ١٥/٣. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤/١: "أول الحديث مرسل، وعن أبي ذر منقطع، وقد روى عنه من طريق أخرى موصولا". وقال الذهبي في العلو ٨٤٩/١: هذا مرسل، عبد الرحمن ضَعَف.

(٤) الزمر: ٦٧.

ملوك الأرض»^(١).

رابعاً: توحيد الألوهية:

يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وفهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآية الكونية العظيمة، وهو المتفرد بذلك: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وهذا مما يعترف به المشركون، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، فكما أنهم يعترفون بذلك فيلزمهم أن يقرروا ويعترفوا بأنه لا إله غيره.

وإذا كان هؤلاء المشركون لا يتصرفون في هذه السماوات، وليس لهم فيها شرك فلماذا يعبدون معه غيره؟^(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْزَرَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

وفي رد الله تعالى على المشركين عبادتهم لغير الله بظنهم أن هؤلاء المعبودين شفعاء ووسائط عند الله، بين ﷻ أنه يعلم ما في السماوات والأرض، وأن عبادة هؤلاء من دون الله شرك وضلال، فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبَهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة: ١٢٤٩ برقم (٦٥١٩).

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) الزخرف: ٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧، وتفسير ابن سعدي: ٧٧٩.

(٥) الأحقاف: ٤.

الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

فقرر تعالى أنه هو الذي خلق السماوات والأرض ويعلم ما فيها، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله كما قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (٢)، فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك (٣)، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ (٤).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالإلهية تفرده بخلق السماوات (٥)، قال تعالى: ﴿

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾.

وفي الاستفهام التقريري الذي يعترف به المشركون وغيرهم يبين تعالى أنه المنفرد بالخلق

فيقول: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ (٧) أي إله مع الله يعبد. فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال

(١) يونس: ١٨.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٢.

(٤) الرعد: ١٦.

(٥) تفسير القرطبي: ١٩١/٢-١٩٢.

(٦) البقرة: ٢١-٢٢.

(٧) النمل: ٦٠.

تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يحتجون على أقوامهم بخلق السماوات والأرض على وجوب إفراد الله ﷻ بالعبادة دون من سواه، قال تعالى مخبراً عن نوح ﷺ في دعوته قوهم:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (٢) منبهاً لهم على قدرة الله وعظمته في خلق

السماوات والأرض، فهو الذي يجب أن يعبد وحده ولا يشرك به أحد (٣).

وفي محاجة إبراهيم ﷺ لقومه استدل عليهم بربوبية الله الخالق للسماوات وغيرها على

وجوب إفراده بالعبادة (٤)، فقال: ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى

ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥).

ويأمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لقومه: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٦)، فيكون الجواب الفطري منهم: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ

﴾ (٧)، وفي هذا يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي

لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له (٨).

وفي خبر فتية الكهف أنهم قاموا واستدلوا على ربهم الذي يجب أن يعبد ويدعى بقولهم:

﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (٩)، فالعبادة

(١) النحل: ١٧.

(٢) نوح: ١٥.

(٣) انظر: تفسير ابن سعدي: ٨٨٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/١٧، وتفسير القرطبي: ٢٩٦/١١.

(٥) الأنبياء: ٥٦.

(٦) المؤمنون: ٨٦.

(٧) المؤمنون: ٨٦-٨٧.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٥، وتفسير ابن سعدي: ٥٥٧.

(٩) الكهف: ١٤.

لا تبغي إلا الله الذي خلق السماوات والأرض.

فكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية^(١).

١- بعض أنواع العبادة القلبية:

قد دلت هذه الآية الكونية - السماء - على بعض أنواع العبادة القلبية، ومنها:

أ- الإخلاص:

قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) أي إنما أعبد الله مخلصاً له فهو خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه^(٣).

ب- الخوف والخشية والمراقبة:

أخبر الله تعالى أنه يعلم السرائر والظواهر، وأن علمه محيط بالخلق في سائر الأحوال، وبجميع ما في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).
 "وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم"^(٥)، وأن يراقبوه في كل أحوالهم فإن علمه محيط بكل شيء في السماوات والأرض.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٦.

(٢) الأنعام: ٧٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٣.

(٤) آل عمران: ٢٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣١/٢، وانظر: تفسير ابن سعدي: ١٢٧.

ج- التوكل:

إنَّ من له ملك السماوات والأرض هو الذي يجب أن يتوكل عليه ولا يتوكل على غيره^(١)،

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ

عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

فالذي خلق السماوات والأرض هو الذي يجب أن يتوكل عليه فإنه عالم غيب السماوات

والأرض، وإليه المرجع والمآب، وله الخلق والأمر، وهو كاف من توكل عليه وأتاب إليه^(٤).

د- اليقين بالله والثوق بوعدته:

حث الله عباده المؤمنين على اليقين به وبنصره والثوق بوعدته فإن له سلطان السماوات

والأرض وملكهما^(٥)، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي

وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٧).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير

عودا عودا، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء،

(١) انظر: تفسير البغوي: ٦٠٩/١.

(٢) النساء: ١٣٢.

(٣) هود: ١٢٣.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٤/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥-٦٦/١١.

(٦) يونس: ٥٥.

(٧) التوبة: ١١٦.

حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضربه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخِر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»^(١). فأصبح قلب المؤمن مثل الصفا لا تضربه فتنة ما دامت السماوات والأرض، وهي باقية إلى أن يبدل الله الأرض والسماوات يوم القيامة، وهذا يقين المؤمن ووثوقه بوعده الله.

هـ- الإنابة:

الإنابة تكون للخالق المالك المتصرف، قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ﴾ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢﴾ أي فاطر السماوات والأرض هو ربي الذي أتوكل عليه، وأنيب إليه، وأفوض أمري إليه^(٣).

والمقصود أن هذه الآية العظيمة من دلائل توحيده، "فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات"^(٤).

٢- القسم:

قد أكثر الله ﷻ من الإقسام بالسماء في كتابه الكريم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجلين: ١٢٨/١ برقم (١٤٨).

(٢) الشورى: ١٠-١١.

(٣) تفسير الطبري: ١٦/٢٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٩٣/٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٤.

الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره" ...

ثم قال: "والمقصود أنه سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدايته" (١).

ويقسم بها على أن القيامة حق، وعلى البعث والجزاء كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ﴾ (٢) فاقسم الله ﷻ بنفسه وربه وربه للسماء على أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء أنه حق لا مرية فيه (٣). وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا أقسم قال: «أنشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض» (٤).

٣- التوسل:

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٥)، فيوسف الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعا ربه ﷻ لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منَّ الله به عليه من النبوة والملك، وسأل ربه ﷻ متوسلاً إليه بربوبيته وخلق هذه المخلوقات العظيمة - والتي منها السماوات - أن يتوفه مسلماً، وأن يلحقه بالصالحين (٦). وكان من دعائه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا قام من الليل في افتتاح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (٧).

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٠٣/١-٣٠٤، وانظر: إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي: ٩، ٤١.

(٢) الذاريات: ٢٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٤١/١٧، وتفسير ابن كثير: ٤٢٠/٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة: ١٢٨٥ برقم (٦٧٢٨).

(٥) يوسف: ١٠١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/١٣، وتفسير القرطبي: ٢٧٠/٩.

(٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب دعاء النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ودعائه بالليل: ٥٣٤/١ برقم (٧٧٠).

خامساً: الإيمان بالغيب:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢)، "فالله ﷻ يبين سعة علمه وكمال قدرته في ملكه وعلمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بذلك، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله تعالى على ما يشاء"^(٣).

وأن العبيد لم يشهدوا خلق السماوات والأرض، ولا يعلمون الغيب، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٤). فهو سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في السماوات، وكذلك لا يخفى عليه ما في القلوب من الإيمان والنفاق وغير ذلك^(٥)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعْلَمُوكَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦).

سادساً: الإيمان بالملائكة:

قال الله تعالى مبيناً أن الملائكة في السماء: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٧)، وقال

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الزخرف: ٨٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٨٩/٤.

(٤) الكهف: ٥١.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٢١٤/٤، وتفسير ابن سعدي: ٨٠٢.

(٦) الحجرات: ١٦.

(٧) النجم: ٢٦.

تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» (٢).

وأن لكل سماء مقربوها من الملائكة كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: «فيشيعة من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة» (٣).
وأن لكل سماء خازن كما جاء في حديث الإسراء: «قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: افتح... ثم قال: «حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح» (٤).

وأنهم من جنود الله في السماوات: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ (٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ - في غزوة بدر - يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه؛ إذ سمع ضربه بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط

(١) الإسراء: ٩٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٧ برقم (٣٢٠٩).

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: ٥١٧ برقم (٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد: ٤٩٩/٣٠ برقم (١٨٥٣٤)، قال البيهقي في شعب الإيمان ٣١٩/٢: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن مندة

في كتاب الإيمان ٩٦٥/٢: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٦ برقم (٣٢٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١/١٤٨ برقم (١٦٣).

(٥) يس: ٢٨.

(٦) آل عمران: ١٢٤.

فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك مدد السماء الثالثة»^(١).

وأن عددهم في السماء كثير، ولا يعلمه إلا الله ﷻ كما جاء في حديث الإسراء - بعد مجاوزته إلى السماء السابعة-: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»^(٢).

وأن السماء تنط^(٣) منهم فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء، وحق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومملك واضع جبهته ساجداً لله»^(٤).

وأن من أعمالهم النزول بالوحي من السماء^(٥)، قال تعالى: ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾^(٦).

وأنهم يصعدون بأعمال العباد وأرواحهم إلى السماء^(٧)، قال تعالى: ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(٨). وفي حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يصعدون بها - أي روح الميت-، فلا يمرون - يعني بها-

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم: ١٣٨٣/٣ برقم (١٧٦٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ١٤٨/١-١٤٩ برقم (١٦٤، ١٦٣).

(٣) الأظيط: صوت الأقتاب، والقنط: صوت الرجل. وأظيط الإبل: أصواتها وحنينها. أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أظت. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٥٤/١.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً: ٣٨٢ برقم (٢٣١٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه، والإمام أحمد في مسنده: ٤٠٥/٣٥ برقم (٢١٥١٦)، وقال

المحقق: حسن لغيره. وانظر: السلسلة الصحيحة الأحاديث رقم: ٨٥٢، ١٠٦٠، ١٧٢٢، ٣١٩٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٤.

(٦) الحجر: ٨.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٨٦/١٤-٨٧، وتفسير ابن كثير: ٣٥٩/٦.

(٨) السجدة: ٥.

على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة»^(١).

وأن الملائكة شهداء الله في السماء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مروا بجنادة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنثوا عليها خيراً، فقال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبت، ثم مروا بجنادة أخرى فأنثوا عليها شراً، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وجبت، قالوا: يا رسول الله، قولك الأولى والأخرى: وجبت، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض»^(٢).

سابعاً: الإيمان بالكتب:

أخبر الله بَرَزَ لَهُ عن نزول الكتب من السماء فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾^(٤)، بل إن أهل الكتاب كانوا يعلمون ذلك، وقد طلبوا من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكتوبة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٥)، فدل هذا على معرفة أهل الكتاب بأن الكتب تنزل من عند الله من السماء^(٦).

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: ٥١٧ برقم (٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد: ٤٩٩/٣٠ برقم (١٨٥٣٤)، قال البيهقي في شعب الإيمان ٣/٢: ٣١٩: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن مندة في كتاب الإيمان، ٢/٩٦٥: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الثناء: ٢١٩ برقم (١٩٣٣)، وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في أحكام الجنائز وبدعها: ٤٤.

(٣) البقرة: ١٧٦.

(٤) النساء: ١٠٥، الزمر: ٢.

(٥) النساء: ١٥٣.

(٦) انظر تفسير القرطبي: ٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٤٦/٢.

وكذلك قال كفار قريش^(١): ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا
 ١٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا عَيْنٌ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ سَاقِطًا ۗ أَوْ تَكُونَ لَكَ
 السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا لِسَافًا ۗ أَوْ تَأْتِي بِلِقَاءِ رَبِّكَ فَتَكُونَ مِنَ الْخَالِقِينَ ۗ أَوْ تَكُونَ لَكَ
 مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدًا تَذَكَّرُوهَا ۗ قُلْ سُبْحَانَ
 رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۗ ۝ (٢) .

ثامنًا: الإيمان بالرسول:

كان مما يستدل به النبي ﷺ على أنه رسول الله، وعلى وجوب إفراد الله بالعبادة قوله أن
 الذي أرسلني هو خالق كل شيء - ومن ذلك السماوات - وربّه ومليكه، الذي بيده الملك
 والإحياء والإماتة، وله الحكم^(٣)، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
 جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ ۝ (٤) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا
 أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا
 محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: « صدق ». قال: فمن خلق
 السماء؟ قال: « الله ». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: « الله ». قال: فمن نصب هذه الجبال
 وجعل فيها ما جعل؟ قال: « الله ». قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥/١٨٨.

(٢) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩/١٠٥، وتفسير ابن كثير: ٣/٤٩١.

(٤) الأعراف: ١٥٨.

الجبال، الله أرسلك؟ قال: « نعم »^(١).

ومن دلائل نبوته ﷺ استدلاله عليهم بعلم الله للقول في السماء والأرض، وأنه لا يمكن أن يكذب عليه، فهو سبحانه لسعة علمه يعلم ما في السماء والأرض^(٢): ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٤)، حتى أن النبي ﷺ كان يقول: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»^(٥).

وقد نبه الله على صدق رسله فيما جاءوا به بما أيدهم به من الآيات، ومنها خلقه للسموات والأرض^(٦)، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٧).

وقال موسى ﷺ لفرعون مبيناً الحجة على رسالته، وأن هذه الحجج لا تكون إلا من رب السماوات والأرض^(٨): ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مُشْبُورًا ﴾^(٩).

وفي حديث الإسراء بين ﷺ أنه عرج به إلى السماء، ووجد فيها الأنبياء: آدم، ويحيى،

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام: ٤١/١ برقم (١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٥.

(٣) الأنبياء: ٤.

(٤) العنكبوت: ٥٢.

(٥) سبق: تخريجه: ١٩٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٩.

(٧) الأعراف: ١٨٥.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ٣٣٧/١٠، وتفسير ابن كثير: ١٢٤/٥.

(٩) الإسراء: ١٠٢.

ويوسف، وإدريس، وهارون، وعيسى، وموسى، وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين^(١).
ومن الإيمان بالرسول الإيمان بما جاءوا به، وأنه من عند الله، وقد نزل من السماء إلى الأرض،
فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه كان يحدث: «أن رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني
أرى الليلة ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقل،
وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به من بعدك فعلا،
ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا، قال أبو بكر: يا
رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فلاعبرنهما، قال رسول الله ﷺ: اعبرها، قال أبو بكر: أما
الظلة فظلة الإسلام، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حللته ولينه، وأما ما يتكفف
الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق
الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل
من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول
الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال رسول الله ﷺ: أصبت بعضا، وأخطأت بعضا، قال:
فوالله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ قال: لا تقسم»^(٢).

تاسعاً: الإيمان باليوم الآخر:

أقسم الله ﷻ بربوبيته للسماء والأرض على أن ما وعد" به من أمر القيامة والبعث والجزاء،
كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون"^(٣)،
قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾^(٤).
واستدل الله ﷻ على البعث وإعادة الأجساد بقدرته في خلق السماوات والأرض، فقال:

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ١٤٨/١-١٤٩ برقم (١٦٣، ١٦٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا: ١٧٧٧/٤ برقم (٢٢٦٩).

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٧.

(٤) الذاريات: ٢٣.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ إِن نَّشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾^(١)، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "أي إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاء إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطولها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام"^(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣)، فمن قدر على خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأخرى^(٤).

وأخبر الله ﷻ أن السماء تطوى يوم القيامة فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»^(٦).

وأخبر سبحانه أنه سيجازي كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فهو مالك السماوات والأرض الغني عما سواه^(٧)، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ

(١) سبأ: ٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٦، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٧٥٠.

(٣) الأحقاف: ٣٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٦، وتفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(٥) الزمر: ٦٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله يوم القيامة: ١٢٤٩ برقم (٦٥٢١).

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١٠٥/١٧، وتفسير ابن كثير: ٤٦٠/٧.

أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿١﴾.

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وقد بين الله ﷻ صفة الجنة وأن عرضها عرض السماوات والأرض، فقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣).

وقد دعا النبي ﷺ هرقل إلى الجنة، ووصف له عرضها بأنه كعرض السماوات والأرض (٤). وفي غزوة بدر قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم» (٥).

وأن الجنة درجات، وما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها على يا رسول الله، ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله» (٦).

(١) النجم: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٤٤٢/٣ برقم (١٥٦٩٣)، ومسند أبي يعلى: ٧٠/٣ برقم (١٥٩٧). قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٧٧/٧: "هذا حديث غريب تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به".

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب باب ثبوت الجنة للشهيد: ١٥٠٩/٣ برقم (١٩٠١).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات: ٣٧/٦ برقم (٤٩٨٧).

عاشراً: الإيمان بالقدر:

القدر أربعة مراتب: العلم، والكتابة، والمشئمة، والخلق^(١). وأخبر الله ﷻ أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٢).

وأنه قدر المقادير وكتبها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٣).

كما بين سبحانه أن الأمور لا تقع إلا بإذنه ومشئته ومن ذلك وقوع السماء على الأرض فقال تعالى: ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٤) أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه^(٥).

ولما يذكر الله ﷻ خلق السماوات والأرض وأنه هو المتصرف فيها بين أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء^(٦)، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٧).

(١) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠٥.

(٢) هود: ٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: ٢٠٤٤/٤ برقم (٢٦٥٣).

(٤) الحج: ٦٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥١/٥، وانظر: تفسير القرطبي: ٩٣/١٢.

(٦) المرجع السابق: ٢١٦/٧، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٧٦٢.

(٧) الشورى: ٤٩-٥٠.

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»^(١)، فمن فعل الأسباب الشرعية والحسية التي أمر الله بها؛ فلن يضره شيء في الأرض ولا في السماء إلا بإذن الله.

الحادي عشر: منهج الاستدلال:

١ - الاستدلال بالعقل:

من منهج القرآن الاستدلال بالعقل في إثبات توحيد الربوبية والألوهية مستدلاً في ذلك بخلق السماوات، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾^(٢).

٢ - التصديق والتسليم:

لما كان خلق السماوات من الأمور الغيبية كان الواجب على المسلم الإيمان بذلك والتصديق به، وعدم الخوض فيما لا علم له به، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٣): "لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفرتم تكذيبكم بها"^(٤)، ومعناه أن هذه الأمور قد لا تدركه عقول بعض الناس فيكذب بها، فالواجب التسليم للنصوص والتصديق

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح: ٥٤٩ برقم (٥٠٨٨)، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى: ٥٣٦ برقم (٣٣٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني: ٩٥٨/٣.

(٢) الطور: ٣٥-٣٦.

(٣) الطلاق: ١٢.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره: ١٧٢/٢٨. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٥٦/٨.

بها .

٣- ضرب الأمثلة:

من منهج القرآن ضرب الأمثلة مستخدماً في ذلك السماء لبيان حال المشركين وظلالهم وبعدهم عن الهدى، قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ^٤ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَظَفُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(١).

وضرب الله مثلاً لقلب الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصول الإيمان إليه كمن يصعد في السماء، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ^٥ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا^٦ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ^٧ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، "فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه"^(٣).

الثاني عشر: الوعد والوعيد:

لما ذكر الله ﷻ وجوب إتباع الرسول ﷺ، ووبخ وهدد أهل الكتاب على عدم إتباعه بقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ^٨ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤)، بين سبب ذلك فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^٩ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) أي هو مالك كل شيء، والقادر على كل شيء فلا

(١) الحج: ٣١.

(٢) الأنعام: ١٢٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٨.

(٤) آل عمران: ١٨٨.

(٥) آل عمران: ١٨٩.

يعجزه شيء، فهابوه ولا تحالفوه، واحذروا نعمته وغضبه، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه" (١).

وأخبر الله ﷻ أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء (٢)، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

وكان المشركون يسألون رسولهم العذاب من السماء، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤﴾، أي: جانباً من السماء، أو عذاباً من السماء (٥).

وقال تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٦).
وبين ﷺ أن الذنوب ولو عظمت وبلغت السماء فإن الله ﷻ يغفرها ولا يبالي، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم» (٧).

وبين كذلك عقوبة من تكلم بكلمة من سخط الله، وأنه ليقع منها أبعد من السماء، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً إلا ليضحك

(١) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٢، وانظر: تفسير: الطبري: ٩٣/٢٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٧، وتفسير ابن سعدي: ٧٩٢.

(٣) الفتح: ١٤.

(٤) الشعراء: ١٨٦-١٨٧.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٣٦/١٣.

(٦) الأنفال: ٣٢.

(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة: ٤٥٨ برقم (٤٢٤٨)، قال البوصيري في مصباح الزجاجية في زوائد

ابن ماجه: ٣٤٦/٢ برقم (١٥٢٦): "إسناده حسن"، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: ٤١٧/٢ برقم

(٣٤٢٦) "حسن صحيح".

بها القوم، وإنه ليقع منها أبعد من السماء»^(١).

الثاني عشر: الولاة والبراء:

قد جاء في النصوص أن السماء تبكي عند فقد المؤمن، وأن أبوابها تفتح له، أما الكافر فلا تبكي عليه، ولا تفتح له أبوابها^(٢)، قال تعالى عن حال الكافرين: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٣).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في بيان حال روح المؤمن عند الموت، قال صلى الله عليه وسلم: «فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملام من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله، بِسْمِ اللَّهِ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

وفي بيان حال روح الكافر قال: «وإن الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد، فانزعوا روحه، كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، وتنزع نفسه مع العروق، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله: أن لا تعرج روحه من قبلهم، فإذا عرج بروحه، قالوا: رب فلان بن فلان عبدك، قال: أرجعوه، فإني عهدت إليهم أني

(١) مسند الإمام أحمد: ٤١٣/١٧ برقم (١١٣٣١)، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٧٩/٨: رواه أحمد، وفيه أبو إسرائيل بن خليفة، وهو ضعيف. وأصله عند البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان: ١٢٤٢ برقم (٦٤٧٧)، ولفظه: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق".

(٢) انظر: كتاب العظمة: ١٧١٤/٥، وتفسير البغوي: ١١٦/٤، وتفسير القرطبي: ١٣٩/١٦، وتفسير ابن كثير:

.٢٥٣/٧

(٣) الدخان: ٢٩.

منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى»^(١).

الثالث عشر: الإيمان بالجن:

كانت الجن تتخذ المقاعد في السماء الدنيا تسترق السمع من السماء^(٢)، ولما بعث الله محمداً ﷺ منعت من ذلك، ولهذا قال الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۗ﴾^(٣) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ۗ^(٣).

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: ٥١٧ برقم (٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد:

٤٩٩/٣٠ برقم (١٨٥٣٤)، قال البيهقي في شعب الإيمان ٣١٩/٢: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن مندة

في كتاب الإيمان، ٩٦٥/٢: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٨.

(٣) الجن: ٨-٩.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - السماء -:

أولاً: إنكار وجود السماوات:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار وجودها، وأن المراد بها الأفلاك أو الأجرام العلوية^(١)، وأن سعة الجو غير متناهية، وأن الكون "لا زال يتوسع حتى الآن"^(٢)، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٣)، ومعنى هذا عندهم نفي وجود السماوات السبع^(٤).

وهذا القول هو قول متأخري الفلاسفة "فلا سماء عندهم بل الأجرام العلوية قائمة بالجازبية؛ فإن الشمس وسائر الكواكب السيارات عليها بل وجميع الثوابت ليست مركوزة في جسم من الأجسام"^(٥).

والحق الذي تدل عليه الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة "أن هذا الفضاء الذي نحن فيه يبتدي من الأرض، وينتهي إلى السماء الدنيا"^(٦).

"والرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أخبروا بوجود السماوات، وهذا خاتمهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذكر ما ذكر مما رأى في معراجه في السماوات واستفتاحه لها بواسطة جبريل، كل ذلك يبطل تأويل من أول"^(٧).

وقد أخبر الله يَرْزُقُكَ عن هذه السماء وأنها مبنية فقال: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَّاها

(١) انظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمية البرهان: ١٩، ونقض النظريات الكونية: ١٢٧-١٢٩.

(٢) أسرار الكون بين العلم والقرآن عبد الدائم الكحيل: ٣٠، وانظر: توحيد الخالق لعبدالمجيد الزنداني: ٢٨٠.

(٣) الذاريات: ٤٧.

(٤) وينبغي أن يلاحظ أنهم حين يذكرون السماء في الكون الأعلى فهم يريدون بها الفضاء، والنجوم، والمجرات. انظر:

الموسوعة الفلكية: ٢٢١، ٤٠٩، ونقض النظريات الكونية: ٤١.

(٥) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمية البرهان: ٢٥.

(٦) الصواعق الشديدة: ١٢٤، ١٥٢، وانظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة: ٤٠.

(٧) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمية البرهان: ٢٦.

﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿١﴾.

ومما يدل على وجود السماء " أن الله ذكر للسماء أحوالاً وأوصافاً لا يصح انطباقها على الفضاء، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٢)، وهذا يكون يوم القيامة والفضاء لا يوصف بالانشقاق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾^(٣)، يعني يوم القيامة، فلولا أنها بناء لما وصفها بالانشقاق....
وفي مواضع يذكر الرب ﷻ السماء والأرض وما بينهما، فلولا أن للفضاء نهاية، وللسماء جرماً لما قال الرب: وما بينهما"^(٤).

ثانياً: إنكار عدد السماوات السبع:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار عدد السماوات السبع، وأن المراد "بالسماوات السبع التي يرد ذكرها في كثير من الآيات هي على أرجح الأقوال الكواكب السبع السيارة المعروفة"^(٥).

يقول الدكتور محمد جمال الفندي: " الغالب (والله أعلم) أنها - أي السماوات السبع - تحديد للنوع وليس للكم. وما السماوات السبع التي ترتفع فوق رؤوسنا سوى:

- ١ - الغلاف الجوي.
- ٢ - الشهب.
- ٣ - النيازك.
- ٤ - القمر.

(١) النازعات: ٢٧-٢٨.

(٢) الانشقاق: ١.

(٣) الفرقان: ٢٥.

(٤) هداية الحيران في مسألة الدوران لعبد الكريم الحميد: ٣٤.

(٥) القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم: ٥٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.

٥- الكواكب السيارة.

٦- المذنبات.

٧- الشمس^(١).

وقال بعضهم أن: "الأفلاك تسعة وليست سبعة، والعدد سبعة في القرآن يراد به التعدد"^(٢).

"فلم يثبتوا من السماوات سبعا ولا أكثر من ذلك ولا أنقص، والمتشرعون منهم قالوا: المراد من السماوات السبع أصناف أجرام الكواكب، فإنهم جعلوها على سبعة أصناف في المقدار"^(٣).

وهذا الرأي لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿الْمَرْتَبَاتُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٤)، فالآية تدل على أن السماوات السبع واحدة فوق واحدة^(٥).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦)، "أي أتم خلقهن من تلك المادة الدخانية، فجعلهن سبع سماوات تامات منتظمات الخلق"^(٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾^(٨)، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: "وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس والقمر وبعض الدرارى لبعض على أنه سبع

(١) السماوات السبع، للدكتور محمد جمال الدين الفندي: ١١٣-١١٤، وانظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: ١٣٥.

(٢) انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، لموريس بوكاي: ١٦٣ وما بعدها، والكون والرؤية العلمية في القرآن والأديان السماوية الأخرى - دراسة مقارنة، لأشرف عماشة: ٤٢.

(٣) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: ٢٥-٢٦.

(٤) نوح: ١٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٥/٢٩، وتفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ٢٨٦/٦، ٢٨٧.

(٦) البقرة: ٢٩.

(٧) تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا: ٢٠٦-٢٠٧.

(٨) المؤمنون: ١٧.

سماوات، وعلى أنها سبع طرائق" (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)، فالشمس والقمر والنجوم معطوفة على السماوات والأرض، أي أنهن لسن بجزء من السماوات.

ثالثاً: إنكار خلق الله للسماوات والأرض في ستة أيام وأنها ست مراحل:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار خلق الله للسماوات في ستة أيام، وأن هذه الأيام الواردة في الآيات عبارة عن ست مراحل، أقام الله عليها الكون، وأسمائها ستة أيام، وربط ذلك بالنظام السداسي (٣)، يقول الدكتور جميل القدسي الدويك: "وأن الأيام هنا ليست كأيامنا هذه، إنما هي مراحل طويلة، فإنشاء الكون كله وبنائه وتعميره من قبل الله وإصلاحه على أكمل وجه كان قائماً على النظام السداسي فتأملوا ذلك في القرآن العظيم" (٤). أما علماء الإسلام فيقولون أن الله خلق هذه السماوات والأرض في ستة أيام ولكنهم اختلفوا هل هذه الأيام من أيام الدنيا أو أيام الآخرة، كل يوم ألف سنة (٥).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "وخلقها الله ﷻ في ستة أيام، والأيام أطلقها الله ﷻ ولم يبين أن اليوم خمسين ألف سنة، أو أقل، أو أكثر، وإذا أطلق يحمل على المعروف المعهود وهي أيامنا هذه، وقد جاء في الحديث أنها الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: ٩٨/٢.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) أي شيء قائم على البناء والنمو والربو خلقه الله سبحانه وتعالى مبنيًا على نظام سداسي، انظر: اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه في الوسواس والسحر والتلبس والمس والأمراض النفسية والعلاج الناجح لكل ذلك من خلال أطعمة القرآن والرقية الشرعية والاستعاذة بالله، لجميل القدسي الدويك: ٣٧.

(٤) اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه: ٣٧-٣٨، باختصار.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤-١٠٥، وتفسير القرطبي: ٢١٩/٧.

والخميس، والجمعة^(١)، فالجمعة منتهى خلق السماوات والأرض ومبتدئه الأحد، والسبت ليس فيه خلق لا ابتداء ولا انتهاء.^(٢)

رابعاً: اعتقاد أن السماوات خلقت من غير مادة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية القول بأن السماوات خلقت من غير مادة، وبأن مادة السماوات ليست مبتدعة، مما يلزم عليه القول بقدم العالم^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " فأما قول الدهرية: بأن السماوات لم تنزل على ما هي عليه ولا تزال فهذا تكذيب صريح وكفر بين بما في القرآن وما اتفق عليه أهل الإيمان وعلموه بالاضطرار أن الرسل أخبروا به وكذلك قول الجهمية^(٤)، أو من يقول: منهم إن السماوات والأرض خلقتا من غير مادة، ولا في مدة، وأنهما يفنيان أو يعدمان، أو أن الجنة تفنى أيضاً: كل ذلك مخالف لنصوص القرآن^(٥).

وهذا القول لم يقل به أحد من سلف الأمة، بل المتواتر عنهم أنهما خلقتا من مادة، وفي مدة، كما دل عليه القرآن^(٦) قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّيَالِي ١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ: ٢١٤٩/٤ برقم (٢٧٨٩).

(٢) تفسير القرآن الكريم - الحجرات إلى الحديد - للشيخ محمد بن عثيمين: ٣٦٤.

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية، فصل في مؤاخذه ابن حزم في الإجماع: ٣/٣٤٦-٣٤٧، ومنهاج السنة: ٣٦٠/١، ودرء التعارض: ٢٨٧/٨ - ٢٩٠.

(٤) الجهمية: أصحاب الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمز، وقتله مسلم بن أحوز بمرور في آخر ملك بني أمية، ينفون الأسماء والصفات ويزعمون أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني: ٣٦، والفرق بين الفرق للبغدادي: ١٩٤.

(٥) بيان تلبيس الجهمية: ١٥٩/١.

(٦) انظر: المرجع السابق: ١٥٢/١-١٥٤.

أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْدِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» (٣).

وقد أخبر سبحانه أنه استوى إلى السماء الدنيا وهي دخان، فقال لها وللأرض:

﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٤).

"وثبت عن غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين أنه خلق السماء من بخار الماء، ونحو ذلك من النقول التي يصدقها ما يخبر به أهل الكتاب عن التوراة وما عندهم من العلم الموروث عن الأنبياء. وشهادة أهل الكتاب الموافقة لما في القرآن أو السنة مقبولة" (٥)،

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٦)، ونظائر ذلك في القرآن.

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض» (٧).

(١) فصلت: ٩-١٢.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: ٤/٢٠٤٤ برقم (٢٦٥٣).

(٤) فصلت: ١١.

(٥) درء تعارض العقل والنقل: ٢: ٤/٢٣٤، وانظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، للغصن: ٢٧٢.

(٦) الرعد: ٤٣.

(٧) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ

وفي رواية صحيحة: « ثم خلق السماوات والأرض »^(١).

خامساً: اعتقاد التعب والإعياء لله بعد خلق السماوات والأرض:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية زعم اليهود أن الله تعالى استراح يوم السبت، بعد خلقه السماوات والأرض -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- فعن قتادة قال: قالت اليهود -عليهم لعائن الله-: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ أي من إعياء ولا نصب ولا تعب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

سادساً: اعتقاد أن الله في جوف السماء:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية اعتقاد أن الله في جوف السماء، وأن قوله ﴿ ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤) يقتضي أن يكون الله في جوف الأفلاك، ونحو ذلك، وظن أن هذه المعاني الفاسدة هي ظاهر القرآن، وأن مسماها ظاهره وحقيقته. والجواب عن هذا أن السلف رحمهم الله لم يعتقدوا أن هذا المعنى الفاسد ظاهر هذه

أَهْوَتْ عَلَيْهِ ﴿: ٦١٣ برقم (٣١٩١)، بلفظ "ولم يكن شيء غيره".

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾: ١٤١٣ برقم (٧٤١٨).

(٢) الأحقاف: ٣٣.

(٣) غافر: ٥٧.

(٤) الملوك: ١٦.

النصوص، ولا أنها تدل على ذلك.

"وقد أخبر الله ﷺ في القرآن أنه استوى على العرش، وأن كرسیه وسع السماوات والأرض، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأخبر بعلوه في غير موضع من كتابه، وهذه كلها نصوص تنفي أن تكون صفاته تشبه صفات خلقه، أو يكون حالاً في المخلوقات، وأخبر بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، وبقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) ونحو ذلك أن يماثله العباد في صفاتهم، فتكون صفاته كصفات خلقه"^(٣).

فهو سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾^(٤) أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير^(٥). وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال للجارية: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة^(٦). قال مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان^(٦). وقيل لعبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه^(٧). وقال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما قال هذا وهذا^(٨).

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ٤.

(٣) مسألة في تأويل الآيات وإمرار الصفات كما جاءت لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن جامع المسائل: ١٧٢/٣-١٧٤.

(٤) الملك: ١٦-١٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته: ٣٨١/١، برقم (٥٣٧).

(٦) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد: ١٠٧، ومسائل الإمام أحمد برواية أبي داود: ٣٥٣ برقم (١٦٩٩).

(٧) الرد على الجهمية للدارمي: ٤٧ برقم (٦٧)، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد: ١١١.

(٨) انظر: درء التعارض: ٣٤/٢.

وعلى هذا فالمراد بفي "إما أن تكون بمعنى «على»، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(١) أي على جذوع النخل، وكقوله: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) أي عليها، فالمعنى أأمنتكم من على السماء.
وإن كانت على بابها وهي الظرفية، فيكون المراد بالسماء العلو، فالله في العلو المطلق"^(٣).

سابعاً: تحريف مخاطبة الله للسماء وتحريف آياتها وقولها:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف مخاطبة الله للسماء، وتحريف آياتها وقولها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٤).

فقالوا في مخاطبة الله للسماء في قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ قولان:
أحدهما: أنه قول تكلم به.

الثاني: أنها قدرة منه ظهرت لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد^(٥).

أما قول السماء فقليل فيه:

أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجابا فقام مقام قولهما.

وقيل أن هذا مجاز، وإنما المعنى أنها ظهر منها من اختيار الطاعة والخضوع والتذلل ما هو

(١) طه: ٧١.

(٢) آل عمران: ١٣٧.

(٣) شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم: ٨٥، ١١١، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: ٥٥٨/١، وتقريب التدمرية للشيخ محمد بن عثيمين: ٧١.

(٤) فصلت: ١١.

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي: ١٧٢/٥، وتفسير القرطبي: ٣٤٤/١٥.

بمنزلة لقول ﴿أَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١).

وقيل: بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى^(٢).

ومنهم من جعل قول السماء هو الموجات الصوتية التي حدثت عند انفجار الكون، أو أنه ذبذبات كونية هادئة^(٣).

"بل إنهم يصورون ذلك في رسوم بيانية، ويزعمون من خلال تحليل العلماء لهذه الذبذبات

أن الكون كان هادئاً ومطيعاً، وأنه يوافق قول الله تعالى عن السماء في بداية الخلق"^(٤): ﴿ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥).

والجواب أن هذه التأويلات والتحريفات باطلة؛ فإن الله ﷻ قادر على مخاطبة

الجمادات^(٦)، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٧).

وما في نطق السماء من العجب؟ "والله تبارك وتعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل،

ويسخر الجبال والطير، بالتسبيح. قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(٨)، وقال: ﴿

يَنْجِبَالٍ أَوْ يَبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾^(٩)، أي سبّحن معه، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ

(١) انظر: المرجع السابق: ١٧٢/٥-١٧٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية: ٤٦٨/٧.

(٢) تفسير القرطبي: ٣٤٤/١٥.

(٣) أسرار الكون بين العلم والقرآن: ٣، ٢٩.

(٤) المرجع السابق: ٣١.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) انظر: مبحث عبودية الكائنات: ٦٥.

(٧) الأحزاب: ٧٢.

(٨) ص: ١٩.

(٩) سبأ: ١٠.

لَا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١﴾. (٢).

وهذا القول لا شيء يدفعه، والعبرة به أتم والقدرة فيه أظهر (٣).

كما أن الله ﷻ خاطبهما خطاب من يعقل، وذكر جوابهما، وكان الجواب لجمع العقلاء فقال: ﴿طَائِعِينَ﴾، ولم يقل طائعتين على اللفظ، ولا طائعات على المعنى، لأنهما سموات وأرضون، لأنه أخبر عنهما وعن فيهما، ولما وصفهن بالقول والإجابة وذلك من صفات من يعقل أجراها في الكناية مجرى من يعقل (٤).

أما الإتيان فإن معناه عندهم غير مراد "لأن السماء والأرض لا يتصور أن يأتيها، ولا يتصور منهما طواعية أو كراهية إذ ليستا من أهل العقول والإدراكات، ولا يتصور أن الله يكرههما على ذلك لأنه يقتضي خروجهما عن قدرته" (٥).

وفيه قولان:

"أحدهما: أنه قال ذلك قبل خلقها، ويكون معنى اتتيا أي كونا فكانتا، كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦).

الثاني: قول الجمهور أنه قال ذلك لهما بعد خلقهما.

فعلى هذا يكون في معناها أربع تأويلات:

أحدها: معناه أعطيا الطاعة في السير المقدر لكما طوعاً أو كرهاً أي اختياراً أو إجباراً.

الثاني: اتتيا عبادتي ومعرفتي طوعاً أو كرهاً باختيار أو غير اختيار.

الثالث: اتتيا بما فيكما طوعاً أو كرهاً.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ١١٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٦٨/٧.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٤٤/١٥، وانظر: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين: ٥١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢٤-٢٤٧.

(٦) النحل: ٤٠.

الرابع: كونا كما أمرت من شدة ولين، وحزن وسهل ومنيع وممكن^(١).
ونقول - كما سبق - أن الله على كل شيء قدير، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معنى ذلك:
"قال الله ﷻ: أما أنت يا سماء فأطلي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك
وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما: افعلما ما أمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه
كرها فأجابتا بالطوع"^(٢).

ثامناً: تحريف معنى تسبيح السماوات:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى تسبيح السماوات، وحمله
على معنى الانقياد والتسخير الذي يصدر عن طواعية على سبيل الاستعارة بالكناية^(٣)، أو أن
تسبيحها هو "ما يظهر فيه من لطيف صنعة الله وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله
فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه"^(٤).

وقد دلت النصوص على أن السماء تسبح تسبيحاً حقيقياً، الله أعلم بكيفيته، وأن هذا
التسبيح زائد على ما فيها من الدلالة^(٥)، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ
فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٦).

تاسعاً: تحريف معنى بكاء السماء:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى بكاء السماء، وأن المراد

(١) النكت والعيون: ١٧٢/٥-١٧٣، ومفاتيح الغيب: ٥٥٧/٢٧-٥٥٨، وتفسير القرطبي: ٣٤٣/١٥-٣٤٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤٣/١٥-٣٤٤، وتفسير البغوي: ٥٩/٤.

(٣) من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والأصال والعشي والإبكار، إعداد: الدكتور محمد عبد العليم دسوقي: ٤٧،

٧١.

(٤) النكت والعيون: ٢٤٥/٣.

(٥) مجموع الفتاوى: ٤٠٦/١٢. وانظر: مبحث عبودية الكائنات من أصل الكتاب

(٦) الإسراء: ٤٤.

بذلك أنه " عمت مصيبتة الأشياء حتى بكته السماء والأرض والرياح والبرق، وبكته الليالي الشاتيات... وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه"...
 أو أن "في الكلام إضمار، أي ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة".
 وفي كيفية بكاء السماء ثلاثة أوجه: أحدها أنه كالمعروف من بكاء الحيوان.
 وقيل: بكاؤهما حمرة أطرافها.

وقيل: بكاؤها أمانة تظهر منها تدل على أسف وحزن^(١).
 ومن المخالفات أيضاً اعتقادهم أن بكاء السماء ناتج عن ولادة الكون، كما يقوله البروفيسور ويتل في خير علمي: "يمكننا سماع البكاء الناتج عن ولادة الكون"^(٢).
 ثم يقول صاحب الكتاب: "وهذا الخبر العلمي يعطي إمكانية حدوث الصوت والبكاء وغير ذلك مما لم نكن نفهمه من قبل. وهذا يؤكد أن كل كلمة في القرآن هي الحق، بل لماذا لا يكون هذا الصوت الكوني هو امتثال لأمر الله تعالى؟"^(٣).

والصواب أنها تبكي بكاء حقيقياً إذ لا استحالة في ذلك، وإذا كانت السماوات والأرض تسبح وتسمع وتتكلم فكذلك تبكي، مع ما جاء من الخبر في ذلك^(٤).
 وقال مجاهد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل!.
 وقال علي وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء^(٥).

عاشراً: إنكار معرفة ارتفاع السماء عن الأرض:

-
- (١) انظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: ١٣٩/١٦-١٤١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٣/٧-٢٥٤.
 (٢) نقلاً عن: أسرار الكون بين العلم والقرآن: ٣١.
 (٣) المرجع السابق: ٣١.
 (٤) تفسير القرطبي: ١٣٩/١٦-١٤١.
 (٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٣/٧-٢٥٤.

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار معرفة ارتفاع السماء عن الأرض، "فلم يعرف الإنسان مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم، فعرفنا أن السماء مرتفعة، وليست قريبة كما يظن النظر المجرد"^(١). وهذا مخالف لقول النبي ﷺ الذي أخبر فيه أن ارتفاع السماء مسيرة خمسمائة سنة، فعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة»^(٢).

الحادي عشر: بعض الأدعية والأقوال المخالفة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية -السماء- ذكر بعض الأدعية والأقوال المخالفة، منها:

١- من ذلك الدعاء بقول: «اللهم بقدرتك التي قدرت بها أن تقول بها للسموات والأرض أئتيا طوعًا أو كرهًا، قالتا أتينا طائعين، افعل كذا وكذا».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " هذه المسألة مبنية على مسألة كلام الله، ونحو ذلك من صفاته، هل هي قديمة لازمة لذاته لا يتعلق شيء منها بفعله وبمشيئته ولا قدرته؟ أو يقال: إنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، وإنما مع ذلك صفات فعلية؟ وهذا فيه قولان لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة."^(٣)

(١) توحيد الخالق: ٢٨٠.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢٩٢/٣ برقم (١٧٧٠)، وسنن أبي داود في كتاب السنة، باب في الجهمية: ٥١٤-٥١٥ برقم (٤٧٢٣)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحاقة: ٥٢٦ برقم (٣٣٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرک: ٢/٢٨٨، ٤١٢، ٥٠٠، ٥٠١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال في موضع آخر: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه غيرهم. انظر: مجموع الفتاوى: ١٩١/٣-١٩٢، وتهذيب السنن لابن القيم: ٧/٩٤، وتفسير ابن كثير: ٤/٤٢٩، وتخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب للبهلال: ١٤٠-١٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٨٤/٨.

ثم بين رَحِمَهُ اللهُ أَنْ هذا القول هو مذهب الكلابية^(١)، أما أهل السنة فلا يقال عندهم قدر أن يتكلم، أو يقول^(٢)، وقالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وكما شاء^(٣).

٢- ذكر أحوال خاصة للسماء عند دعاء المكروب:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يكنى أبا معلق، وكان يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الآفاق، وكان ناسكا ورعا.

فخرج مرة فلقيه لص مقنع بالسلاح فقال له: ضع ما معك فيني قاتلك.

قال: ما تريد إلا دمي؟ شأنك بالمال.

قال: أما المال فلي فلست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات.

قال: صل ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلى أربع ركعات وكان من دعائه في آخر سجدة أنه قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، والملك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني ثلاث مرات، قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة. واضعها بين أذني فرسه، فلما أبصر به اللص: أقبل نحوه فطعنه فقتله.

ثم أقبل إليه، فقال: قم، قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله تعالى بك اليوم.

(١) الكلابية: من الفرق الكلامية، ظهرت نهاية القرن الثاني، وهم أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب وهم ينفون الصفات ويقولون أن الإيمان المعرفة بالقلب والإقرار باللسان.

انظر: كتاب أصول الدين للبغدادي: ٢٤٩، ومجموع الفتاوى: ١٧٨/١٢، ومختصر الصواعق المرسلية: ٤٢٦/٢، ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء: ٧٧/٥، والفصل في الملل والنحل: ٧٧/٥، والملل والنحل ٩٣/١١.

(٢) المرجع السابق: ٥٥/١٧.

(٣) المرجع السابق: ١٦٦/١٧.

قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة.
 دعوت الله بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة.
 ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجيجا.
 ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل: دعاء مكروب.
 فسألت الله عز و جل أن يوليبي قتله.
 قال أنس: فاعلم أنه من توضاً وصلبى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا
 كان أم غير مكروب»^(١).

٣- عدالة السماء:

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله: "هذا تعبير حادث في عصرنا، يريدون به: عدل الله - سبحانه - على معنى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢).
 فالمراد إن كان كما ذكر فهو حق، والتعبير غير سديد، بل هو قريب من إطلاقات
 الكلاميين التي لم يأت بها كتاب ولا سنة، كما في قولهم: "قوة خفية" فليجتنب^(٣).
 وسئل الشيخ بن عثيمين رحمته الله عن حكم مقولة: "عدالة السماء، ونور السماء" وما
 أشبه ذلك؟:

فأجاب: "هم يريدون بنور السماء وهداية السماء نور الله عز وجل؛ لأنه في السماء، ولكن
 الأفضل أن يعدلوا عن هذه الكلمات، وأن يقولوا: نور الله وهداية الله، كما قال النبي عليه
 الصلاة والسلام: «إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها»^(٤)، قال: «كان الذي في
 السماء» فإطلاق مثل هذه العبارات يجب على الإنسان التوقف فيها، وأن يقال: الأفضل أن

(١) كرامات أولياء الله لأبي القاسم هبة الله اللالكائي: ٩ / ١٦٦، وقال محقق الكتاب: سنده ضعيف، فيه ثلاثة أشخاص
 لم أجد تراجمهم. وذكر القصة ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحاب: ١٢ / ٦١٥.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) معجم المناهي للشيخ بكر أبو زيد: ٣٨٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها: ١٠٥٩ / ٢ برقم (١٤٣٦).

تضيفوا الشيء إلى من هو له حقيقة؛ لأن مجرد السماء ليس فيها هداية وليس فيها نور وإنما هو نور الله ﷻ وهداية الله" (١).

٤ - كراهة النظر إلى السماء:

زعماً منهم أن ذلك يدل على تحيز الله ﷻ ، وأن " هذا الأدب مطلوب من كل الناس، وإن كان الحق تعالى لا يتحيز ولا تأخذه الجهات" (٢)، وزعم بعض الزهاد أنه لا ينبغي النظر إلى السماء تحشعاً وتذلاً (٣).

وقد استدلووا بنهي النبي ﷺ عن رفع البصر في الصلاة (٤)، فقالوا: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه في الصلاة، ونهي الرسول عليه الصلاة والسلام رفع البصر إلى السماء يدل على أن القرب من الله ليس بالتوجه إلى السماء، وهذا يدل على عدم التحيز والمكان، فلو كان الله في السماء لكان أولى التوجه في البصر إلى حيث الله، ولما نهي الرسول عن ذلك... دل على عدم تحيز الله ووجوده في مكان» (٥).

وقد وردت السنة الصحيحة برد ذلك، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيحه بقوله: باب رفع البصر إلى السماء (٦)، وذكر بعض الأحاديث والتي فيها رفع النبي بصره إلى السماء، وفي هذا رد على من كره ذلك (٧).

(١) لقاء الباب المفتوح للشيخ محمد بن عثيمين: ٢٩/٨١.

(٢) العهود المحمدية لعبد الوهاب الشعرائي: ٦٨٨.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٣٦٠/٩، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: ٣٤٣/٢٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة: ٢٩/٢ برقم (٩٩٤، ٩٩٥).

(٥) سليم الحشيم، منتدى الأصلين - على شبكة الانترنت (وهو منتدى أشعري).

<http://www.aslein.net/showthread.php?t=8172>

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء: ١١٩٦، برقم (٦٢١٤، ٦٢١٥).

(٧) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٣٦١/٩، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٣٤٣/٢٢.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعتيدة، ومنها:

١- اعتقاد أن السماوات تدور على منكب ملك:

جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: "من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا. فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدفته أو كذبتة؟ قال: ما صدفته ولا كذبتة. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها، كذب كعب، إن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١)."

وذهب جندب البجلي إلى كعب الأبحار فقدم عليه، ثم رجع، فقال له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "حدثنا ما حدثك. فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرجا، والقطب عمود على منكب ملك. قال عبد الله رضي الله عنه: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك، ثم قال: ما تنكت^(٢) اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ كفى بها زوالا أن تدور"^(٣).

٢- إمساك السماء والأرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: «وقع في نفس موسى عليه السلام: هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله إليه ملكا، فأرقه ثلاثا، وأعطاه

(١) فاطر: ٤١.

(٢) النكت: أن تنكت بفضيب في الأرض فتؤثر بطرفه فيها. انظر: لسان العرب: ٨٣/١٠.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره: ١٧١/٢٢، قال ابن كثير في تفسيره ٥٥٨/٦: وهذا إسناد صحيح إلى كعب، وإلى ابن مسعود.

قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يدها تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداها عن الأخرى، حتى نام نومه، فاصطفقت يدها فتكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلاً إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»^(١).

٣- ماذا يحدث لو عصت السماوات والأرض:

روي عن موسى -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: « يا رب لو أن السموات والأرض حين قلت لهما ﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ عصياك ما كنت صانعا بهما؟ قال كنت أمر دابة من دواي فتبتلعهما، قال: يا رب وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروحي، قال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال علم من علمي»^(٢).

و قد دلت الآية على خلافه لأن الله سبحانه أمرهما أن يأتيا طوعا أو كرها فكيف تعصيانه؟ وإن عصته كيف لا تأتیان كرها؟ فإنما أمره إن أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

٤- ذكر ملائكة السماء ووصفهم بأوصاف لم ترد في الكتاب والسنة:

قد ورد في بعض الكتب وصف لملائكة كل سماء^(٣)، من الأوصاف التي لم تذكر في القرآن، ولم تصح عن النبي ﷺ، فيجب تركها واطراحها وعدم الخوض في علم الغيب إلا بما جاء عن الله ورسوله^(٤).

فعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: كان العباس بن أنس بن عامر السلمي شريكا لعبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ، قال: فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فقال:

(١) رواه ابن أبي حاتم: ٣١٨٦/١٠، والطبري في تفسيره: ٣٩٤/٥، وأبو يعلى في مسنده: ٢١/١٢، قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جدا، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع. وقال في موضع آخر: "حديثاً غريباً بل منكراً". انظر تفسير ابن كثير: ٦٧٩/١، ٥٥٨/٣.

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي: ٢٨٧/٨، وتفسير القرطبي: ١٥ / ٣٤٤، ولم يذكر له سنداً، وإنما قال الثعلبي بلغنا، ولم أعتد عليه في كتب السنة.

(٣) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٣٩٨.

(٤) انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر: ٩.

يا عباس، إن الذي أنزل علي الوحي أرسلني إلى الناس كافة، بلسان عربي مبين، من فوق سبع شداد إلى سبع غلاظ، يتنزل الأمر بينهن إلى كل مخلوق بما قضى عليهم من زيادة أو نقصان، فقال العباس: وكيف خلق الله سبعا شداد وسبعا غلاظا؟ ولم خلقهن؟ فقال رسول الله ﷺ: خلق الله سبحانه وتعالى السماء الدنيا فجعلها سقفاً محفوظاً، وجعل فيها حرساً شديداً وشهباً، ساكنها من الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، في صورة البقر مثل عدد النجوم، شراهم النور والتسييح، لا يفترون من التهليل والتكبير.

وأما السماء الثانية فساكنها عداد القطر في صور العقبان، لا يسأمون ولا يفترون ولا ينامون، منها ينشق السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينتشر في جو السماء، معه ملائكة يصرفونه حيث أمروا به، أصواتهم التسييح، وتسييحهم تخويف.

وأما السماء الثالثة فساكنها عدد الرمل في صور الناس، ملائكة ينفخون في البروج كنفخ الريح، يجأرون إلى الله تبارك وتعالى الليل والنهار، وكأنما يرون ما يوعدون.

وأما السماء الرابعة فإنه يدخلها كل ليلة حتى يخرج إلى عدن، ساكنها عدد ألوان الشجر صافون مناكبهم معا، في صور الحور العين، من بين راعع وساجد، تبرق وجوههم بسبحات ما بين السموات السبع والأرض السابعة.

وأما السماء الخامسة فإن عددها يضعف على سائر الخلق في صورة النسور، منهم الكرام البررة، والعلماء السفرة، إذا كبروا اهتز العرش من مخافتهم وصعق الملائكة، يملأ جناح أحدهم ما بين السماء والأرض.

وأما السماء السادسة فحزب الله الغالب، وجنده الأعظم، لو أمر أحدهم أن يحذف السموات والأرض بأحد جناحيه اقتلعهن، في صورة الخيل المسومة.

وأما السماء السابعة ففيها الملائكة المقربون، الذين يرفعون الأعمال في بطون الصحف، ويخفضون الميزان، فوقها حملة العرش الكروبيون، كل مفصل من أحدهم أربعون ألف سنة، أو قال أربعون سنة، فتبارك الله رب العالمين ديان الدين خالق الخلق رب العالمين^(١).

(١) كتاب العظمة: ١٠٥٥/٣ برقم (٥٧٢)، وذكره الكتاني في الأحاديث الموضوعة، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة للكتاني:

٥- إبليس كان يدبر أمر السماء الدنيا:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدبر أمر السماء الدنيا»^(١).

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ٤١٩/١ برقم (١٤٥)، قال ابن كثير في تفسيره ١٦٨/٥ بعد أن ساق بعض الآثار عن الأخبار المتعلقة بإبليس - ومنها هذا الخبر: "وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا".

المبحث الثاني: الشمس

الشمس في اللغة: الشين والميم والسين أصل يدل على تلُّون وقلة استقرار، والشمس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، وهي أبداً متحركة^(١).

وهي تجمع على شُمُوس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شَمْساً، كما قالوا للمفروق مفارق، وتصغيرها شُمَيْسَة^(٢).

وفي الاصطلاح: كرة هائلة من الغاز المتوهج في وسط المجموعة الشمسية، وهي واحدة من بلايين النجوم في الكون، لا تتميز عنها بشيء^(٣).

وفي الموسوعة الفلكية: هي الجسم المركزي في المجموعة الشمسية، وهي عبارة عن كرة مشعة، فتبدو لنا كقرص مضيء مستدير وواضح التحديد^(٤).

وقد ورد لفظ الشمس في القرآن في (٣٢) موضعاً^(٥). وفي السنة في (٨٧) حديثاً^(٦).

(١) مقاييس اللغة: ٢/٢١٢.

(٢) الصحاح: ٣/٩٤٠.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٤/٢٤٦.

(٤) الموسوعة الفلكية: ٢٣٦.

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٩١-٤٩٢.

(٦) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - الشمس -:

الشمس آية كبرى ودلالة عظيمة من آيات الله تعالى، وشروقها وغروبها بنظام لا تحيد عنه منذ خلقها الله ﷻ دليل على قدرة الله وعلمه وحكمته.

ولما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فصولاً متعلقة بالكواكب والشمس وما فيها من الحكم والمنافع، وأن الله ﷻ "لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر" (١).

قال: "وهل هذا إلا صنع من بهرت العقول حكمته، وشهدت مصنوعاته ومبتدعاته بأنه الخالق البارئ المصور الذي ليس كمثله شيء، أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل ما صنعه، وأنه العليم الحكيم، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأن هذه إحدى آياته الدالة عليه، وعجائب مصنوعاته الموصلة للأفكار إذا سافرت فيها إليه، وأنه خلق مسخر مربوب مدبر".

ثم قال: "فهذا الترتيب والنظام الذي هي عليه من أدل الدلائل على وجود الخالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته" (٢).

أولاً: وجود الله:

أخبر الله ﷻ عن محاجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمرود في وجود الله، وكان النمرود ينكر وجود الله ﷻ، وأن يكون ثم إله غيره، وأنه يحي ويميت، فاستدل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على وجود الله، وأنه المالك المتصرف المستحق للعبادة وحده - بعد الاستدلال بأن الله يحي ويميت - بقوله:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٠٣/١ - ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق: ٣٢٦/١.

(٣) البقرة: ٢٥٨.

فحدوث هذه الأشياء المشاهدة وإيجادها بعد العدم، وعدمها بعد الوجود دليل على وجود الله؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب، فإذا "كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب.

فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أحرص فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة" (١).

وفي "ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيتته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين الذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده، وإتيانه تعالى بالشمس من المشرق لا يقدر أحد سواه على ذلك" (٢).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على وجوده وقدرته التامة خلق الشمس وجريانها (٣)، فقال

تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤﴾﴾.

وفي قوله ﷻ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله» (٥)، "أي دليلان على وجود

الحق سبحانه، وقهره، وكمال الإلهية" (٦).

(١) تفسير ابن كثير: ٦٨٦/١، وانظر: تفسير السعدي: ١١١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٨٥/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٦/١٥، تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٤) يس: ٣٧-٣٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: ٥٥٢/٢.

ثانياً: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله عَزَّ وَجَلَّ يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك الشمس^(١)، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾^(٤).

وهي مدبرة مسخرة لا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل رها وخالفها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيتته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة لا إله يعبد من دون الله^(٥)، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١ - صفة العلم والقدرة:

أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه،

(١) انظر: تفسير البغوي: ٦٥٤/٣، وتفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣، ٨٦/٧.

(٢) الصفات: ٥.

(٣) الأنبياء: ٣٣.

(٤) نوح: ١٥-١٦.

(٥) مفتاح دار السعادة: ٢٨٥/٢.

(٦) الأعراف: ٥٤.

- ومنها الشمس - فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣).

ففي هذه الآيات "ينبه تعالى عباده على آياته العظام، ومننه الجسام، في تسخييره الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات، في أرجاء السماوات نورا وضياء" (٤)، وأن ذلك استقام للناس "بجعل الله حركات الشمس والقمر على نظام واحد لا يختلف، وذلك من أعظم دلائل علم الله وقدرته، وهذا بحسب ما يظهر للناس منه ولو اطلعوا على أسرار ذلك النظام البديع لكانت العبرة به أعظم" (٥).

وقوله ﷺ في الحديث عن الشمس والقمر أهما: «آيتان من آيات الله» (٦)، أي علامتان دالتان على وحدانية الله وعظيم قدرته (٧).

(١) يونس: ٥.

(٢) النحل: ١٢.

(٣) يس: ٣٨-٤٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/٥٦١.

(٥) التحرير والتنوير: ٦/٣٧٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

(٧) فتح الباري: ٢/٥٢٨.

٢ - صفة الرؤبة والعلو:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى بأبصارهم يوم القيامة^(١)، وأنهم يرونه ﷺ كما يرون الشمس والقمر صحواً ليس دونها سحب، - من جهة العلو - فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون^(٢) في القمر ليلة البدر؟. قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحب؟. قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»^(٤).

وليس المراد من الأحاديث تشبيه الله بالقمر والشمس - تعالى الله - بل المراد تشبيه الرؤبة بالرؤية، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي، فالله ليس له مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥).

(١) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ لا بن خزيمة: ٢٥٤/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي:

٣/٣٨٧، ٤٧٠، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني: ١١٧/٢، ٢٥١.

(٢) وفي الرواية الأخرى هل تضامون؟، وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤبة بزحمة أو مخالفة في الرؤبة أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر، ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر، وروى أيضاً تضامون بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددتها فتح التاء ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد هل تضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب". شرح النووي على مسلم: ١٨/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: ١٤١٦ برقم (٧٤٣٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤبة: ١٦٧/١ برقم (١٨٣).

(٥) الشورى: ١١.

سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾^(١).

ومع إخباره ﷺ أنهم يرونه، فيه إخبارهم أنهم يرونه في جهة منهم - وهي العلو - وذلك من وجوه:

"أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون في جهة منهم، فأما رؤية ما ليس في جهة فلم يكونوا يتصورونه، فضلاً عن أن يكون اللفظ دالاً عليه، بل لا يتصور أحد من الناس وجود موجود في غير جهة.

الثاني: أنه قال: « فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً، وكما ترون القمر صحواً»، فشبّه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وهما يريان من جهة العلو.
الثالث: أنه قال: « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ ».

فشبّه رؤيته برؤية أظهر المرئيات، إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي^(٢).

رابعاً: توحيد الألوهية:

الله ﷻ يستدل على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه المستقل بخلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر على وجوب إفراده بالعبادة^(٣)، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٤).
فالمشركون - الذين يعبدون مع الله غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السماوات والأرض.

(١) مريم: ٦٥.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبدالله الغنيمان: ١٥٤/٢، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: ٤٠٩/٢-٤١٥.

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي: ٦٧٣/٦.

(٤) العنكبوت: ٦١.

والشمس والقمر "فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية"^(١).

والإيمان بأن الله هو الخالق المالك المتصرف، والتفكر في ملكوته - ومنه الشمس - يستلزم وجوب إفراد الله بالعبادة، كما أخبر الله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام في مناظرته لقومه: ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢)؛ لأن التأمل والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وتصريفهما وغير ذلك مما أخبر الله عنه "يدل على وحدانية الله في ملكه وخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه"^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ^(٥)، فالله ﷻ يظهر هذه الآيات ليستدل بها على أنه الحق، وأن كل ما سواه باطل، وأنه القادر على هذه الأشياء وحده، فكل ما في السماوات والأرض خلقه وعبيده، فوجب أن تكون العبادة له وحده لا إله إلا هو^(٥).

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾^(٦) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ٣٦١/١٣.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٣، وانظر: تفسير السعدي: ٢٦٢.

(٤) لقمان: ٢٩-٣٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٧٩/١٤، وتفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.

سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١﴾ .
 فلما ذكر الله ﷻ الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، والتي تقطع الفلك وتسير
 إلى غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها، قال بعد ذلك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ
 رَبُّكُمْ﴾، فالذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس، الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو
 الله ربكم" (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ
 الْحَيِّ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ ۗ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ۗ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 حُسْبَانًا ۗ ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣﴾ .

فهذا استدلال واعتبار " بخلق الله تعالى وعجائب مصنوعاته المشاهدة، على انفراده تعالى
 بالإلهية المستلزم لانتفاء الإلهية عما لا تقدر على مثل هذا الصنع العجيب، فلا يحق لها أن تعبد
 ولا أن تشرك مع الله تعالى في العبادة إذ لا حق لها في الإلهية" (٤).

كما أخبر تعالى " أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء
 طوعا وكرها" (٥) - ومن ذلك الشمس -، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٦﴾ الآية (٦).

وعن أبي ذر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب هذه الشمس؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال

(١) فاطر: ١٣-١٤.

(٢) تفسير الطبري: ١٤٨/٢٢.

(٣) الأنعام: ٩٥-٩٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٧٨/٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٥.

(٦) الحج: ١٨.

لها: ارجعي من حيث جئت»^(١).

١- بعض أنواع العبادة القلبية، ومنها:

أ- اليقين والإخلاص:

إن رؤية الآيات - ومنها الشمس - والتفكر فيها يزيد القلب يقيناً وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢) أي "نريه ملكوت السماوات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين"^(٣). ثم ذكر الله ﷻ قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد غياب الشمس، وأنه تبرأ من الشرك، وأنه وجهه لله ﷻ، مخلصاً له، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِرِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٤). وفي حديث الكسوف حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رؤية هذه الآية إلى الإخلاص لله تعالى، حيث أمر بالمبادرة بالعبادة لله تعالى^(٥).

ب- التوكل:

لما ذكر الله ﷻ أنه رب المشرق والمغرب بين سبحانه أنه الإله الحق، وأنه هو الذي يجب أن يتخذ وكيلاً، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٦).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١٣٨/١ برقم (١٥٩).

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) تفسير البغوي: ٣٦/٢.

(٤) الأنعام: ٧٨.

(٥) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٣٣٦/٣.

(٦) المزمل: ٩.

فهو "المالك المتصرف في المشارق والمغرب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل" (١).

٢ - القسم:

أقسم الله ﷻ بالشمس ومشرقها في مواضع من كتابه على أنه تعالى لا إله إلا هو، وعلى كمال قدرته، فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ (٣) الآيات، فأقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة (٤)، وعلى سبق القدر، وكتابة الأعمال، وأن الله ﷻ أرشد النفس إلى فجورها وتقواها، وبين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها (٥).

وهذا القسم "فيه التنبيه على كمال ربوبيته وعزته، وحكمته وقدرته، وتدييره وتنوع مخلوقاته الدالة عليه، المرشدة إليه، بما تضمنته من عجائب الصنعة، وبديع الخلق، وتشهد لفاطرها وبارئها بأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له، وأنه الكامل في علمه وقدرته ومشيتته وحكمته وربوبيته وملكه، وأنها مسخرة مذللة، منقادة لأمره، مطيعة لمراده منها، ففي الأقسام بما تعظيم لخالقها تبارك وتعالى، وتنزيه له عما نسبه إليه أعداؤه الجاحدون المعطلون لربوبيته وقدرته ومشيتته ووجدانيته.

...وأنها أدلة على بارئها وفاطرها، وعلى وحدانيته، وأنه لا تنبغي الربوبية والإلهية لها بوجه

ما، بل لا تنبغي إلا لمن فطرها وبرأها" (٦).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٢) المعارج: ٤٠.

(٣) الشمس: ١.

(٤) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٦.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٦٢٣-٦٢٤، وتفسير ابن كثير: ٤١٠/٨.

(٦) مفتاح دار السعادة: ٢٦٤/٢.

٣- التوسل:

قد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»^(١).

"فهذا دعا لله تعالى وتوسل إليه بما وصف به نفسه في قوله ﷺ^(٢): ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾"^(٣).

خامساً: الإيمان بالرسول:

أخبر النبي ﷺ أن الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان أو قرن الشمس، فعن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال: «الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٤) أو قال قرن الشمس»^(٥).
"وكان ﷺ يحذر من ذلك، ويعلم به قبل وقوعه، وذلك من دلالات نبوته ﷺ"^(٦).

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء: ١٨٩ برقم (٥٠٦)، قال ابن عبد البر: "لم تختلف الرواة عن مالك في إسناد هذا الحديث ولا في متنه، ورواه أبو شيبه عن أبي خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن يسار". انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر: ٥٠/٢٤، والمصنف لابن أبي شيبه: ١١/١٥ برقم (٢٩٨٠٣).

(٢) انظر: المنتقى شرح موطأ مالك للقاضي سليمان الباجي: ٤٢٩/٢.

(٣) الأنعام: ٩٦.

(٤) اختلف الناس في المراد بقرن الشيطان، فقيل: حزبه وأتباعه، وقيل: قوته وطاقته، وقيل: إن ذلك استعارة وكناية عن إضراره، لما كانت ذوات القرون تسلط بقرونها على الأذى استعير للشيطان ذلك، وقيل: قرن الشيطان أمة تعبد الشمس، وقيل: القرنان: جانبا الرأس، فهو على ظاهره، قال النووي: "وهذا هو الأقوى". انظر: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ٢٠٨/٣. والتمهيد: ١٠/٤، والاستذكار لابن عبد البر: ٣٦٤/١، وشرح النووي على صحيح مسلم: ١١٢/٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ "الفتنة من قبل المشرق": ١٣٥٥ برقم (٧٠٩٢).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٩٩/٢٤.

وقد حبست الشمس لنبي من الأنبياء، وهو يوشع بن نون عليه السلام فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقفوها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»^(١)، "وحبس الشمس على هذا النبي من أعظم معجزاته، وأخص كراماته"^(٢).

سادساً: الإيمان باليوم الآخر:

ذكر الله ﷻ في سورة الرعد تفصيل بعض آياته - ومنها الشمس احتجاجاً بها على المعاد ولقاء الله - فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ثم قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٣) أي "يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجاً بها عليكم أيها الناس، لتوقنوا بقاء الله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعدده ووعدده، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك"^(٤).

وقال الله تعالى مستدلاً على البعث - بعد أن ذكر جملة من الآيات والمخلوقات العظيمة، ومنها الشمس - ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا﴾^(٥)، أي اطلب منهم الفتوى، فيما تسألهم عنه أهم أشد خلقاً؟ أم من خلقنا من المخلوقات التي هي أعظم وأكبر منهم؟. "وجواب الاستفتاء المذكور الذي لا جواب له غيره، هو أن يقال: من خلقت يا ربنا من

(١) صحيح البخاري، كتاب الغنائم، باب قول النبي ﷺ: "أحلت لكم الغنائم": ٥٩٧ برقم (٣١٢٤).

(٢) فتح الباري: ٢٢٣/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣١/٦.

(٣) الرعد: ٢.

(٤) تفسير الطبري: ١١٥/١٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٠/٤.

(٥) الصافات: ١١.

الملائكة، ومردة الجن، والسماوات والأرض، والمشارك، والمغرب، والكواكب، أشد خلقا منا ؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا، فيتضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جل وعلا على البعث بعد الموت ؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن من خلق الأعظم الأكبر كالسماوات والأرض، وما ذكر معهما -ومن ذلك الشمس- قادر على أن يخلق الأصغر الأقل" (١).

وقد قرر الله تعالى وقوع المعاد مستدلاً بخلقه السماوات والأرض وجعله المشارق والمغرب للشمس والكواكب، فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٢)، فالذي خلق السماوات والأرض، وجعل مشرقاً ومغرباً، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، قادر على أن يعيدهم يوم القيامة (٣).

وأخبر النبي ﷺ أن جهنم تسجر إذا قامت الشمس حتى تزول، ففي حديث إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة ؟ قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» (٤).

وهذا دليل على أن النار مخلوقة وموجودة الآن.

كما أخبر ﷺ عن الجنة والنار عندما كسفت الشمس (٥)، فدل هذا الحديث أيضاً على وجود الجنة والنار وأنها مخلوقتان الآن.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦٧٨/٦.

(٢) المعارج: ٤٠-٤١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨، وتفسير السعدي: ٨٨٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة: ٥٦٩/١ برقم (٨٣٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه و سلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة

والنار: ٦٢٢/٢ برقم (٩٠٤).

كما أن النبي ﷺ خرج فزعاً لما كسفت الشمس يخشى أن تكون الساعة، "لما جاء أن القيامة تكون وهما مكسوفان" (١).

سابعاً: الإيمان بالقدر:

بين تعالى قدرته على خلق الأشياء وتسخيره إياها على مقتضى حكمته، فذكر أنه خلق الشمس، وأنها تحت قهره وتسخيره ومشيتته، وأنها تجري لأجل مسمى، وأن جريانها مع القمر بحساب مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۗ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۗ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آتِلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۗ ﴾ (٣)، "فدلهم الله ﷻ بذلك على قدرته ووحدانيته" (٤).

ولما كان هذا الأمر يدل على قدرة الله تعالى وتقديره وعلمه وعزته ختمت كثير من هذه الآيات بالعزة والعلم (٥) - والعلم من مراتب الإيمان بالقدر-، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَايَةُ لَهُمْ آتِلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۗ ﴾ (٦) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۗ ﴾ (٦).

ثامناً: النهي عن مشابحة المشركين والمنافقين في عبادتهم:

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٣/٣٣٣.

(٢) يس: ٣٩-٤٠.

(٣) الأنعام: ٩٦.

(٤) تفسير القرطبي: ٤٦/٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٠٥، ٦/٥٧٧.

(٦) يس: ٣٧، ٣٨.

ورد النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لما في ذلك من مشابهة المشركين والمنافقين في عبادتهم؛ فإن الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان وعندئذ يسجد لها الكفار، "وقد نهيينا عن التشبه بهم، بل وعما يؤدي إليه أو يوهمه" (١).

وفي حديث إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفياء فصل فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» (٢).

"وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره التشبه بالكفار ويجب مخالفتهم وبذلك وردت سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكأنه أراد - والله أعلم - أن يفصل دينه من دينهم، إذ هم أولياء الشيطان وحزبه فنهي عن الصلاة في تلك الأوقات" (٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» (٤)، وفي هذا الحديث التحذير من "التشبه بأفعال المنافقين الذين كانوا لا يأتون الصلاة إلا كسالى" (٥).

وكان أهل الجاهلية يقفون بالمزدلفة، ولا يفيضون حتى تطلع الشمس، فخالفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأفاض قبل أن تطلع الشمس (٦).

(١) دليل الفالحين لطرق الصالحين لمحمد بن علان: ٣٣٥/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة: ٥٦٩/١ برقم (٨٣٢).

(٣) التمهيد: ١١/٤، وانظر: الاستذكار: ٣٦٤/١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر: ٤٣٤/١ برقم (٦٢٢).

(٥) الاستذكار: ٣٧٦/١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: متى يدفع من جمع: ٣٢٣ برقم (١٦٨٤).

تاسعاً: النهي عن التشبه بالشیطان:

قد نهى النبي ﷺ أن يقعد الرجل بين الظل والشمس، وقد جاء أن الجلوس بين الشمس والظل هي جلسة الشيطان، فعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ: «نهى أن يجلس بين الضح (١) والظل، وقال: مجلس الشيطان» (٢).

عاشراً: الإيمان بالجن:

بين النبي ﷺ أن الشياطين تنتشر وتنبعث إذا غابت الشمس، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء» (٣)؛ فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء» (٤).

الحادي عشر: أصول المناظرة:

من أصول المناظرة عند أهل السنة المخاطبة بالدليل والمقدمات التي لا يمكن أن يجحدها الخصم (٥)، وإلزام المدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة (٦)، فإبراهيم عليه السلام لما ذكر الدليل

(١) والضحُّ بالكسر: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٥/٣.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٧٤/٢٤ برقم (١٥٤٢١)، وقال محققه: إسناده حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/١١٧ برقم (١٢٩٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن أبي كثير وهو ثقة.

(٣) الفواشى: كل منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها، وهي جمع فاشية؛ لأنها تفسو أي تنتشر في الأرض. وفحمة العشاء: ظلمتها وسوادها، وفسرها بعضهم هنا بإقباله وأول ظلامه. شرح النووي على مسلم: ١٨٦/١٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب: ١٥٩٦/٣ برقم (٢٠١٣).

(٥) معارج الوصول لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى: ١٦٤/١٩.

(٦) الصواعق المرسله: ٤٩١/٢.

الأول على وجود الله وإلهيته، وأن الله هو الذي يحي ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(١)، وهذا الدليل الذي استدل به إبراهيم قد تمَّ وثبت موجهه، فلما ادعى الكافر أنه يفعل كما يفعل الله فيكون إلهها مع الله، طالبه إبراهيم بموجب دعواه مطالبة تتضمن بطلانها^(٢): ﴿قَالَ إِبرَهِيمُ فَإِنَّكَ اللهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

"فقال: إن كنت أنت ربا كما تزعم، فتحيي وتميت كما يحيي ربي ويميت، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فتتنصاع لقدرته وتسخيروه ومشئته، فإن كنت أنت ربا فات بها من المغرب"^(٤)، فعند ذلك بهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/٢٨٤، وانظر: الصواعق المرسلية: ٢/٤٩٠.

(٣) البقرة: ٢٥٨.

(٤) المرجع السابق: ٢/٢٨٤.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الشمس -:

أولاً: عبادة الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية أنها عبدت من دون الله ﷻ ، فجعلوا من الشمس إله الآلهة ورب الأرباب^(١)، وجعلوا لها مصحفاً، ويسبحون لها ويدعونها، قال تعالى مخبراً عن الهدد أنه قال عن قوم سبأ: ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٢).

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس»^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " وهؤلاء المشركون يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

ويقول بعضهم: في كتاب مصحف الشمس، مصحف القمر، مصحف زحل، مصحف عطارد، وبعضهم يقول: تسبيحة الشمس، تسبيحة القمر، تسبيحة عطارد، تسبيحة زحل، ولا يتحاشى من ذلك، وبعضهم يقول: دعوة الشمس، دعوة القمر، دعوة عطارد، دعوة زحل، وبعضهم يقول: هيكل الشمس والقمر وعطار.

... وفي هذا الكتاب من مخاطبة الشمس بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله عز و جل ولا ينبغي لأحد سواه ومن الخضوع والذل والعبادة"^(٤).

فبين الله تعالى أن الشمس والقمر "عبدان من عبده، تحت قهره وتسخيره، لا تشركوا به

(١) ومنهم الصابغة، وعبدة الكواكب في الهند: الدينيكيتية. انظر: الملل والنحل للشهرستاني: ٢ / ١٢٩١، ١٣١٠، قصة الحضارة لول ديورانت: ١ / ١٠٣، والموسوعة الفلكية: ٢٣٦.

(٢) النمل: ٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١ / ١٦٣ برقم (١٨٢).

(٤) مفتاح دار السعادة: ٢ / ٢٦٦-٢٦٧.

فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به" (١)، وبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ (٣).

ثانياً: نسبة الحوادث إلى حركة الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس، وما تقتضيه هذه الحركة من السعد والنحس، وتعطيه من السعادة والشقاوة، وتهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر" (٤).

وليس في القرآن ولا السنة ما يدل على ذلك، بل فيهما ما يبطله ويرده، وقد بين النبي ﷺ في حديث الكسوف بطلان ما يعتقدوه أهل الجاهلية أن كسوف الشمس أو القمر لموت أحد أو حياته، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» (٥).

ثالثاً: تحريف معنى سجود الشمس:

(١) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٦.

(٢) فصلت: ٣٧.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) مفتاح دار السعادة: ٢٧٠/٢، وانظر: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ١٨٢/٣، وشرح النووي على مسلم:

٣٣٣/٣، وفتح الباري: ٥٢٨/٢، والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للمشعبي: ٣٥ وما بعدها، والموسوعة

الفلكية: ٢٧٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى سجود الشمس الوارد في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب هذه الشمس؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت» (٢).

فقال بعضهم أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد. وقيل المراد بالسجود الدلالة على الله، يعني أن هذه المخلوقات تدل على الله، وعلى أنه يستحق أن يسجد له كل شيء، وأن يعبد كل شيء (٣).

وقيل المراد بسجود الشمس هو سجود الملك الموكل بها (٤). وأما سجودها تحت العرش، فإن العرش لعظم ذاته كالرحى فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش وذلك مستقرها (٥). وقيل المراد بالسجود تحت العرش هو وقوعها تحته حقيقة في آخر الدنيا عند انقضاء مهمتها، وسكون حركتها. والمعنى أن الشمس تبقى في شأنها إلى أن يأذن الله بفساد العالم، فتقع تحت العرش ساجدة (٦).

وقيل أن تقييد السجود بتحت العرش كناية عن رجوعها إلى الله، ومبالغة في الانقياد

(١) الحج: ١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١/١٣٨ برقم (١٥٩).

(٣) انظر: زاد المسير: ٤/٣١٩، ٤٥٣-٤٥٤، و تفسير البيضاوي: ٤/٦٩، ٢٤٣، ومشكلات الأحاديث النبوية وبيانها للقصيمي: ١٦٢.

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٥/١١٩.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٢٢/١١٩.

(٦) انظر: فتح الباري: ٨/٥٤٢، ومشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٤.

وعبارة عن تمام ذلك. والمعنى في ذلك المبالغة، ولا تراد الحقيقة. فقوله إنها تسجد تحت العرش يعني أنها خاضعة له أكمل الخضوع وأتمه^(١).

فالحديث عبارة عن أن الشمس مسخرة لله، خاضعة لأمره الكوني، سائرة على حسب ما أراد وقدر، حتى كأنها عاقلة، تسمع خطابه^(٢).

والجواب أن هذه الآيات الكونية تسجد لله سجوداً حقيقياً الله أعلم بكيفيته، وأن كل شيء يسجد لله طوعاً وكرهاً، وأن سجود كل شيء مما يختص به^(٣)، كما قال تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤).

وهذه الأقوال التي ذكرت ليس عليها دليل ومخالفة لظاهر الحديث، وعدول عن حقيقته، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه، إن علمنا لا يحيط به^(٥).

رابعاً: إنكار استئذان الشمس لطلوعها:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى استئذان الشمس الوارد في السنة من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فلما غابت الشمس، قال يا أبا ذر: هل تدري أين تذهب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب فتستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها»^(٦).

(١) مشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٣.

(٢) انظر: فتح الباري: ٢٢٣/٦، وطرح التشريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي: ٢٤٧/٧، ومشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٥. ومبحث عبودية الكائنات من أصل هذا الكتاب.

(٤) الإسراء: ٤٤.

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١١٩/١٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١٣٨/١ برقم (١٥٩).

فقيل بأن استئذان الشمس مجاز يراد به طاعتها لخالقها، وطلوعها وغروبها بمشيئته وإرادته، حتى كأنه يأمرها وينهاها فتعقل عنه، وحتى كأنها تستأذنه في رواحها وغدوها، وهذا كله يعبر عن الخضوع^(١).

ونقول في ذلك مثل ما سبق في السجود، وأنها تستأذن حقيقة، والله أعلم بكيفية ذلك، فقد أخبرنا أنها تستأذن، ولم يخبرنا كيف تستأذن.

خامساً: إنكار حبس الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار حبسها لنبي من الأنبياء، وأن هذا يتعارض مع نواميس الكون، ويحدث له اضطراباً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»^(٢).

والجواب عن أن الأمر متعلق بآية وكرامة لنبي من أنبيائه، "وحبس الشمس على هذا النبي من أعظم معجزاته، وأخص كراماته"^(٣)، وما نواميس الكون ومسير الشمس والقمر إلا أمر من المعتاد على الناس، فإذا أمرها خالقهما بالتخلف، أو التأخر، أو حتى تغيير الوجهة تماماً، فلا يسعهما إلا الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى والله على كل شيء قدير^(٤).

سادساً: إنكار جريان الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار جريانها، وأنها ثابتة، وأن الذي

(١) مشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الغنائم، باب قول النبي ﷺ: "أحلت لكم الغنائم": ٥٩٧ برقم (٣١٢٤).

(٣) فتح الباري: ٢٢٣/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣١/٦.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل في تلخيص كتاب مسلم: ٥٣٢/٣، وفتح الباري: ٢٢٣/٦.

يسير هو الفلك^(١).

وقد أخبر الله ﷻ في آيات كثير أن الشمس تجري، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات، فيجب علينا أن نأخذ في هذا الأمر بظاهر القرآن، وألا نلتفت لقول أحد مخالف لظاهر القرآن؛ لأننا متعبدون بما يدل عليه القرآن؛... ولأن الذي أنزل القرآن أعلم بما خلق، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥)،^(٦)، وهذه الآيات الكريمة دلائل قاطعة، وبراهين ساطعة على أن الشمس جارية لا ثابتة^(٧).

سابعاً: اعتقاد أن نور الشمس من نور الكرسي:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية اعتقاد أن نور الشمس جزء من نور الكرسي،

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١١٩/١٥، والموسوعة الكونية الكبرى: ٢/٢١٣، ٢١٥، ونقض النظريات الكونية: ١٤٣، وكتاب النور في الرد على من قال أن الشمس ثابتة والأرض حولها تدور لمحمد اليحيا: ٢٣، ١٨.

(٢) الرعد: ٢.

(٣) يس: ٣٨.

(٤) الأنبياء: ٣٣.

(٥) الملك: ١٤.

(٦) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين: ٢٨٣/٣، وانظر: التعليق المختصر على القصيدة النونية لابن القيم، تعليق الشيخ صالح الفوزان: ١/٣٣٠.

(٧) الأدلة الثقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز: ٢٢.

والكرسي جزء من نور العرش، ونور العرش جزء من نور الستر^(١)، واستدلوا على ذلك بقول عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد، ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها، ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً». وهذا الأثر ضعيف ولا يثبت^(٢).

ثامناً: اعتقاد أن اسم الله مكتوب على الشمس، أو أن نورها من نور الله:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية اعتقاد أن اسم الله مكتوب على الشمس، أو نورها من نور الله، ولذلك نهي بعض الفقهاء عن استقبال الشمس وقال في علة ذلك: أن اسم الله مكتوب عليها، ومنهم من قال لأن نورها من نور الله^(٣). وهذا لم يثبت به حديث عن النبي ﷺ^(٤).

تاسعاً: إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات الله يخوف بهما عبادة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات الله يخوف بها عباده، وأن هذا أمر طبيعي. الناس في هذا المقام - منزلة الأسباب^(٥) - طرفان ووسط:

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.

(٢) قال ابن كثير: ٤٨٩/٧: "رواه ابن أبي حاتم". ولم أجده -حسب بحثي-، وذكره ابن حجر في فتح الباري: ٢١/٩، وعزاه لعبد بن حميد عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة، ثم قال: "وإبراهيم فيه ضعف".

(٣) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي: ٧٦/١.

(٤) مفتاح دار السعادة: ٢٨٦/٢.

(٥) انظر منزلة الأسباب في الشريعة، ص: ١٦٤، من أصل هذا الكتاب.

الطرف الأول: غلا في إثبات الأسباب، وأن هذه أمور طبيعية.
والطرف الثاني: أنكر الأسباب، ورد جميع ما قاله أهل الهيئة من حق وباطل.
والوسط: أن كسوف الشمس له أسباب حسية يقدرها الله ﷻ، وأنه آية يخوف الله بها عبادة^(١).

فأسباب الكسوف وحسابه والنظر في ذلك ليس من علم الغيب، والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ليس فيها "إلا نفي تأثير الكسوف في الموت والحياة على أحد القولين، أو نفي تأثير النيرين بموت أحد أو حياته على القول الآخر، وليس فيه تعرض لإبطال حساب الكسوف، ولا الإخبار بأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله"^(٢).

وفيها كذلك بيان أنها من آيات الله يخوف بها عباده، والأمر بالأسباب التي يدفع به موجب الكسوف من أمر النبي ﷺ بالعناقة والصلاة والدعاء والصدقة^(٣).

"وكونه تخويفا لا ينافي ما قدره أهل الهيئة فيه؛ لأن الله أفعالا على حسب العادة، وأفعالا خارجة عنه، وقدرته حاکمة على كل سبب ومسبب بعضهما على بعض"^(٤).

وليس "من شرط التخويف ألا يكون له سبب، فإن الله كون العالم على هذا الشكل الذي يوجد فيه كسوف، ولو شاء لكونه على خلاف ذلك"^(٥).

والتخويف الذي يحصل لأهل الإيمان من هذه الآية "من وجوه متعددة، أوضحها: أن ذلك مذكر بالكسوفات التي تكون بين يدي الساعة، ويمكن أن يكون ذلك الكسوف منها، ولذلك قام النبي ﷺ فرعاً يخشى أن تقوم الساعة؛ وكيف لا وقد قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ

الْبَصْرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾^(٦).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢٩١/٢ وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٩٥/٢.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢٩٦/٢.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار المعرفة: ٣٤٧/٢.

(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ١٢٨/٣.

(٦) القيامة: ٧-٩.

وأيضًا فإن كل ما في هذا العالم علويّ وسفليّ دليل على نفوذ قدرة الله تعالى، وتماّم قهره، واستغناؤه، وعدم مبالاته، وذلك كله يُوجب عند العلماء بالله خوفه وخشيته؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١)، وخصّ هنا خسوفهما بالتخويف؛ لأنهما أمران علويان نادران طارئان عظيمان، والنادر العظيم مخوف موجه، بخلاف ما يكثر وقوعه، فإنه لا يحصل منه ذلك غالبًا.

وأيضًا فلما وقع فيهما من الغلط الكثير للأمم التي كانت تعبدهما، ولما وقع للجّهال من اعتقاد تأثيرتهما^(٢).

العاشر: الجزم بوقوع الكسوف:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية الجزم بوقوع الكسوف، ووقوع الكسوف يدرك بالحساب، وليس من علم الغيب والمستقبل، إلا أنه لا يجزم بوقوعه، ولا يصدق القائل به ولا يكذب، لأنه أمر حسابي قد يصيب وقد يخطئ، كأخبار بني إسرائيل^(٣)، وفرق بين من يعلن ذلك ويجزم به، وبين من يخبر عن أهل الحساب أنهم يقولون ذلك^(٤).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن تحديد أهل الحساب لوقت الكسوف: فبين أن حكم ذلك حكم أخبار بني إسرائيل التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»^(٥)، والعلة في ذلك هو احتمال أن يكون ما ذكره حقًا فيكون من كذبهم مكذبًا بحق، أو احتمال أن يكون ما أخبروا به كذبًا فيكون من صدقهم مصدقًا بالكذب.

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥٥٢/٢-٥٥٣، وانظر: فتح الباري: ٥٣٧/٢، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي: ٤٠٦/١، فقد ذكر سبع فوائد لحدوث الكسوف.

(٣) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٢٨/٣.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٦٨/١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب: ﴿ قُلُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ٨٤٨ برقم (٤٤٨٥).

ومثلهم المخبرين عن الكسوف والخسوف قد يكونون مصيبين في حسابهم فيكون مذبذبهم
مكذبًا بصدق، وقد يكونون مخطئين فيكون مصدقهم مصدقًا بالباطل والكذب (١).

الحادي عشر: تحديد عمر الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحديد عمر الشمس في الماضي بـ ٤,٤٩
مليار سنة، وأنها تبقى قريباً من هذا الرقم (٢)، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
(٣).

والله سبحانه وتعالى أخبر أن الساعة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو، قال تعالى:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤)، والشمس إنما تجمع عند قيام الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ﴾ (٦) ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ﴾ (٧) ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (٨) ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩).

الثاني عشر: سب الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية سب الشمس، وقد ورد النهي عن
ذلك، فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الليل ولا النهار، ولا الشمس ولا
القمر، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم، وعذاباً لقوم» (٦).

(١) مجموع الفتاوى: ٢٥٨/٢٤.

(٢) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ٢١٦/٢-٢١٧.

(٣) النمل: ٦٤.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) القيامة: ٦-٩.

(٦) مسند أبي يعلى: ١٣٩/٤ برقم (٢١٩٤)، والطبراني في الأوسط: ٤٣/٧ برقم (٦٧٩٥)، وقال الهيثمي في المجمع

فهي من مخلوقات الله المسيرة بأمره، وسبها يعود على خالقها، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يؤذني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر اقلب الليل والنهار»^(١).

الثالث عشر: مشابحة المشركين في السجود للشمس عند طلوعها أو غروبها:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية مشابحة المشركين في الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ فإنه وقت مقارنة الشيطان للشمس وعند ذلك يسجد لها الكفار، وقد نهي النبي ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات.

"فهذه الصلاة في وقت النهي فيها مصلحة تكثير العبادة، وتحصيل الأرباح، ومزيد الثواب، والتقرب إلى رب الأرباب، وفيها مفسدة المشابحة بالكفار في عبادة الشمس، وفي تركها مصلحة سد ذريعة الشرك، وفطم النفوس عن المشابحة للكفار حتى في وقت العبادة، وكانت هذه المفسدة أولى بالصلاة في أوقات النهي من مصلحتها، فلو شرعت لما فيها من المصلحة لفاتت مصلحة الترك وحصلت مفسدة المشابحة التي هي أقوى من مصلحة الصلاة حينئذ"^(٢)

الرابع عشر: الطعن في القرآن وزعم تناقضه حيث ورد فيه لفظ "المشرق" بصيغة الإفراد، والتثنية، والجمع.

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية زعمهم التناقض في القرآن، فقالوا: إنه ورد في القرآن آيات متناقضة، فورد لفظ المشرق مرة بصيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾^(٣)، ومرة بصيغة التثنية في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٤)،

١٣٧/٨ برقم (١٣٠٠١): "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير، وثقه جماعة وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى بإسناد ضعيف".

(١) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٢/٤ برقم (٢٢٤٦).

(٢) مفتاح دار السعادة: ١٤٦/٢.

(٣) البقرة: ١١٥.

(٤) الرحمن: ١٧.

ومرة بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١)، وهذا تناقض.

وقد بين أهل العلم المراد بذلك، فقالوا: إن قوله: "﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾"^(٢)، المراد به جنس المشرق والمغرب، فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك، فله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم.

وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ومغربهما. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي: مشارق الشمس ومغاربها الثلاثمائة وستون. وقيل: مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها"^(٣).

الخامس عشر: الأقوال والألفاظ المخالفة:

١ - تسمية بعض الزهور بـ"عباد الشمس":

وهذا أمر لا يجوز لأن الزهور لا تعبد الشمس وهو تعبيد لغير الله، وهي إنما تعبد الله ﷻ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٤). وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كمرقبة الشمس، ونحو ذلك من العبارات"^(٥).

(١) المعارج: ٤٠.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) انظر: دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب ل محمد الأمين الشنقيطي: ٢٢، وتفسير ابن كثير: ٤٩٢/٧، فتح الباري: ٤٤٧/٤، وأضواء البيان ٦/٦٧٥.

(٤) فصلت: ٣٧.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١١٨/٣، وانظر: معجم المناهي اللفظية: ٣٧٤.

٢- التسمية بـ "عبد الشمس":

وهذا تعبير لغير الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمون بعضهم عبد الكعبة، كما كان اسم عبد الرحمن بن عوف، وبعضهم عبد شمس، كما كان اسم أبي هريرة، واسم عبد شمس بن عبد مناف، وبعضهم عبد اللات، وبعضهم عبد العزى، وبعضهم عبد مناة وغير ذلك مما يضيفون فيه التعبير إلى غير الله، من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله.

ونظير تسمية النصارى عبد المسيح. فغير النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعبدتهم الله وحده" (١).

(١) مجموع الفتاوى: ٣٧٨/١، وانظر: معجم المناهي اللفظية: ٣٧٦، ٣٨٠.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١ - دعاء النبي ﷺ على الشمس:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: «في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله، لأحرقت ما على الأرض»^(١).

٢ - الشمس والقمر ثوران عقيران في النار:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر ثوران عقيران في النار»^(٢).
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة». فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: أحسبه قال: وما ذنبهما^(٣).

وقد ورد الحديث عند البخاري بلفظ: "الشمس والقمر مكوران"^(٤) يوم القيامة^(٥).

٣ - خشوع الشمس عند تجلي الله:

في بعض ألفاظ حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر حُلُقان من حُلُق الله، وإنهما لا

(١) مسند الإمام أحمد: ٥٢٦/١١ برقم (٦٩٣٤)، وقال محققه: "إسناده ضعيف"، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٢/٥، وقال: "وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدتهما يوم اليرموك، والله أعلم".

(٢) مسند أبي يعلى: ١٤٨/٧ برقم (٤١١٦)، قال ابن الجوزي في الموضوعات ٢٠٦/١: "لا يصح". وقال ابن كثير ٣٢٩/٨: "هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف".

(٣) مسند البزار، للبزار: ٢٤٣/١٥ برقم (٨٦٩٦)، وقال: "هذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روى عبد الله الدانا عن أبي سلمة، إلا هذا الحديث".

(٤) أي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٠٨/٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر: ٦١٥ برقم (٣٢٠٠).

ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله ﷻ إذا تجلّى لشيء من خلقه خشع له»^(١).

٤ - لا تخرج الشمس حتى ينخسها سبعون ألف ملك:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال له: رأيت ما جاء عن النبي ﷺ في أمية بن أبي الصلت، آمن شعره، وكفر قلبه، قال: هو حق فما أنكرتم من شعره؟ قالوا أنكرنا قوله:

والشمس تطلع كل آخر ليلةٍ حمراء يصبح لونها يتوردُ
تأبى فما تطلع لهم في رُسُلها إلا معذبةً وإلا تجلدُ

فما بال الشمس تجلد؟ فقال: والذي نفسي بيده ما طلعت الشمس قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون لها: اطلعي اطلعي، فتقول: لا أطلع على قوم يعبدوني من دون الله، فيأتيها ملك عن الله يأمرها بالطلوع، فتشتعل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن الطلوع، فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تحتها، وما غربت الشمس قط إلا خرت ساجدة، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن السجود فتغرب بين عينيه، فيحرقه الله تحتها"^(٢).

٥ - اعتقاد أن الشمس حبست لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء^(٣)، ثم أرسل علياً

(١) سنن النسائي، كتاب الكسوف، نوع آخر من صلاة الكسوف: ١٧٤ برقم (١٤٨٥)، مسند الإمام أحمد: ٢٩٥/٣٠ برقم (١٨٣٥١)، قال ابن حجر في فتح الباري - عن هذا الحديث وقد نقل عن أبي حامد الغزالي إنكار هذه الزيادة - ٥٣٧/٢: "قد أثبتته غير واحد من أهل العلم، وهو ثابت من حيث المعنى أيضاً". وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ٢/٢٩٦: "وليس الأمر في هذه الزيادة كما قاله أبو حامد فإن اسنادها لا مطعن فيه، رواه كلهم ثقات حفاظ؛ لكن لعل هذه اللفظة مدرجة في الحديث من كلام بعض الرواة، ولهذا لا توجد في سائر أحاديث الكسوف، فقد رواها عن النبي ﷺ بضعة عشر صحابياً... فلم يذكر أحد منهم هذه اللفظة التي ذكرت في حديث النعمان بن بشير، فمن ههنا نخاف أن تكون أدرجت في الحديث إدراجاً". وانظر: مجموع الفتاوى ١٧٧/٣٥.

(٢) الاستذكار: ٣٦٢/١، التمهيد: ٩/٤، وإسناده ضعيف، انظر: فيض القدير: ٥٧/١، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس للعجلوني: ١٩/١.

(٣) موضع قريب من خيبر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ٤٣٥/٣.

في حاجة، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه، فزُدَّ عليه الشمس»^(١).

(١) المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني: ١٤٤/٢٤، ١٤٧ - ١٥٢. وحكم عليه محقق الكتاب بالوضع، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: ٩٢/٣-٩٤ برقم (١٠٦٧، ١٠٦٨)، وحكم عليه محقق الكتاب بالضعف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات: ١١٩/٢ برقم (٦٦٧).

المبحث الثالث

المقام

القمر في اللغة: القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياضٍ في شيء، ثم يتفرّع منه. ومن ذلك القَمَر: قَمَر السَّمَاء، سَمِّي قَمراً لبياضه، وتصغير القمر: قُمير^(١).

وفي الصحاح^(٢): أن القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر سُمِّي قَمراً لبياضه... وليلة قَمْرَاءُ أي مُضِيئة، وأقمرت ليلتنا أي أضاءت، وأقَمَرْنَا أي طلع علينا القَمَر.

وفي الاصطلاح: هو جرم صغير غير ملتهب، كروي الشكل سيار تابع للأرض^(٣).

وفي الموسوعة الفلكية: جسم سماوي يدور حول الأرض... يضيء بواسطة ضوء الشمس المنعكس عليه^(٤).

وقد ورد لفظ القمر في القرآن في (٢٦) موضعاً^(٥)، معظمها جاءت مقترنة بلفظة الشمس في (١٨) موضعاً^(٦).

ووردت في السنة في (٣٢) حديثاً^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٥/٥.

(٢) الصحاح: ٧٩٨/٢.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٣١٨/١٨.

(٤) الموسوعة الفلكية: ٣٤٧.

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٩٠٢.

(٦) المرجع السابق: ٩٠٢.

(٧) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - القمر -:

القمر آية من آيات التي تدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وحكمته، فهو آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾^(١).

وقد سبق في المبحث السابق - عن الآية الكونية الشمس - كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بِأَن الله ﷻ "لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر"^(٢). وقال رَحِمَهُ اللهُ بِأَن عن القمر: "وانظر إلى القمر وعجائب آياته، كيف يُديه الله كالخيوط الدقيق، ثم يتزايد نوره، ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود على حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميّزت به الأشهر والسنون، وقام به حساب العالم مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبير التي لا يُحصيها إلا الله"^(٣).

ولما كان القرآن كثيراً ما يقرن بين الشمس والقمر كان الاستدلال بالقمر على المسائل العقديّة - في مواضع كثيرة - هو نفس الاستدلال بالشمس، وسأشير إلى ذلك - إن شاء الله تعالى -.

أولاً: وجود الله:

(١) يس: ٣٧-٤٠.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٣٠٣/١-٣٠٤.

(٣) المرجع السابق: ٣٠٦/١.

سبق في مبحث الآية الكونية الشمس الاستدلال بها في مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه على وجود الله، وأنه المستحق للعبادة، وكذلك استدل إبراهيم عليه السلام بالقمر من ضمن أدلته على وجود الله وأنه المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾^(١).

كما ذكر في المبحث السابق - الشمس - أن الله تعالى ذكر من الأدلة على وجوده وقدرته التامة العظيمة خلق الشمس، وكذلك في هذا الموضع فإن خلق القمر، وتقديره منازل، وجعله يسير سيراً آخر، يستدل به على مضي الشهور^(٢)، "يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياءً - وإن كان مقتبساً من الشمس - حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم - وهو أصل العذق^(٣) -" (٤)، دليل وأضح بين على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَحُ مِنْهُ النَّهَارَ فِإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾^(٥).

وفي قوله تعالى: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ»^(٦)، "أي دليلان على وجود

(١) الأنعام: ٧٧-٧٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٦/١٥، وتفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٠/١٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٥) يس: ٣٧-٤٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

الحق سبحانه، وقهره، وكمال الإلهية^(١).

ثانياً: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله ﷻ يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك القمر^(٢)، قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾^(٥).

فالقمر مخلوق مدبر مسخر، لا تصرف له في نفسه بوجه ما، بل ربه وخالقه سبحانه يتصرف به كيف شاء، قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٦).

وعن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ^(٧) عَلَيْنَا بِالْيَمَنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»^(٨).

وفي قوله: «رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»، تنزيهه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء،... وعلى

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥٥٢/٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٥٤/٣، وتفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣، ٨٦/٧.

(٣) الصفات: ٥.

(٤) الأنبياء: ٣٣.

(٥) نوح: ١٥-١٦.

(٦) الأعراف: ٥٤.

(٧) كذا عند الترمذي، وعند أحمد "أهله".

(٨) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال: ٥٤٥ برقم (٣٤٥١)، والمسند: ١٧/٣ برقم

(١٣٩٧)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال ابن علان في "الفتوحات الربانية" ٣٢٩/٤: "إنما حسنه

الترمذي لشواهد، وقول الترمذي: غريب، أي: بهذا السند"، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤٣٠/٤ برقم (١٨١٦).

أن التوجه فيه إلى الرب لا إلى المربوب، والالتفات في ذلك إلى صنع الصانع لا إلى المصنوع^(١). ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبر، فعن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله»^(٢).

"لأنه آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، والتكبير تعظيم لله، واعتقاد أنه أكبر من كل شيء، وأنه لا شيء أكبر منه"^(٣).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١ - صفة العلم والقدرة:

قد سبق في مبحث الشمس بيان الاستدلال بخلقها على كمال قدرة الله وعلمه، وعظيم سلطانه، وأن في جعله الشمس ضياءً والقمر نوراً، وفي جريانها على نظام واحد، دليل من أعظم الدلائل على علم الله وقدرته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۗ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۗ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤)، دليل على قدرته وعلمه، حيث جعل "سلطان القمر بالليل، وقدره منازل، فأول ما يبدو صغيراً، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر"^(٥).

وفي آية أخرى بعد أن ذكر التقدير للشمس والقمر، بين أن هذا التقدير من عزيز عليهم،

(١) فيض القدير: ١٣٥/٥.

(٢) سنن الدارمي، كتاب الصوم، باب ما يقال عند رؤية الهلال: ٧/٢ برقم (١٦٨٧)، قال الألباني: "حديث صحيح بشواهده". انظر: الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الألباني: ١٣٩.

(٣) فقه الأديعية والأذكار، لعبد الرزاق البدر: ٢٥٤/٣.

(٤) يس: ٣٩-٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤٨/٤.

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

٢- صفة الرؤية والعلو:

سبق في مبحث الشمس بيان الاستدلال بها على صفة الرؤية والعلو، وحيث قرن القمر بالشمس في نفس الحديث؛ فإنه يستدل به نفس الاستدلال من إثبات رؤية الله تعالى وعلوه، وأن المؤمنين يرون ربه كما يرون الشمس والقمر صحواً ليس دونها سحاب، ومن جهة العلو.

رابعاً: توحيد الألوهية:

سبق في مبحث الشمس الاستدلال بها على توحيد الألوهية، وحيث قرن القمر بالشمس في الآيات القرآنية كان وجه الدلالة منه على توحيد الألوهية هو نفس وجه دلالة الشمس على توحيد الألوهية، فإن الخالق لهذه الآية الكونية - القمر - المسخر له هو المستحق للعبادة، والذي يجب أن يفرد بالعبادة كما أنه المتفرد بالخلق والتسخير.

قال تعالى: ﴿وَلِإِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ^(٣).

١- بعض أنواع العبادات القلبية:

أ- الاستعاذة بالله:

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) العنكبوت: ٦١.

(٣) لقمان: ٢٩-٣٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿١﴾، والغاسق: القمر، وإذا وقب: أي دخل في الخسوف، وأخذ الغيبوبة وأظلم، أو دخل في الظلمة (٢).

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من القمر إذا وقب، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» (٣).

ب- اليقين والإخلاص:

إن رؤية الآيات الكونية - ومنها القمر - والتفكر فيها يزيد القلب يقيناً وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٤﴾، "أي نريه ذلك ليكون عالماً وموقناً" (٤).

ثم ذكر الله ﷻ قول إبراهيم عليه السلام بعد غياب القمر، وأنه تبرأ من الشرك، ووجه وجهه لله ﷻ، مخلصاً له، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِي إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾.

وفي حديث الكسوف حث النبي ﷺ عند رؤية هذه الآية إلى الإخلاص لله، حيث أمر

(١) الفلق: ١-٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٣٠، وتفسير البغوي: ٧٢٥/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٣٥/٨.

(٣) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين: ٥٣٣ برقم (٣٣٦٦)، والمسند: ٨/٤٣ برقم (٢٥٨٠٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وانظر: السلسلة الصحيحة: ١/٧١٤ برقم (٣٧٢).

(٤) الأنعام: ٧٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٣.

(٦) الأنعام: ٧٧-٧٨.

بالمبادرة بالعبادة لله تعالى^(١).

٢ - القسم:

سبق في المبحث السابق: الشمس إقسام الله بها، وحيث قرن القمر بالشمس، فإنه ذكر معها في الآيات المقسم بها، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝٢﴾.^(٢) كما أقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، على أن سقر - جهنم - إحدى الأمور العظام، لاشتمال هذه المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه^(٣)، فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٤﴾.^(٤)

٣ - التوسل:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان أن من دعاء النبي ﷺ: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»^(٥). وأن هذا توسل إلى الله ﷻ بما وصف من أفعاله به نفسه - ومنه جعل الشمس والقمر حسبانا - في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٣/٣٣٦.

(٢) الشمس: ١-٢.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤/٥٠٦، وتفسير السعدي: ١/٨٩٧.

(٤) المدثر: ٣٢-٣٥.

(٥) رواه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء: ١٨٩ برقم (٥٠٦)، قال ابن عبد البر: "لم تختلف الرواة عن مالك في إسناد هذا الحديث ولا في متنه، ورواه أبو شيبة عن أبي خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن يسار". انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر: ٥٠/٢٤، والمصنف لابن أبي شيبة: ١١/١٥ برقم (٢٩٨٠٣).

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾.

خامساً: الإيمان بالرسول:

قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢)، وقد كان هذا في زمن رسول الله ﷺ وهو من الأدلة والآيات البينة على نبوة محمد ﷺ.

فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾»^(٤).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقيين، حتى رأوا حِراءَ بينهما^(٥).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(٦).

وفي شمائل الرسول ﷺ وصف وجهه كأنه قطعة قمر، ففي قصة توبة كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»^(٧).

وقد سئل البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) القمر: ١.

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٢/٢٦٢، وتفسير ابن كثير: ٧/٤٧٢، ٤٧٥، والبراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية: ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر: ٤/٢١٥٨-٢١٥٩ برقم (٢٨٠٠، ٢٨٠٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: ٧٣٣ برقم (٣٨٦٧).

(٦) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر: ٤/٢١٥٨-٢١٥٩ برقم (٢٨٠٠، ٢٨٠٢).

(٧) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: ٦٨١ برقم (٣٥٥٦).

القمر»^(١).

"كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: بل مثل القمر، أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان"^(٢).

سادساً: الإيمان باليوم الآخر:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان الاستدلال بها على الإيمان باليوم الآخر، وحيث قرن القمر بالشمس؛ فإنه يستدل به على الإيمان باليوم الآخر بنفس الاستدلال بالشمس.

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أنه يفصل الآيات - ومنها القمر - لعل الناس يوقنون بقاء ربهم،

فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ثم قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ

تُوقِنُونَ﴾^(٣) أي "يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجاً بها عليكم، أيها الناس،

لتوقنوا بقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك"^(٤).

وكما ذكر أيضاً في المبحث السابق: الشمس^(٥)، وجه الدلالة على البعث، من جهة أن

الذي خلق هذه الآيات العظيمة - ومنها الشمس والقمر - قادر على البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

وفي بيان أول زمرة^(٦) تدخل الجنة بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم على صورة القمر، فقال: «إن أول زمرة

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٦٨١: برقم (٣٥٥٢).

(٢) فتح الباري: ٥٧٣/٦، ١٢٢/٨، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١١٠/٢٤.

(٣) الرعد: ٢.

(٤) تفسير الطبري: ١١٥/١٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٠/٤.

(٥) ص: ٢٦٤.

(٦) الزمرة: الجماعة في تفرقة بعضها في اثر بعض. انظر: شرح النووي على مسلم: ٩٠/٣.

تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً زمرة واحدة، منهم على صورة القمر» الحديث^(٢).

" يعني: أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وكمالها، وهي ليلة أربعة عشر، وبذلك سمي القمر بدرًا في تلك الليلة، ومقتضى هذا أن أبواب الجنة متفاوتة بحسب درجاتهم " ^(٣).

وقد أقسم الله تعالى بآيات الليل - ومنها القمر إذا امتلأ نورًا بإبداره^(٤) - على ركوب الناس أطواراً متعددة، وأحوالاً متباينة، من خلق في مراحل متعددة، ثم موت، ثم بعث ومجازاة، وهذه الأمور دالة على أن الله وحده هو المعبود، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وعلى البعث

والجزاء^(٥)، قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ ۱٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ ۱٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ ۱٨﴾^(٦).

سابعاً: الإيمان بالقدر:

سبق في المبحث السابق: الشمس الاستدلال بها على الإيمان بالقدر، وحيث قرن القمر بالشمس فإنه يستدل به نفس الاستدلال بالشمس على الإيمان بالقدر من جهة خلق الله للأشياء ومنها القمر، وتسخييره له على مقتضى حكمته، وأن ذلك بتقدير من العزيز العليم، قال تعالى:

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة: ٤/٢١٧٨ برقم (٢٨٣٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب: ١/١٩٨ برقم (٢١٧).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/١٧٩، وانظر: فتح الباري: ١١/٤١٣.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/٣٥٩.

(٥) تفسير السعدي: ١/٩١٨.

(٦) الانشقاق: ١٦-١٩.

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾.

(١) يس: ٣٩-٤٠.

(٢) الأنعام: ٩٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية:

أولاً: عبادة القمر:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية أنها عبدت من دون الله ﷻ ، فجعلوا القمر إلهاً ورباً^(١)، وجعلوا له مصحفاً، ويسبحون له ويدعونه.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر»^(٢).

وسبق في المبحث السابق: الشمس كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن تعظيم المشركين للشمس والقمر والكواكب، وأنهم يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

وأنهم جعلوا للقمر مصحفاً، وتسبيحة خاصة، وأن في مصحف القمر من مخاطبته بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله ﷻ ، ولا ينبغي لأحد سواه، ومن الخضوع والذل والعبادة.

وسبق بيان أنهما مخلوقان من مخلوقاته، تحت قهره وتسخييره، وأنهما يسجدان لخالقهما،

وأن الله نهي عن عبادتهما والسجود لهما، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾^(٤).

وفي حديث رؤية الهلال^(٥): قوله: «ربي وربك الله»: "فيه إثبات أن الناس والقمر وجميع

(١) ومنهم الصابئة، وعبدة الكواكب في الهند - الجندريكنية. انظر: الملل والنحل: ١٢٩٢/٢، والموسوعة العربية:

٣٣٠/١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١٦٣/١ برقم (١٨٢).

(٣) فصلت: ٣٧.

(٤) الحج: ١٨.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال: ٥٤٥ برقم (٣٤٥١)، والمسند: ١٧/٣ برقم

المخلوقات كلها مربوبة لله مسخرة بأمره خاضعة لحكمه، وفي هذا رد على من عبدها من دون الله.

وفيه إقتداء النبي ﷺ بأبيه إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(١)، بعد قوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٢) " (٣).

ثانياً: نسبة الحوادث إلى حركة القمر:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان أن من المخالفات العقدية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس، وما تقتضيه هذه الحركة من السعود والنحوس، وما تعطيه من السعادة والشقاوة، وتهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر.

وبيان أنه ليس في القرآن ولا السنة ما يدل على ذلك، بل فيهما ما يبطله ويرده، وقد بين النبي ﷺ في حديث الكسوف بطلان ما يعتقد أهله الجاهلية من أن كسوف الشمس أو القمر لموت أحد أو حياته، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته»^(٤).

وكذلك يقال في القمر، وأن حركته ليس لها تأثير في الحوادث، وأن القمر مسخر بأمر الله^(٥)، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ

(١٣٩٧)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال ابن علان في "الفتوحات الربانية" ٣٢٩/٤: "إنما حسنه

الترمذي لشواهده، وقول الترمذي: غريب، أي: بهذا السند". وانظر السلسلة الصحيحة: ٤٣٠/٤ برقم (١٨١٦).

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٦.

(٣) فيض القدير: ١٣٥/٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢٩٨/٢-٢٩٩.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

ثالثاً: تحريف معنى سجود القمر:

سبق في المبحث السابق: الشمس، بيان أن من المخالفات العقدية تحريف معنى سجود الشمس الوارد في الكتاب والسنة، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢). فقال بعضهم: أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد، وقيل: المراد بالسجود الدلالة على الله.

وكذلك قيل في سجود القمر.

والجواب أن هذه الآيات الكونية^(٣) تسجد لله سجوداً حقيقياً الله أعلم بكيفيته، وأن هذا السجود من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها ونسلم، وأن كل شيء يسجد لله طوعاً وكرهاً، وأن وسجود كل شيء مما يختص به^(٤)، كما قال تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٥).

رابعاً: اعتقاد أن اسم الله مكتوب على القمر، أو أن نوره من نور الله:

سبق في المبحث السابق: الشمس أن من المخالفات العقدية اعتقاد أن اسم الله مكتوب

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) انظر: مبحث عبودية الكائنات في أصل الكتاب.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٥.

(٥) الإسراء: ٤٤.

على الشمس، أو نورها من نور الله، ولذلك نهى بعض الفقهاء عن استقبال الشمس وقال في علة ذلك: أن اسم الله مكتوب عليها، ومنهم من قال لأن نورها من نور الله. وكذلك قيل في القمر، أن اسم الله مكتوب عليه، أو أن نوره من نور الله^(١)، وهذا لم يثبت به حديث عن النبي ﷺ^(٢).

خامساً: إنكار كون خسوف القمر آية من آيات الله يخوف الله به عبادة:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان أن من المخالفات العقدية إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات الله يخوف بها عباده، وأن هذا أمر طبيعي. وبينت فيه منزلة الأسباب في الشريعة، وأن الناس في هذا المقام طرفان ووسط: الطرف الأول: غلا في إثبات الأسباب، وأن هذه أمور طبيعية. والطرف الثاني: أنكر الأسباب، ورد جميع ما قاله أهل الهيئة من حق وباطل. والوسط: أن كسوف الشمس له أسباب حسية يقدرها الله ﷻ، وأنه آية يخوف الله بها عبادة.

وأن أسباب الكسوف وحسابه والنظر في ذلك ليس من علم الغيب، وأن حدوث الكسوف آية يخوف الله بها عبادة، وأن ذلك لا يتعارض مع الأسباب الحسية ومعرفتها. وأنه ليس من شرط التخويف أن لا يكون له سبب. وأن التخويف الذي يحصل لأهل الإيمان من هذه الآية من وجوه متعددة، أوضحها: أن ذلك مذكر بالكسوفات التي تكون بين يدي الساعة، ويمكن أن يكون ذلك الكسوف منها، ولذلك قام النبي ﷺ فرعاً يخشى أن تقوم الساعة، وكيف لا وقد قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ

﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾؟^(٣)

وكذلك يقال في خسوف القمر، وأنه آية من آيات الله يخوف الله به عباده.

(١) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع: ٧٦/١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٨٦/٢.

(٣) القيامة: ٧-٩.

سادساً: الجزم بوقوع الخسوف:

سبق في المبحث السابق: الشمس أن من المخالفات العقدية الجزم بوقوع الكسوف، وبيان أن معرفة وقوع الكسوف لا يلزم منه وقوعه، وأن أخبار الحسابين كأخبار بني إسرائيل، لا تصدق ولا تكذب.

وكذلك يقال في خسوف القمر، وأنه لا يجوز الجزم بوقوعه، وأن أمر الحسابين في ذلك لا يصدق، ولا يكذب.

سابعاً: إنكار انشقاق القمر:

إن من دلائل نبوة محمد ﷺ انشقاق القمر له عليه الصلاة والسلام، وقد أنكر كفار

قريش ذلك، وقالوا: إنه سحر^(١)، قال تعالى: ﴿أَفَتَرَبِّ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرِ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت

قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة.

قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السَّقَّار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

قال: فجاء السَّقَّار فقالوا: ذلك"^(٣).

ثامناً: سب القمر:

(١) انظر: دلائل النبوة: ٢٦٢/٢، ومنهج المدرسة العقلية: ٥٨٣.

(٢) القمر: ١-٢.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ٢٣٦/١ برقم (٢٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٦٢/٢، والبخاري تعليقا، كتاب

مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: ٧٣٤ برقم (٣٨٦٩)، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٧٤/٧، وتعليق التعليق على

صحيح البخاري للحافظ لابن حجر: ٨٨/٤.

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان أن من المخالفات العقديّة سب الشمس، وذكر الحديث الوارد في ذلك، وفيه النهي أيضاً عن سب القمر، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الليل ولا النهار، ولا الشمس ولا القمر، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم، وعذاباً لقوم»^(١).

وبيان أن سبها يعود على خالقها، وأن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «يؤذني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر اقلب الليل والنهار»^(٢).

تاسعاً: استقبال القمر عند الدعاء كاستقبال القبلة عند الصلاة:

من المخالفات العقديّة المتعلقة بهذه الآية الكونية استقبال الهلال عند الدعاء كما تستقبل القبلة عند الصلاة، "وكل ذلك لا يجوز؛ لما تقرر في الشرع أنه لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة"^(٣).

عن علي رضي الله عنه قال: «إذا رأى أحدكم الهلال فلا يرفع به رأساً، بل يكفي أحدكم أن يقول: ربي وربك الله»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه كره أن ينتصب للهلال، ولكن يعترض فيقول: الله أكبر الحمد لله الذي أذهب هلال كذا وكذا، وجاء بهلال كذا وكذا»^(٥).

(١) مسند أبي يعلى: ١٣٩/٤ برقم (٢١٩٤)، والطبراني في الأوسط: ٤٣/٧ برقم (٦٧٩٥)، وقال الهيتمي في المجمع ١٣٧/٨ برقم (١٣٠٠١): "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير، وثقه جماعة وضعفه جماعة، وبقيه رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى بإسناد ضعيف".

(٢) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٢/٤ برقم (٢٢٤٦).

(٣) تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني على كتاب الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣٩.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ١٥٨/٤ برقم (٩٨١٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ١٦٠/٤ برقم (٩٨٢٦).

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- سحر القمر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كُسِفَ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سُحِرَ القمر، فنزلت: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١)». (٢).

٢- الشمس والقمر ثوران عقيران في النار:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان ضعف الحديث الوارد في ذلك وأنه لا يصح.

٣- خشوع القمر عند تجلي الله:

في بعض ألفاظ حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر خَلَقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا بَجَّلَى لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ لَهُ». وسبق في المبحث السابق: الشمس بيان ضعف هذا الزيادة في الحديث وأنها لا تصح.

(١) القمر: ١-٢.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ١١/٢٥٠ برقم (١١٦٦٨).

المبحث الرابع

النجم

النجم في اللغة:

النون والجيم والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على طلوع وظهور، وَنَجَمَ النَّجْمُ: طَلَعَ، ونجم السن والقرنُ: طلعا.

والنجم الثريا، اسم لها. وإذا قالوا طلع النجم، فإنهم يريدونها. وليس لهذا الحديث نجم، أي أصل ومَطَّلَعٌ^(١).

وفي الصحاح: النجم: الكوكب. والنجم الثريا، وهو اسم لها علم، فإذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا، وإن أخرجت منه الألف واللام تَنَكَّرَ^(٢).

وفي الاصطلاح: النَّجْمَةُ كَرَّةٌ ضَخْمَةٌ مِنْ غَازٍ مَتَوَهِّجٍ فِي السَّمَاءِ^(٣).

وفي الموسوعة الفلكية: النجم: كرة غازية مضيئة، وذات درجة حرارة عالية^(٤).

النوء في اللغة:

نوى: النون والواو والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على معنيين: أحدهما مَقْصَدٌ لشيء، والآخر عَجْمٌ شيء.

وبالهمز كلمة تدلُّ على التُّهُوضِ وناءَ ينوءُ نوءاً: نَهَضَ... والتَّوؤُ من أنواعِ المطرِ كأنَّه ينهَضُ بالمطر^(٥).

وفي الصحاح: نوأ: ناء ينوء نوءاً: نهض بجهد ومشقة. وناء: سقط وهو من الأضداد، والنوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبته من الشرق يقابله من ساعته،

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣٩٦/٥-٣٩٧.

(٢) الصحاح: ٢٠٣٩/٥.

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٢٥/٢٢٧.

(٤) الموسوعة الفلكية: ٥٢٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٣٦٦/٥.

والجمع أنواعاً^(١).

الكوكب في اللغة:

في معجم مقاييس اللغة: معنى كوكب في مادة "كب"، وهذا الباب أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، ولا يشذ منه شيء، يقال لما تجتمع من الرمل كُباب، ومن الباب كوكب الماء وهو معظمه... والكوكب يسمى كوكباً من هذا القياس^(٢).

وفي الصحاح: الكوكب النجم، يقال كوكب وكوكبة، كما قالوا: بياض وبياضة، وعجوز وعجوزة. وكوكب الشيء: معظمه^(٣).

وقد ورد لفظ النجم في القرآن في (٤) مواضع، وبلفظ الجمع في (٩) مواضع^(٤)، أما لفظ النوء فلم يرد في القرآن.

وأما لفظ الكوكب فقد ورد في القرآن في (٣) مواضع، وبلفظ الجمع في موضعين^(٥). وقد وردت النجوم والكواكب في السنة في (٦٠) حديثاً^(٦).

(١) الصحاح: ٧٨/١-٧٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ١٢٤/٥.

(٣) الصحاح: ٢١٣/١.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٦١.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٧٩٠.

(٦) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - النجم:-

النجم آية من آيات الله التي تدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وحكمته، فهو آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، وقد ذكرها الله ﷻ ضمن جملة من آياته في سورة النحل، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(١)، ثم قال: ﴿ وَعَلَّمْتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۗ ﴾^(٢).

وقد سبق في المبحثين السابقين - عن الآيتين الكونية الشمس والقمر - كلام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - بأن الله ﷻ لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر.

"وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره، ولهذا يعظم هذا القسم"^(٣) كقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۗ ﴾^(٥).

أولاً: وجود الله:

(١) النحل: ١٢.

(٢) النحل: ١٦-١٧.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٣٠٤/١.

(٤) الواقعة: ٧٥-٧٦.

(٥) النجم: ١.

سبق في المبحثين السابقين - الشمس والقمر - الاستدلال بهما في مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه على وجود الله ووحدانيته، وأنه المستحق للعبادة^(١)، وكذلك استدلال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكوكب - وهو النجم - من ضمن أدلته على وجود الله وأنه المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾^(٢).

وهذه النجوم التي خلقها الله، وجعلها مصابيح وزينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، "من أدل الدلائل على وجود الخالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته"^(٣).

ثانياً: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله عَزَّ وَجَلَّ يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك النجوم^(٤)، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَتِ

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٣.

(٢) الأنعام: ٧٥-٧٩.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٣٢٦/١.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٦٥٤/٣، وتفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣، ٨٦/٧.

(٥) النحل: ١٢.

وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)، فدلائل "التسخير والاضطرار عليها من لزومها حركة لا سبيل لها إلى الخروج عنها، ولزومها موضعا من الفلك لا تتمكن من الانتقال عنه، واطراد سيرها على وجه مخصوص لا تفارقه البتة أبين دليل على أنها مسخرة مقهورة على حركاتها، محرقة بتحريك قاهر لا متحركة بإرادتها واختيارها" (٣).

فلا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يتصرف بها كيف شاء، وهذا من أدلة ربوبية الله ووحدانيته، ومن أعظم الأدلة "وأوضحها على أن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره أحسن تقدير، ونظمه أحسن نظام، وأن الخالق له يستحيل أن يكون اثنين، بل إله واحد لا إله إلا هو، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا" (٤).

وقد أخبر الله ﷻ بأنه رب الشعري - وهو نجم-، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

الشَّعْرَىٰ﴾ (٥)، "وخصها الله بالذكر، وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلها مع الله" (٦).

وأقسم الله ﷻ بالنجوم، وعظم ذلك القسم، قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ

(١) النحل: ١٦-١٧.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) مفتاح دار السعادة: ١٧٩/٢.

(٤) المرجع السابق: ٣١٩/١.

(٥) النجم: ٤٩.

(٦) تفسير السعدي: ٨٢٢، وانظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٧.

النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ ﴿١﴾، وهو "سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته" (٢).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾، لما ذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة - ومنها النجوم-، وما أنعم به من النعم العظيمة، ذكر أنه لا يشبهه أحد، وأنه الخالق لجميع المخلوقات، وهو الفعال لما يريد، فكما أنه المنفرد بالخلق والتدبير فهو أحق بالعبادة كلها، وهو واحد في خلقه وتدبيره وواحد في إلهيته وتوحيده وعبادته (٤).

١- اليقين والإخلاص:

سبق في المبحثين السابقين الشمس والقمر بيان أن رؤية الآيات الكونية - ومنها الشمس والقمر - والتفكر فيها يزيد القلب يقيناً وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٥﴾﴾، "أي نريه ذلك ليكون عالماً وموقناً" (٦).
وبيان قول إبراهيم عليه السلام بعد غياب الشمس والقمر، وأنه تبرأ من الشرك، ووجه وجهه لله عز وجل، مخلصاً له.

وفي أول الآيات ذكر الله عز وجل قول إبراهيم - عليه السلام - عن الكوكب - وهو النجم-

(١) الواقعة: ٧٥-٧٦.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٣٠٥/١.

(٣) النحل: ١٦-١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٤، تفسير السعدي: ٤٣٧.

(٥) الأنعام: ٧٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٣.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿١﴾﴾.

ثم ذكر بعدها توجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه، وبراءته من الشرك وإخلاصه العبادة للذي فطر السماوات والأرض: ﴿قَالَ يَنْقُومِ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا دُشِرُكُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَيَّ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

٢ - القسم:

الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يجوز له أن يقسم إلا بالخالق وأسمائه وصفاته^(٣).

وقد أقسم الله تعالى بالنجم عند هويته أي سقوطه في الأفق في آخر الليل، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾، كما أقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من النجوم فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٥﴾﴾.

" لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به"^(٦)، وغاية هذا الإقسام من الله " التنبية على كمال ربوبيته وعزته وحكمته وقدرته وتدبيره، وتنوع مخلوقاته الدالة عليه المرشدة إليه، بما تضمنته من عجائب الصنعة، وبديع الخلق، وتشهد لفاطرها وبارئها بأنه الواحد الأحد

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٨-٧٩.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ٥٩٠.

(٤) النجم: ١-٤.

(٥) الطارق: ١-٤.

(٦) تفسير السعدي: ٨١٨.

الذي لا شريك له، وأنه الكامل في علمه وقدرته ومشئته وحكمته وربوبيته وملكه، وأنها مسخرة مذلة منقادة لأمره، مطيعة لمراده منها"^(١).

رابعاً: الإيمان بالكتب:

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾^(٢).

لما قال الكفار ما قالوا عن القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة^(٣) أقسم الله تعالى بالنجوم ومواقعها أي مساقطها في مغاربها، وعظم هذا المقسم به "لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرا لا يمكن حصرها"^(٤).

أقسم بذلك على "إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم"^(٥)، في كتاب معظم محفوظ موقر.

وسبق بيان إقسام الله تعالى بالنجم عند هويته، ومن جملة المقسم عليه " صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم"^(٦).

خامساً: الإيمان بالرسول:

كان من علامة مبعث النبي ﷺ رمي الجن بالنجوم، ومنعها من استراق السمع، عن ابن

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/٢٦٤.

(٢) الواقعة: ٧٥-٧٨.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤/٣١٤، وتفسير ابن كثير: ٧/٥٤٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٣٦.

(٥) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ٤/٥٠.

(٦) تفسير السعدي: ٨١٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٧.

عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: « كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين أراه قال: بمكة، فلقوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»^(١).

وسبق بيان إقسام الله تعالى بالنجم عند هويته، ومن جملة المقسم عليه "تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغي في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً، حسن القصد، ناصحاً للأمة بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد"^(٢).

سادساً: الإيمان بالملائكة:

سبق في مبحث الآية الكونية القمر بيان الإقسام من الله ﷻ بالسماء والطارق، والمقسم عليه أن كل نفس عليها من الله حافظ من الملائكة يحرسها من الآفات^(٣)، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤).

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:

أخبر النبي ﷺ أن الجنة درجات، وأن أهل الدرجات العلى يراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ: ٥١٢ برقم (٣٣٢٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ومسنده الإمام أحمد: ٢٨٣/٤ برقم (٢٤٨٢)، ١٢٥/٥ برقم (٢٩٧٦)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) تفسير السعدي: ٨١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٣٠، تفسير البغوي: ٥٩٣/٤.

(٤) الرعد: ١١.

أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم وأنعما»^(١).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون العُرْفَةَ في الجنة، كما تراؤون الكوكب في السماء»^(٢).

وفي بيان صورة أهل الجنة عند دخولهم الجنة بين ﷺ أن الزمرة الثانية على أشد نجم في السماء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»^(٣).

وفي حديث آخر بين ﷺ أنهم على صورة أضواء كوكب دري، فقال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»^(٤).

وأخبر ﷺ أنه أعطي الحوض، وأن عدد آنيته عدد النجوم، وفي رواية أكثر من عدد النجوم، فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بيننا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم

رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آتفا سورة فقراً: ﴿إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٥﴾﴾، ثم

قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ، عليه خير

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ٥٧٣، برقم (٣٦٥٨)، وقال: هذا حديث حسن روي من غير وجه، ومسند الإمام أحمد: ٣١٠/١٧ برقم (١١٢١٣)، قال المحقق: حسن لغیره، وقال البغوي في شرح السنة: ٩٩/١٤ برقم (٣٨٩٢): هذا حديث حسن.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء: ٢١٧٧/٤ برقم (٢٨٣٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم: ٢١٧٨/٤ برقم (٢٨٣٤).

(٤) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة: ٢١٧٨/٤ برقم (٢٨٣٤).

(٥) الكوثر: ١-٣.

كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج (١) العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي؟ فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» (٢).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طولها، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل» (٣).

ثامناً: منزلة الصحابة:

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (٤).

في هذا الحديث تشبيه منزلة الصحابة للأمة بمنزلة النجوم للسماء (٥)؛ فالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وكذلك الصحابة، والنجوم زينة للسماء، ورجوم للشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع لئلا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد إلى الرسل من الله على أيدي ملائكته، وكذلك الصحابة زينة للأرض ورجوماً للشياطين الإنس والجن الذي يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً (٦)، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضل الهداة، وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في

(١) أي يجتذب ويفتطع، وأصل الخلج: الجذب والزرع. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥٩/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال بالبسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: ٣٠٠/١ برقم (٤٠٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته: ١٧٩٨/٤ برقم (٢٣٠٠).

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة: ١٩٦١/٤ برقم (٢٥٣١).

(٥) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي: ٤٣٧.

(٦) انظر: مفتاح دار السعادة: ١٠٩/١.

أقطار الأرض" (١).

تاسعاً: النهي عن مشابهة المشركين واليهود والنصارى:

سبق في المبحث السابق: الشمس الاستدلال بها على النهي عن مشابهة المشركين في السجود لها عند غروبها، وفيما يتعلق بالنجم ورد في الحديث أن النبي ﷺ نهي عن الصلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد، وهو النجم - وسمي النجم شاهداً ؛ لأنه يشهد بمغيب الشمس ودخول الليل (٢).

عن أبي بصرة الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بالمخَّمَص (٣) فقال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد» (٤).

كما أن النبي ﷺ أخبر أن تأخير الفطر حتى تشتبك النجوم وكذلك تأخير صلاة المغرب عادة أهل الكتاب - اليهود والنصارى - وقد أمرنا بمخالفتهم (٥)، قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير - أو قال على الفطرة - ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم» (٦)، وكذلك فعلت الرافضة (٧)، فالحديث «يدل على استحباب المبادرة بصلاة المغرب وكراهة تأخيرها إلى اشتباك النجوم،

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري: ٢٢٧/١٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٤٥٨/٣.

(٣) بقاء معجمة: طريق في جبل عير إلى مكة. انظر: معجم البلدان: ٧٣/٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها: ٥٦٨/١ برقم (٨٣٠).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية: ٣١/١.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في وقت المغرب: ٧٠ برقم (٤١٨)، ومسند الإمام أحمد: ٥٦٤ / ٢٨ برقم (١٧٣٢٩)، وقال محققه: إسناده حسن، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن أبي داود: ٨٤/١.

(٧) الرافضة: طائفة من أهل البدع والضلال، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الشيخين، وهم يعرفون اليوم بالشيعية والإمامية، والاثني عشرية والجعفرية، وأصولهم أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامية، وقد ستروا تحت كل واحد منها بعض بدعهم، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم.

انظر: فرق الشيعة للنوختي ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: ٦٥/١، الفرق بين الفرق: ٢٩، الفصل في

الملل والنحل: ٣٥/٥.

وقد عكست الروافض القضية فجعلت تأخير صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم، مستحبا والحديث يرده»^(١).

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب العظيم آبادي، تحقيق: ٨٧/٢. وانظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام
لمحمد بن إسماعيل الصنعاني: ٣١٣/٢.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النجم -:

أولاً: عبادة النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر، بيان أنهما عبدا من دون الله ﷻ، وأنهما جعلتا آلهة وأرباباً^(١)، وجعلوا لهما مصحفاً، ويسبحون لهما ويدعونهما.

كما سبق أيضاً في المبحثين السابقين: الشمس والقمر كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن تعظيم المشركين للشمس والقمر والكواكب، وأنهم يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تساييح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

وأنهم جعلوا للكواكب مصحفاً، وتسيحة خاصة، وأن في مصحف الكواكب من مخاطبته بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله ﷻ، ولا ينبغي لأحد سواه، ومن الخضوع والذل والعبادة.

وهذه النجوم والكواكب من مخلوقات الله، تحت قهره وتسخيره، وتسجد لخالقها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۗ﴾^(٢).

ثانياً: نسبة الحوادث إلى حركة النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر بيان أن من المخالفات العقدية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس والقمر، وما تقتضيه هذه الحركة من السعود والنحوس، وما تعطيه من السعادة والشقاوة، وهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر.

وكذلك يقال في نسبة الحوادث والسعود والنحوس إلى النجوم والبروج، فقد جعلوا لكل

(١) انظر: الملل والنحل: ١٢٩٢/٢، والموسوعة العربية العالمية: ٦٠٣/١.

(٢) الحج: ١٨.

نجم ولكل برج من البروج تأثيراً في الحوادث وعلامة عليها، وربط لها بالاعتقادات الباطلة. وقد كانت العرب إذا رمي بنجم تقول: ولد رجل عظيم، أو مات رجل عظيم، وتدعي نسبة ما يحدث في هذه المدة من مطر أو ريح أو برد أو حر إلى النجم الساقط، أو النجم الطالع^(١).

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته؛ ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلوونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون^(٢) فيه ويزيدون^(٣).

وعلم التنجيم ينقسم إلى قسمين^(٤):

الأول: علم التأثير، وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فهذا محرم باطل، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(٥).

(١) انظر: كتاب الاستذكار، كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم: ١٥٣/٧.

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم ٢٢٦/١٤: هذه اللفظة ضبطوها من رواية صالح على وجهين: أحدهما: بالراء والثاني بالذال، ووقع في رواية الأوزاعي وابن معقل الراء باتفاق النسخ، ومعناه يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى يقذفون.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان: ١٧٥٠/٤ برقم (٢٢٢٩).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٤٤١، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ٥١٩/١.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم: ٤٢٨ برقم (٣٩٠٥)، وسنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب في تعلم

وقال ﷺ في الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»^(١)، فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثاني: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجبا أحيانا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتِ بِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ونسبة الحوادث إلى الكواكب على أقسام^(٥):

القسم الأول: نسبة الفعل للكوكب، وادعاء أنه هو يفعل بذاته فهذا كفر أكبر؛ لأن

الخلق والأمر لله وحده، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٦).

القسم الثاني: اعتقاد أن الفعل من عند الله، مع نسبته إلى الكوكب والنوء نسبة سبب،

فهذا من الشرك الأصغر، وقد دلت الأدلة على تحريمه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾^(٧)، فهذه الآية نزلت في الذين يقولون:

مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبونه إلى الله تعالى.

النجوم: ٤٠٠ برقم (٣٧٢٦)، والإمام أحمد في مسنده: ٤١/٥ برقم (٢٨٤٠)، وقال محققه: إسناده صحيح.

وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٧٣٩/٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

(٢) انظر: المغني: ١٠٢/٢ وما بعدها، وروضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي: ٢١٧/١.

(٣) النحل: ١٦.

(٤) الأنعام: ٩٧.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٤، والقول المفيد: ٣١/٢، والتنجيم والمنجمون وحكم الإسلام في ذلك: ١٥٢ وما بعدها.

(٦) الأعراف: ٥٤.

(٧) الواقعة: ٨٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبح من الناس شاکر ومنهم کافر». قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ ^(١) «^(٢)».

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» ^(٣).

القسم الثالث: جعل الأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليه لا قولاً ولا اعتقاداً، وهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ^(٥).

وقد دلت الآيات السابقة على جواز جعل الرياح علامة على المطر بحسب ما جرت به العادة، وكذلك الأنواء يجوز جعلها علامة على ما جرت به العادة، بشرط أن يعتقد أن النوء لا تأثير له في نزول المطر، ولا هو فاعل، وأن المنفرد بإنزاله هو الله وحده ^(٦).

(١) الواقعة: ٧٥-٨٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء: ٨٤/١ برقم (٧٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء: ٨٣/١ برقم (٧١).

(٤) الأعراف: ٥٧.

(٥) الفرقان: ٤٨.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٥، والقول المفيد: ٣١/٢.

وعن سعيد بن المسيب^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "قد حدثني من لا أتهم أنه شهد المصلى مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يستسقي بالناس عام الرمادة، قال: فدعا والناس طويلاً، واستسقى طويلاً، وقال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال له العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين إن أهل العلم بما يزعمون أنها تعترض بالأفق بعد وقوعها سبعاً. قال: فوالله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس"^(٢).

قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إنما أراد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: كم بقي من وقت الثريا؟ ليعرفهم بأن الله يَرْزُقُ قدر الأمطار في أوقات فيما جربوا، كما علموا أنه قدر الحر والبرد بما جربوا في أوقات"^(٣).

ثالثاً: تحريف معنى سجود النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر، بيان أن من المخالفات العقدية تحريف معنى سجود الشمس والقمر، في قوله تعالى: ﴿الْمُتَرَاتِ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤). فقال بعضهم: أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد، وقيل: المراد بالسجود الدلالة على الله.

وكذلك قيل في سجود النجوم، وأن سجودها سجود ظلها كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا

(١) هو: سعيد بن حزن بن المسيب القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقيل: لأربع مضي من منها بالمدينة. وتوفي سنة ٩٤.

انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١٧/٤، وشذرات الذهب: ٣٧٠/١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٣٥٩/٣، والطبري في تفسيره: ٢٤٣/٢٧ قال الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير: ٣٣٢/٣: "حسن غريب".

(٣) الأم للشافعي: ٥٥٢/٢.

(٤) الحج: ١٨.

خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيُّوهُ ظِلَالُهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١﴾، وقيل: أن سجوده طلوعه (٢).

والجواب أن هذه الآيات الكونية (٣) تسجد لله سجوداً حقيقياً الله أعلم بكيفيته، وأن هذا السجود من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها ونسلم، وأن كل شيء يسجد لله طوعاً وكرهاً، وأن سجود كل شيء مما يختص به (٤)، كما قال تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٥﴾.

رابعاً: نسبة علم النجوم إلى إبراهيم عليه السلام:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة علم النجوم إلى إبراهيم عليه السلام استدلالاً بقوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٦﴾، وهذا من "الكذب والافتراء على خليل الرحمن عليه السلام"؛ فإنه ليس في الآية أكثر من أنه نظر نظرة في النجوم، ثم قال لهم: إني سقيم، فمن ظن من هذا أن علم أحكام النجوم من علم الأنبياء، وأنهم كانوا يراعونه ويعانونه فقد كذب على الأنبياء، ونسبهم إلى ما لا يليق، وهو من جنس من نسبهم إلى الكهانة والسحر وزعم أن تلقيهم الغيب من جنس تلقى غيرهم... ولا ريب أن هؤلاء أبعد الخلق عن الأنبياء وأتباعهم ومعرفتهم ومعرفة مرسلهم وما أرسلهم به (٧).

وهذا الفعل والصنيع من صنائع المشركين وعلومهم، وقد بعثت الرسل بالإنكار على

(١) النحل: ٤٨.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٢٨٤/٤، تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.

(٣) انظر: مبحث عبودية الكائنات في أصل الكتاب.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٥، تفسير السعدي: ٨٢٨.

(٥) الإسراء: ٤٤.

(٦) الصفات: ٨٨-٨٩.

(٧) مفتاح دار السعادة: ٢٧٢/٢-٢٧٣، وانظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٨٣.

هؤلاء المشركين ومحققهم، ومحقق علومهم وأعمالهم من الأرض، وهذا معلوم بالاضطرار لكل من آمن بالرسول صلوات^(١).

خامساً: الأقوال والألفاظ المخالفة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النجم - ذكر بعض الأقوال المخالفة، منها:

١ - قول مطرنا بنوء كذا، ونحوه:

وسبق بيان حكم ذلك والتفصيل فيه.

(١) انظر: المرجع السابق: ٢/٢٧٣.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١ - الاستدلال بحديث «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا» على التنجيم:

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، إذا ذكر القدر فأمسكوا»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: " فهذا الحديث لو ثبت لكان حجة عليه لا له؛ إذ لو كان علم الأحكام النجومية حقا لا باطلا لم ينه عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أمر بالإمسك عنه؛ فإنه لا ينهى عن الكلام في الحق، بل هذا يدل على أن الخائض فيه خائض فيما لا علم له به، وأنه لا ينبغي له أن يخوض فيه، ويقول على الله ما لا يعلم، فأين في هذا الحديث ما يدل على صحة علم أحكام النجوم" ^(٢).

٢ - النهي عن السفر والقمر في العقرب:

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لا تسافروا في محاق الشهر، ولا إذا كان القمر في العقرب»^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما أحاديث النهي عن السفر والقمر في العقرب فصحيح من كلام المنجمين، وأما رسول رب العالمين فبريء ممن نسب إليه هذا الحديث وأمثاله ولكن إذا

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٩٦/٢ برقم (١٤٢٧)، ورواه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ١٩٨/١٠ برقم

(١٠٤٤٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤١٢/٧: "فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف"، وقال في حديث ابن مسعود:

"فيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقيته رجاله رجال الصحيح".

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٩٨/٢.

(٣) يروى عن علي رضي الله عنه من قوله، انظر: الجذ الحثيث في بيان ما ليس بحديث للعامري: ١٤٠، وقال الصغاني في

الموضوعات: ٦١/١ برقم (٩٩): "موضوع"، وانظر مفتاح دار السعادة: ٢٦١/٢.

بعد الإنسان عن نور النبوة واشتدت غربته عما جاء به الرسول ﷺ جوز عقله مثل هذا" (١).

المبحث الخامس

الرعد والبرق والصواعق

الرعد في اللغة:

الراء والعين والذال أصل واحد يدل على حركة واضطراب. وكل شيء اضطرب فقد ارتعد... ومن الباب الرَّعْد، وهو مَصْع مَلَكٍ يسوق السَّحَاب. والمَصْع: الحركة والذهاب والمجيء^(١).

وفي الصحاح: الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب^(٢).

وفي الاصطلاح: الرَّعْد تفرغ كهربائي من سحابة إلى أخرى أو من سحابة إلى الأرض، يصحبه انبعاث شرارات تعرف بالبرق. وهذه الشرارات تحدث حرارة عالية في مناطق الهواء التي تنبعث منها فتتمدد تلك المناطق على نحو فجائي، وهذه الحرارة تجعل جزيئات الهواء تتمدد أو تتطاير في كل الاتجاهات. وبينما تبحث الجزيئات عن حيز أكبر، فإنها تصطدم بعنف بطبقات الهواء البارد، محدثة موجة هوائية ضخمة يكون لها صوت الرعد^(٣).

البرق في اللغة:

الباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما: أحدهما لمعانُ الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء. والبرق: وَمِيضُ السَّحَاب، يقال بَرَقَ السَّحَابُ بَرَقًا وَبَرِيقًا. وَأَبْرَقَ أيضاً لغة^(٤).

وفي الصحاح: برق السيف وغيره يبرق بروقاً، أي تلالاً. والاسم البريق. والبرق: واحد بروق السحاب. ويقال رعدت السماء وبرقت برقانا^(٥).

وفي الاصطلاح: البرق شرارة كهربائية عملاقة في السماء. وأغلب البرق الذي يراه الناس

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤١١/٢.

(٢) الصحاح: ٤٧٤/٢.

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٢٥٣/١١.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٢٢١/١.

(٥) الصحاح: ١٤٤٨/٤.

يكون بين السحابة وسطح الأرض. ولكن من الممكن حدوث البرق أيضاً داخل سحابة، أو بين السحابة والهواء، أو بين سحابتين^(١).

الصواعق في اللغة:

الصاد والعين والقاف أصل واحد يدلّ على صَلَقَةٍ وَشِدَّةٍ صوت. ومن ذلك الصعق، وهو الصوت الشديد. يقال جَمَارٌ صَعِقُ الصوت، إذا كان شديده. ومنه الصَّاعِقَةُ، وهي الوقع الشديد من الرعد. ومنه قولهم: صَعِقَ، إذا مات، كأنَّه أصابته صاعقة^(٢).

وفي الصحاح: الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد. يقال: صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضاً: صيحة العذاب^(٣).

وفي الاصطلاح: دوي حاد يسبقه عادة وميض البرق، وهو ناتج عن انفجار شحنة كهربائية كامنة في السماء^(٤).

وقد ورد لفظ الرعد في القرآن في موضعين^(٥)، ولفظ البرق في (٥) مواضع^(٦)، ولفظ الصاعقة في (٦) مواضع، ولفظ الجمع في موضعين^(٧).
وورد الرعد والبرق والصاعقة في السنة في (٢١) حديثاً^(٨).

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٣٣٦/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢٨٥/٣.

(٣) الصحاح: ١٥٠٦/٤.

(٤) قاموس الجغرافيا لمجموعة من الأساتذة بإشراف علي لبيب: ١٤٧.

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٠٩.

(٦) انظر: المرجع السابق: ١٥٠.

(٧) انظر: المرجع السابق: ٥١٨.

(٨) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقديّة للآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق:-

الرعد والبرق والصواعق من آيات الله الكونية، وجند من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو.

وأفرد القرآن الكريم سورة باسم الرعد ذكر الله تعالى فيها من آيات القدرة وعجائب الكون الدالة على وحدانيته وقدرته: الرعد والبرق والصواعق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١﴾.

أولاً: وجود الله:

أمر الله ﷻ بالتفكر في آياته المشاهدة المحسوسة ومنها البرق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) فجعل " إراءتهم البرق، وأنزل الماء من السماء، وإحياء الأرض به آيات لقوم يعقلون؛ فإن هذه أمور مرتبة بالأبصار، مشاهدة بالحس، فإذا نظر فيها ببصر قلبه - وهو عقله - استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته، وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا هذه الأرض بعد موتها، وهذه أمور لا تدرك إلا ببصر القلب - وهو العقل - فإن الحس دل على الآية، والعقل دل على ما جعلت له آية، فذكر سبحانه الآية المشهودة بالبصر، والمدلول عليه المشهود بالعقل" (٣).

(١) الرعد: ١٢-١٣.

(٢) الروم: ٢٤.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٢٨٩/١.

ثانياً: توحيد الربوبية:

قد جعل الله ﷻ البرق دليلاً على عظمته^(١)، فقال تعالى: ﴿الْمُرْتَانِ أَنَّ اللَّهَ يُنَزِّجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

ومن آيات الله التي يستدل بها على توحيد الربوبية إنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، وقبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخاف ويُطمع فيه، فهذه الآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يجيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْنِنِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١ - التسبيح:

أخبر الله ﷻ أن الرعد يسبحه وينزهه عن كل عيب ونقص^(٥)، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٣/٦.

(٢) النور: ٤٣-٤٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٠/٦، وتفسير السعدي: ٦٣٩.

(٤) الروم: ٢٤.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٥١٨/٢.

﴿مُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(١).

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»^(٢).

رابعاً: توحيد الألوهية:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ

﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ

يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(٣).

أخبر الله ﷻ في هذه الآيات - فيما يتعلق بالبرق والرعد والصواعق - أنه يُري عباده البرق الذي يخاف منه الصواعق والهدم، وأنواع الضرر على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه، وأن الرعد يسبح بحمده، وأنه يرسل الصواعق على من يشاء من عباده بحسب ما شاءه وأراده^(٤).

فإذا كان الله ﷻ هو الذي يفعل ذلك وحده، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تصرف جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما عبد من دون الله فألوهيته باطلة^(٥)، لذا قال بعدها: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا

(١) الرعد: ١٣.

(٢) موطأ الإمام مالك، كتاب الكلام، باب: القول إذا سمعت الرعد: ٧٥٧ برقم (١٩٣٠)، والسنن الكبرى للبيهقي: كتاب صلاة الاستسقاء، باب: ما يقول إذا سمع الرعد: ٣/٣٦٢، وصححه النووي في الأذكار، كتاب الأذكار في صلوات مخصوصة، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٣٠٢ برقم (٥٢١). وانظر: الاستذكار، كتاب الكلام، باب: القول إذا سمعت الرعد: ٢٧/٣٨٠.

(٣) الرعد: ١٢-١٣.

(٤) انظر: تفسير السعدي: ٤١٤.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٤١٤.

كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ^٢ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١﴾.

خامساً: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ من أعمالهم، وقد سئل النبي ﷺ عن الرعد، فأخبر أنه ملك من الملائكة موكل بالسحاب، وأن الصوت الذي يسمع هو زجره السحاب^(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق^(٣) من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت»^(٤).

وهذا لا يخالف التفسير العلمي له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك، كقول من يقول: إنه اصطكاك أجرام السحاب، بسبب انضغاط الهواء فيه، فإن هذا لا يناقض ذلك، فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعداً، وكذلك الرعد يسمى رعداً، كما يسمى العادل عدلاً.

والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب، وتنقله من مكان إلى مكان. وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة. وصوت الإنسان هو عن اصطكاك أجرامه الذي هو شفتاه، ولسانه، وأسنانه وهاتيه، وحلقه، وهو مع ذلك يكون مسبحاً

(١) الرعد: ١٤.

(٢) انظر: كتاب المطر والرعد والبرق والريح: ١١٣، ١٢٣، وتفسير البغوي: ٥١٨/٢، والاستذكار، كتاب الكلام، باب القول إذا سمعت الرعد: ٣٨٠/٢٧.

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢٦/٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد: ٤٩٦ برقم (٣١١٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل: ٢١٧/٨ برقم (٩٠٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٦٤/٣.

للرب، وأمرًا بمعروف ونهايا عن منكر، فالرعد إذا صوت يزر السحاب" (١).

سادساً: الإيمان بالرسول:

الصواعق جند من جند الله يؤيد بها رسله، وقد بعث النبي ﷺ رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب يدعوه إليه، فذهب إليه، وقال: يدعوك رسول الله ﷺ. قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضة أو من نحاس؟ فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأرسل إليه النبي ﷺ مراراً، وهو يقول مثل هذا، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف (٢) رأسه (٣)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ (٤) "أي يرسلها نعمةً ينتقم بها ممن يشاء" (٥).

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:

في بيان حال الناس يوم القيامة عند مرورهم على الصراط بحسب أعمالهم بين النبي ﷺ أن أولهم يمر كالبرق، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت بأبي أنت وأمي: أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجرى بهم أعمالهم، ونببكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا - قال -: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به

(١) مجموع الفتاوى: ٢٤/٢٦٣. وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسى: ١/١٧١.

(٢) القحف: العظم فوق الدماغ. انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/٦١.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى: ٣١٤، وتفسير القرطبي: ٩/٢٦٩.

(٤) الرعد: ١٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤/٤٤٢.

فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»^(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»^(٢).

ثامناً: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشية الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن. وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ أنه يصيب بالصواعق من يشاء، ويصرفه عن من يشاء، وأن ذلك بحسب ما اقتضاه حكمه القدري^(٣)، قال تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(٤).

تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام:

بين الله سُبْحَانَهُ في أول سورة البقرة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مؤمنين خلص، وكفار خلص، ومنافقين.

وهؤلاء المنافقون قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي^(٥) - الذي ذكر الله فيه الرعد والبرق

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: ١٨٦/١ برقم (١٩٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١٦٧/١ برقم (١٨٣).

(٣) انظر: تفسير السعدي: ٥٧٠.

(٤) الرعد: ١٣.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٨٨/١.

والصواعق - قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي
 إِذَاهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا
 أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾^(١).

وقد استدلل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من
 إيمان، وشعبة من نفاق، إما اعتقادي مخرج عن الإسلام، أو عملي لا يخرج عن الإسلام^(٢).

عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها،
 وقد ضرب الله مثلاً في أول سورة البقرة للإسلام وحال المنافقين، - ذكر فيه الرعد والبرق
 والصواعق-، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي
 إِذَاهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٣﴾^(٣).

فالمراد بالإسلام، وقلوب المنافقين في حال شكهم وكفرهم وترددهم كالمر من السماء
 الذي فيه ظلمات ورعد وبرق، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد
 والمخاوف في الآخرة؛ فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع، والبرق ما فيه من الوعد
 والوعيد، وما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان، من نور الإيمان.
 والصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد.

(١) البقرة: ١٩-٢٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٨٠/٧، وتفسير ابن كثير: ١٨٩/١.

(٣) البقرة: ١٩.

ثم قال: ﴿يَكَاذُ الْبُرُقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهِمْ^ط﴾^(١) "لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان...
فكلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين"^(٢).

(١) البقرة: ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/١٨٩.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق:-

أولاً: اعتقاد أن البرق أحد أسلحة الآلهة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية اعتقاد أن البرق أحد أسلحة الآلهة الباطلة، فقد ظن قدماء الإغريق والرومان أن البرق هو أحد أسلحة الآلهة. وفي بعض المجتمعات الإفريقية كانوا يعتقدون أن الناس والأماكن التي يصيبها البرق ملعونة. وحتى القرن الثامن عشر، كان بعض الناس في أوروبا وأمريكا يعتقدون بإمكان تفادي حدوث البرق إذا دقوا أجراس الكنائس^(١).

ثانياً: اعتقاد أن قوس قزح^(٢) هو إله الرعد والبرق عند العرب:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات اعتقاد أن قوس قزح هو إله الرعد والبرق والمطر عند العرب^(٣).

ثالثاً: بعض الأدعية والأقوال المخالفة:

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٣٣٦/٤.

(٢) قوس قزح هو الخطوط والطرائق الملونة التي تبدو في السماء على شكل قوس أيام الربيع، وهو من التفريغ وهو التحين، وقيل من القزح، وهي الطرائق والألوان التي في القوس أو هو من قزح الشيء إذا ارتفع.. ويقال: قزح اسم ملك موكل به. وقزح أيضاً اسم جبل بالمزدلفة. انظر: لسان العرب: ٣٦١٩/٥.

وجاء قوس قزح في بعض الأحاديث منها: «لا تقولوا قوس قزح فإن قزح شيطان - أو هو الشيطان - ولكن قولوا قوس الله عز وجل فهو أمان لأهل الأرض من الغرق»، وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات: ٢١٣/١، والكتاني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعية: ١٩١/١.

وقال عنه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٦٤/٢: "موضوع".

وقال الشيخ ابن باز: لا دليل على كراهة قول قوس قزح. انظر: الدرر البازية على زاد المعاد، تفرغ لتعليقات الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَلَى زاد المعاد لابن القيم، مطبوع بالحاسب الآلي: ٨٤/١.

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٦٠٣/١، وانظر: موقع ويكيبيديا: www.wikipedia.org، والبرق بين العلم والإيمان لعبد الدائم الكحيل: ٤.

ومن المخالفات العقديّة المتعلّقة بهذه الآيات الكونيّة -الرعد والبرق والصواعق- ذكر بعض الأدعيّة والأقوال المخالفة، منها:

١- قول "غضبت السماء" عند نزول الصواعق:

في سؤال وجه لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك - حفظه الله -: "هل تصح هذه العبارة (غضبت السماء)؟ وهي تكثّر عند الأدباء والشعراء".

فأجاب بقوله: "الذي يظهر أن هذه العبارة تقال إذا نزلت شهب أو صواعق مرعبة أو برّد مدمر أو طوفان مغرق، فهذه الأمور يجوز أن يقال عنها: إنها نغم سماوية أو مصائب سماوية، على معنى أنها جاءت من جهة السماء، وأما أن تنسب إلى غضب السماء فلا يجوز، لأن ذلك يتضمّن أن السماء تغضب، ولا دليل على هذا، ويتضمّن أن هذه الكوارث بفعل السماء، وليس كذلك، بل هي بفعل الله، فيلزم منه الشرك في الربوبية، وإذا أريد بقول القائل: (غضبت السماء) التجوز بذلك عن غضب الله، فهو أقبح، فإنه يتضمّن إضافة صفة الله إلى غيره، أو تشبيهه غيره تعالى به، وبكل حال فلا يجوز استعمال هذه العبارة، والله أعلم. ويشبه هذه العبارة قول بعضهم (عدالة السماء)، يريد بها الأحكام الشرعيّة، المشتملة على غاية العدل والحكمة"^(١).

(١) موقع الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك الرسمي.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١ - الرعد والبرق والصواعق فوق السماء السابعة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أُسري بي، لما انتهينا إلى السماء السابعة، فنظرت فوقي، فإذا أنا برعد وبرق وصواعق». الحديث^(١).

٢ - البرق والرعد والصواعق غضب من الله:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»^(٢).
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم عَزَّ وَجَلَّ: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتم صوت الرعد»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٨٦/١٤ برقم (٨٦٤١)، قال المحقق: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وجهالة أبي الصلت، وضعفه ابن كثير، انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٥٤٥، برقم (٣٤٥٠)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ومسند الإمام أحمد: ٤٧/١٠ برقم (٥٧٦٣) وقال محققه: إسناده ضعيف، وضعفه النووي في الأذكار، كتاب الأذكار في صلوات مخصوصة، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٣٠٢ برقم (٥٢٠).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ٣١٢/٤ برقم (٢٧٠٩)، ومسند الإمام أحمد: ٣٢٧/١٤ برقم (٨٧٠٨)، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: ٣٠٦/٢، والألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٨٧/٢ برقم (٨٨٣).

المبحث السادس

المطر

والثلج والبرد

المطر في اللغة:

الميم والطاء والراء أصل صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدو. فالأول المطر، ومطرنا مطرا. وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب، قال الله تعالى: ﴿أَمْطَرَتَّ مَطَرَ السَّوِّءِ﴾^(١). وتمطر الرجل: تعرض للمطر. ومنه المستمطر: طالب الخير.

والثاني قولهم: تمطر الرجل في الأرض، إذا ذهب. والمتمطر: الراكب الفرس يجري به. وتمطرت به فرسه: جرت^(٢).

وفي الصحاح: المطر: واحد الأمطار. ومطرت السماء تمطرا مطرا، وأمطرها الله، وقد مطرنا. وناس يقولون: مطرت السماء وأمطرت بمعنى. ومطر الرجل في الأرض مطورا، أي ذهب. وتمطر مثله. ويقال: ذهب البعير فلا أدري من مطر به^(٣).

وفي الاصطلاح: المطر شكل من أشكال قطرات الماء المتساقطة. وتشكل قطرات المطر عندما تتحد قطيرات الماء في السحب، أو عندما تنصهر أشكال التساقط مثل الجليد والمطر الثلجي والبرد. وتسقط الأمطار على معظم أنحاء العالم، ويكون التساقط في المناطق المدارية على شكل أمطار. أما في القارة المتجمدة الجنوبية وفي بعض الأماكن الأخرى في العالم فيكون التساقط ثلجًا.

وتتفاوت قطرات المطر في أحجامها تفاوتًا كبيرًا، كما تتفاوت في سرعة سقوطها^(٤). والمطر في القرآن على وجهين^(٥):

أحدهما: المطر المعروف. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِّن

(١) الفرقان: ٤٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣٣٢/٥-٣٣٣.

(٣) الصحاح: ٨١٨/٢.

(٤) الموسوعة العربية العالمية: ٤١٥/٢٣.

(٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤١.

مَطَرٍ ﴿١﴾.

والثاني: الحجارة. ومنه قوله تعالى في قصة قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ ﴿٢﴾.

الثلج في اللغة:

الثاء واللام والجيم أصل واحد، وهو الثلج المعروف. ومنه تتفرع الكلمات المذكورة في بابه. يقال أرض مثلوجة إذا أصابها الثلج ﴿٣﴾.

وفي الاصطلاح: الثلج ماء متجمّد يتكون عندما تنخفض درجة حرارة المياه إلى درجة الصفر المئوية على أسطح البحيرات، والأنهار، والشوارع والأرصفة المبتلة. ويعد الجليد، والمطر الثلجي، والصقيع، والبرّد صورًا من الثلج ﴿٤﴾.

البرد في اللغة:

الباء والراء والذال أصول أربعة: أحدها خلاف الحر، والآخر السكون والثبوت، والثالث الملبوس، والرابع الاضطراب والحركة. وإليها ترجع الفروع ﴿٥﴾. والبرّد بالتحريك: حب الغمام، وحب المزن ﴿٦﴾.

وفي الاصطلاح: البرّدُ مطر جامد ينزل من السماء على شكل كتل جليدية كروية، أو غير منتظمة، وتُسمى هذه الكتل حبُّ البرد. ويتراوح حجم هذه الكتل، بين حجم حبة البازلاء،

(١) النساء: ١٠٢.

(٢) الأعراف: ٨٤، الشعراء: ١٧٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٨٥/١، الصحاح: ٣٠٢/١.

(٤) الموسوعة العربية العالمية: ٤٧/٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٢٤١/١.

(٦) القاموس المحيط: ٢٤٢، الصحاح: ١٠٥/١، ٤٤٦/٢.

وحجم البرتقالة، ويمكن أن يكون أكبر من ذلك^(١).

وقد ورد لفظ المطر في القرآن في (٦) مواضع^(٢)، ولفظ الثلج لم يرد في القرآن، ولفظ البرد في موضع واحد^(٣).

وورد المطر في السنة في (٤٩) حديثاً^(٤).

(١) قاموس الجغرافيا: ١٤٧.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٤٢.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٤٩.

(٤) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقيدية للآيات الكونية - المطر والثلج والبرد-(١):

المطر والثلج والبرد من آيات الله الكونية، وقد ذكر الله ﷻ إنزال المطر في معرض الامتنان على عباده، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾، وفي موضع آخر بعد أن ذكر إنزال المطر من السماء نهي عن جعل الند له سبحانه وتعالى، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

"والله سبحانه إنما يدعو عباده إلى النظر والفكر في مخلوقاته العظام لظهور أثر الدلالة فيها وبديع عجائب الصنعة والحكمة فيها واتساع مجال الفكر والنظر في أرجائها"^(٤)، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾﴾.

أولاً: وجود الله:

قد أمر الله ﷻ بالتفكير في آياته المشاهدة المحسوسة ومنها المطر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ

(١) انظر: الدلالات العقيدية للماء في القرآن الكريم للدكتور محمد السحيم، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة

للبحوث العلمية والإفتاء، العدد (٩٨).

(٢) النحل: ١٠-١١.

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) مفتاح دار السعادة: ٢٧٦/٢.

(٥) الروم: ٥٠.

ءَايِنِهٖ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾، وقد سبق نقل كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى هذه الآية، وأن الأمور المذكورة فيها "مرتبة بالأبصار، مشاهدة بالحس فإذا نظر فيها ببصر قلبه - وهو عقله - استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته، وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا هذه الأرض بعد موتها، وهذه أمور لا تدرك إلا ببصر القلب - وهو العقل - فإن الحس دل على الآية، والعقل دل على ما جعلت له آية، فذكر سبحانه الآية المشهودة بالبصر، والمدلول عليه المشهود بالعقل" (٢).

ثانياً: توحيد الربوبية:

قد بين الله ﷻ عظيم قدرته في مخلوقاته وأنه الخالق لها المتصرف فيها، ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ عن المطر والبرد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٤٢) **الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ يُرْسِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٤٣) **يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٣)، فمن أدلة عظمته - سبحانه وتعالى - وربوبيته أنه يسوق السحاب قطعاً متفرقة، ثم يؤلف بين تلك القطع، فيجعله سحاباً متراكماً مثل الجبال، فينزل منه المطر وينتفع به الناس، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب برداً يتلف ما يصيبه بحسب ما اقتضاه حكمه القدرى، وحكمته التي يحمدها، فالذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع ويتفني به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة" (٤).****

(١) الروم: ٢٤.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٨٩/١.

(٣) النور: ٤٢-٤٤.

(٤) تفسير السعدي: ٥٧٠، بتصرف يسير.

ومن آيات الله التي يستدل بها على توحيد الربوبية "إنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، وقبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخاف ويُطمع فيه، فهذه الآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها"^(١)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وكان من هدي النبي ﷺ أن يفسر عن ثوبه عند نزول المطر، فسئل عن ذلك فقال: «إنه حديث عهد بربه»^(٣) أي قريب العهد بخلق الله تعالى له^(٤)، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾^(٥).

ومن أدلة ربوبية الله ﷻ استجابته لدعاء الداعي، ومن مواطن الاستجابة عند نزول المطر^(٦)، قال ﷺ: "ثنتان لا تردان، أو قل ما تردان، الدعاء عند النداء، وتحت المطر"^(٧).

أما الاستمطار وهو: "عملية إسقاط المطر من السحب بطريقة علمية بحته تُجرى على السحب المتكوّنة في الجو. ويسمى أيضًا تطعيم السحب. يستخدم الناس هذه الطريقة، لزيادة كمية المياه بمنطقة معينة، أو لتوفير المياه للري، أو لتوليد الطاقة الكهربائية من المحطات الكهرومائية. وتُستخدم أيضًا لمنع سقوط الأمطار الغزيرة، في المناطق الزراعية خوفًا من تلف

(١) انظر: المرجع السابق: ٦٣٩، وتفسير ابن كثير: ٦/٣١٠.

(٢) الروم: ٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٦١٥/٢ برقم (٨٩٨).

(٤) انظر: فتح الباري: ٦٠٤/٢، وشرح صحيح مسلم للنووي: ٦/٤٣٥.

(٥) البقرة: ١١٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى: ١٢٩/٢٧.

(٧) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء: ٢٨٨ برقم (٢٥٤٠)، وله شواهد، انظر: معجم الطبراني

الكبير: ١٦٠/٨ برقم (٧٧١٣)، ومعجم الطبراني الصغير: ٢٨٦/١، وصحيح الجامع الصغير: ١/٥٩٠ برقم

(٣٠٧٨).

المحاصيل"^(١)، فهذا لا يتم إلا في ظروف خاصة كتوفر السحب، ودرجة معينة لها، إلى غير ذلك من الشروط، و لا يزال العلماء غير قادرين على إثبات أثرها العلمي في كل الحالات^(٢). وعلى هذا فإنه يجب الإيمان بأن الله تعالى هو الذي ينزل المطر في كل الأحوال، والإنسان بما يسميه الاستمطار الصناعي لم يصنع المطر، ولم يسقطه إلى الأرض، بل يتسبب من خلال ما وفقه الله وهداه إليه من العلم ببعض السنن الكونية التي جعلها الله تعالى في هذا الكون على توفير سبب نزول المطر، ويبدل سبباً، والأمر إلى الله تعالى أولاً وأخيراً، إن شاء انزل المطر، وإن شاء منعه.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١- صفة الرحمة:

المطر من رحمة الله^(٣)، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَيْدِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْنِغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٥)

وكان النبي ﷺ إذا رأى المطر يقول: «رحمة»^(٦).

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٧٢٤/١.

(٢) المرجع السابق: ٧٢٤/١.

(٣) تفسير القرطبي: ٤٣/١٤، وتفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.

(٤) الروم: ٤٦-٥٠.

(٥) الشورى: ٢٨.

(٦) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر: ٦١٦/٢ برقم (٨٩٩).

٢ - حكمة الله:

إن التأمل والتفكير في هذه الآيات الكونية - المطر والثلج والبرد - يدل على حكمة الله ﷻ، " في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وتلاها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر، وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها... "

ثم أنزله على الأرض بغاية من اللطف والحكمة التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها فأنزله ومعه رحمته على الأرض... "

ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها اقلع عنها وأعقبه بالصحو^(١)، ولو استمر أحدهما -المطر أو الصحو - لحصل الفساد والضرر.

"فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم فاعتدل الأمر وصح الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر واستقام أمر العالم وصلح"^(٢).

٣ - صفة العلو:

سبق بيان أن من هدي النبي ﷺ أنه يحسر عن ثوبه عند نزول المطر، وعندما سئل عن ذلك قال: «إنه حديث عهد بربه»، لأنه نزل من جهة العلو^(٣).

وهذا من الأدلة التي فيها إثبات علو الله تعالى، وأنه فوق السماوات، وقد ذكر هذا الحديث الذهبي - رحمه - في كتابه العلو في سياق الأحاديث الدالة على علو الله^(٤)، ولو كان على ما يقول المبتدعه من أن الله " في كل مكان، ما كان المطر أحدث عهداً بالله من غيره من

(١) مفتاح دار السعادة: ٢٢٣/١.

(٢) المرجع السابق: ٢٢٣/١.

(٣) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٢٥/٥.

(٤) العلو للعلي الغفار: ٤٦٧/١.

المياه والخلائق" (١).

٤ - الصفات الفعلية الاختيارية:

الله ﷻ يفعل ما يشاء ويختار، فهو سبحانه يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢)، وفي الحديث السابق أن النبي ﷺ قال عن المطر: «إنه حديث عهد بربه»، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهذا المطر خلقه الله تعالى في حين نزوله، ويستفاد من ذلك "ثبوت الأفعال الاختيارية لله ﷻ التي تقع بمشيئته" (٣).

رابعاً: توحيد الألوهية:

من منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية الاستدلال عليه بالربوبية؛ فإن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ومن ذلك الاستدلال على المشركين عباد الأصنام الذين يقرون بأن الله ﷻ هو الخالق، - وبأنه الذي ينزل المطر وينبت الشجر - على أفراد الله بتوحيد العبادة، "والقرآن مناد عليهم بذلك محتج بما أقروا به من ذلك على صحة ما دعوتهم إليه رسله" (٤)، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَنْ يَعْبُدُونَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦).

(١) الرد على الجهمية للدارمي: ٥٣.

(٢) الشورى: ٢٧.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٢٥/٥.

(٤) مفتاح دار السعادة: ٩٤/١.

(٥) النمل: ٦٠.

(٦) العنكبوت: ٦٣.

فإذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يفعل ذلك وحده، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تجعل جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما عبد من دون الله فألوهيته باطلة^(١).

١ - التبرك:

قد سمي الله عَزَّ وَجَلَّ المطر رحمة، وجعله مباركاً، وطهوراً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾^(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطر، قال: فحسر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه تعالى»^(٤).

فهو حديث عهد بربه أي بتكوين ربه إياه، والمعنى أن المطر رحمة وهو قريب العهد بخلق الله تعالى فيتبرك بها^(٥).

خامساً: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بما ورد من أعمالهم في الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾^(٦)، ومن أعمالهم إنزال المطر، والموكل بذلك هو ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧).

(١) انظر: تفسير ابن سعدي: ٤١٤.

(٢) الفرقان: ٤٨.

(٣) ق: ٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٦١٥/٢ برقم (٨٩٨).

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥٤٦/٢، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي: ٤٧٤/٢.

(٦) النازعات: ٥.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٨٦/١٤، ١٩٤/١٩، وتفسير ابن كثير: ٣٢٤/١، وتفسير البغوي: ٥٤٧/٤.

سادساً: الإيمان بالرسول:

من دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ استجابة الله لدعائه بنزول المطر^(١)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشى في الشمس»^(٢).

وهذا من دلائل نبوة محمد ﷺ وعظيم كرامته على ربه سبحانه وتعالى بإنزال المطر سبعة أيام متوالية متصلا بسؤاله من غير تقديم سحاب ولا قرع ولا سبب آخر لا ظاهر ولا باطن^(٣).

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يكون فيه، ومن ذلك الحوض، وفي وصف النبي ﷺ وصفه له بأنه أشد بياضاً من الثلج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى

(١) انظر: دلائل النبوة للأصبهاني: ٤٤٨، والصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي: ٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة: ٢٠١ برقم (١٠١٤)،

وصحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٦١٢/٢ برقم (٨٩٧)

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٩٢/٦، وانظر: فتح الباري: ٥٠٦/٢.

من العسل باللبن، ولأنه أكثر من عدد النجوم»^(١).

ثامناً: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشية الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن. وقد أخبر الله ﷻ أنه يسوق السحاب قطعاً متفرقة، ثم يؤلف بين تلك القطع فيجعله سحاباً متراكباً مثل الجبل، ثم ينزل منها البرد، فيصيب به من يشاء، ويصرفه عن من يشاء، وأن ذلك بحسب ما اقتضاه حكمه القدري^(٢)، قال تعالى: ﴿الْمُرْتَانِ اللَّهُ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أنه ما من ساعة من ليل و لانهار إلا والسما تظطر فيها، يصرفه الله حيث يشاء، فعن المطلب بن حنطب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: « ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تظطر فيها يصرفه الله حيث يشاء »^(٤).

تاسعاً: الإيمان بالغيب:

إن لآيات الكونية ارتباطاً وثيقاً بعلم الغيب، حيث أن أوقات حدوثها لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥).

وقد بين النبي ﷺ أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، وذكر منها المطر، فعن

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: ٢١٧/١ برقم (٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٥٧٠.

(٣) النور: ٤٣.

(٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي: ١٩٤/٥ برقم (٧٢٦٢)، وهو مرسل، انظر: فيض القدير: ٤٩٤/٥.

(٥) لقمان: ٣٤.

عبدالله ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(١).

عاشراً: مسائل الأسماء والأحكام:

سبق الكلام في المبحث السابق - الرعد والبرق والصواعق - أن الله ﷻ بين في أول سورة البقرة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مؤمنين خلص، وكفار خلص، ومنافقين. وهؤلاء المنافقون قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي^(٢)، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَّرَبْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٤).

وقد استدلل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان، وشعبة من نفاق، إما اعتقادي مخرج عن الإسلام، أو عملي لا يخرج عن الإسلام^(٤).

الحادي عشر تكفير الذنوب:

كان من هدي النبي ﷺ إذا افتتح صلاته أن يسأل الله ﷻ أن يطهره الله من الخطايا

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرعد، باب قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾

﴿٩٠٠ برقم (٤٦٩٧)﴾.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٨٨.

(٣) البقرة: ١٩-٢٠.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٧/٢٨٠، وتفسير ابن كثير: ١/١٨٩.

بالماء والثلج والبرد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: « كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته - قال: أحسبه قال: هنية - فقلت بأبي وأمي يا رسول الله: إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد» (١).

وذلك أن " الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه؛ فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الحطب ويطفئ النار، فإن كان باردا أورت الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته فكان أذهب لأثر الخطايا" (٢).

وكذلك كان النبي ﷺ يدعو للميت بذلك، فعن عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجته، وأدخله الجنة وأعد له من عذاب القبر - أو من عذاب النار -، قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت» (٣).

فجعل " الخطايا بمنزلة نار جهنم لأنها مستوجبة لها بحسب وعد الشارع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٤)، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيدا في الإطفاء وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الماء إلى أبرد منه وهو الثلج، ثم إلى أبرد من الثلج

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير: ١٥٥ برقم (٧٤٤).

(٢) المستدرک علی مجموع فتاوی ابن تیمیة، جمع محمد بن قاسم: ٢١٨/١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة: ٦٦٢/٢ برقم (٩٦٣).

(٤) الجن: ٢٣.

وهو البرد بدليل جموده؛ لأن ما هو أبرد فهو أجمد" (١).

الثاني عشر: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها، وقد سبق في المبحث السابق - الرعد والبرق والصواعق - أن الله ضرب مثلاً في أول سورة البقرة للإسلام وحال المنافقين، - ذكر فيه المطر -، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٢).
"فالمطر الإسلام، وقلوب المنافقين في حال شكهم وكفرهم وترددهم كالمطر من السماء الذي فيه ظلمات ورعد وبرق" (٣).

وأخبر النبي ﷺ أن الفتن تقع خلال البيوت كمواقع المطر، فعن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أشرف النبي ﷺ على أطم (٤) من أطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع المطر» (٥).
والتشبيه بمواقع المطر: في الكثرة والهرم (٦).
وضرب النبي ﷺ في بيان خيرية الأمة مثلاً بالمطر، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» (٧).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٩٤/٥، وانظر: فتح الباري: ٢٣٠/٢.

(٢) البقرة: ١٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٨٩/١.

(٤) الأطم: بضم الهمزة والطاء هو القصر والحصن. ومعنى أشرف: علا وارتفع. شرح النووي على مسلم: ٧/١٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "ويل للعرب من شرٍ قد اقترب": ١٣٥٠ برقم (٧٠٦٠)،

وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر: ٢٢١١/٤ برقم (٢٨٨٥).

(٦) شرح النووي على مسلم: ٧/١٨.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الأدب: ٤٥٩ برقم (٢٨٦٩)، وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ومسنند الإمام

ومعناه أن الدين "كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلق أساسه فيها"^(١).

أحمد: ٣٣٤/١٩ برقم (١٢٣٢٧)، وقال المحقق: حديث قوي بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن.

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٧، وانظر: فتح الباري: ٦/٧، وفيض القدير: ٥١٦/٥.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - المطر والثلج والبرد:-

أولاً: نسبة المطر إلى الكواكب:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية نسبة المطر إلى الكواكب، عن زيد ابن خالد رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله: عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم أقبل علينا، فقال: « أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله، وبرزق الله، وبفضل الله، فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا وكذا، فهو مؤمن بالكوكب، كافر بي»^(١).

وسبق بيان حكم نسبة المطر إلى الكواكب، وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام^(٢):

القسم الأول: نسبة الفعل للكوكب، وادعاء أنه هو يفعل بذاته فهذا كفر أكبر؛ لأن الخلق والأمر لله وحده.

القسم الثاني: اعتقاد أن الفعل من عند الله، مع نسبته إلى الكوكب والنوء نسبة سبب، فهذا من الشرك الأصغر.

القسم الثالث: جعل الأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليه لا قولاً ولا اعتقاداً، وهذا جائز.

ثانياً: قصر احتباس المطر على الأسباب المادية:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية قصر احتباس المطر على الأسباب المادية، ونسبة ذلك إلى طبائع الأماكن الأرضية والرياح^(٣) دون اعتقاد أن ذلك قد يكون بسبب

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء: ٨٣/١ برقم (٧١).

(٢) انظر: مبحث منزلة الأسباب في الشريعة، في أصل الكتاب.

(٣) انظر: غرابة الإسلام، للشيخ حمود التويجري: ٥٧٩/٢.

الذنوب والمعاصي، وأن ذلك ابتلاءً أو اختباراً من الله ﷻ لعباده ليعلم سبحانه من يصبر ويحتسب ويرجع إلى ربه، ومن يقنط ويسخط من قضاء الله^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣)، قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: " فإن المعاصي سبب الجذب، والطاعة تكون سبباً للبركات"^(٤).

ثالثاً: تحريف قوله ﷻ عن المطر " حديث عهد بربه":

من المخالافات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية تحريف قوله ﷻ: «حديث عهد بربه»^(٥)، وأن المراد به ظهور متعلق الإرادة، وأن إرادة الله قديمة^(٦).

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله ﷻ فعال لما يريد، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٨). فالله ﷻ متصف بصفة الإدارة ولم يزل متصف بتلك الصفة، وإرادة الله جل وعلا متجددة، فما من شيء يحدث في ملكوت الله إلا وقد شاءه الله جل وعلا حال كونه وأراده، كما أنه جل وعلا شاءه في الأزل وأراده. فمشيئته في الأزل بمعنى إرادته إحداثه في الوقت الذي جعل الله جل وعلا ذلك الشيء يحدث فيه، لكن من حيث تعلقها بالمعين هذا متجددة^(٩).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٣/٧، وتفسير ابن كثير: ٤٥١/٣.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) الروم: ٤١.

(٤) المغني: ١٤٨/٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٦١٥/٢ برقم (٨٩٨).

(٦) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله الأبي، مكتبة طبرية: ٤٩/٣.

(٧) هود: ١٠٧.

(٨) البروج: ١٤-١٦.

(٩) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ: ٣١٢/١.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- المطر بالليل بسب طاعة الله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَبُّكُمْ ﷻ: لَوْ أَنَّ عِبِيدِي أَطَاعُونِي لِأَسْقَيْتَهُمُ الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ، وَأَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ، وَمَا أَسْمَعْتَهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ»^(١).

٢- النهي عن الإشارة إلى المطر والبرق:

عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الْبَرْقَ أَوْ الْوَدْقَ فَلَا يَشْرُ إِيَّاهُ، وَلَا يَصِفُ وَلَا يَنْعَتُ»^(٢).
قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لم تزل العرب تكره الإشارة إليه في الرعد، ولعل ذلك خوفا من الصواعق^(٣).

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٣١٢/٤ برقم (٢٧٠٩)، ومسند الإمام أحمد: ٣٢٧/١٤ برقم (٨٧٠٨)، وذكره ابن

الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: ٣٠٦/٢، والألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٨٧/٢ برقم (٨٨٣).

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ٩٤/٣ برقم (٤٩١٧)، والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب

الإشارة للمطر: ٣/٣٦٢، وهو ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٢٥٦/١٠ برقم (٤٧١٠).

(٣) الأم للشافعي: ٢٩٠/١.

المبحث السابع

الرياح والرياح

الريح في اللغة:

أصل اليباء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها^(١)، والريح: الغلبة والقوة^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَنفَسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُهُمْ﴾^(٣).

والريح: الهواء إذا تحرك^(٤)، ونسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء، وهي مؤنثة^(٥).
والريح: واحدة الرياح والأرياح، وقد تجمع على أرواح، لأن أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها، فإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو، كقولك: أروح الماء، وتروحت بالمروحة. ويقال: ربح وريحة، كما قالوا: دار ودارة^(٦).

والرياح بلفظ الجمع تطلق ويراد بها الخير، والريح بلفظ المفرد تطلق ويراد بها العذاب أو الشر غالبًا إلا إذا قيد هذا المفرد بوصف خرج عن هذه القاعدة^(٧).

قال القرطبي: " فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير.

ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح.

ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن، نحو:

﴿الرِّيحُ مُبَشِّرَاتٌ﴾^(٨)، و ﴿الرِّيحِ الْعَقِيمِ﴾^(٩)، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة

مع العذاب، إلا في يونس في قوله: ﴿وَجَرَيْنِ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١٠) (١١).

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٥٤/٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٦٤/٢.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) المعجم الوسيط: ٣٨١/١.

(٥) لسان العرب: ١٧٦٣/٣.

(٦) الصحاح: ٣٦٧/١، لسان العرب: ١٧٦٣/٣.

(٧) لسان العرب: ١٧٦٣/٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٣١/٤.

(٨) الروم: ٤٦.

(٩) الذاريات: ٤١.

(١٠) يونس: ٢٢.

(١١) تفسير القرطبي: ١٩٨/٢، وانظر: التحرير والتنوير ١٢١/٢١، البرهان في علوم القرآن ٩/٤-١١.

وفي الاصطلاح:

الرياح هواء متحرك عبر سطح الأرض^(١)، وتموجات مكونات الغلاف الجوي من غازات وأبخرة وغبار حسب العوامل والمؤثرات.

"وتحدث الرياح نتيجة التسخين غير المتساوي للغلاف الجوي، عن طريق الطاقة المنبعثة من الشمس. تُسخن الشمس سطح الأرض بطريقة غير متساوية، فالهواء الذي يعلو المناطق الحارة يتمدد ويرتفع، ويحل محله هواء من المناطق الأبرد، وتسمى هذه العملية دورة.

فالدورة فوق الأرض بكاملها تسمى الدورة العامة، بينما تسمى الدورات النسبية الصغرى والتي يمكن أن تتسبب في حدوث تغيرات في الرياح يومًا بعد يوم، الدورات النسبية الشاملة للرياح.

أما الرياح التي من الممكن أن تحدث في مكان واحد فقط، فإنها تسمى الرياح المحلية^(٢). وذكر بعض المفسرين أن الريح في القرآن على ثلاثة أوجه^(٣):

أحدها: الريح نفسها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(٦).

والثاني: الرائحة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾^(٧).

والثالث: القوة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ﴾^(٨).

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٤٣٣/١١.

(٢) المرجع السابق: ٤٣٤/١١.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤١.

(٤) البقرة: ١٦٤.

(٥) الأعراف: ٥٧.

(٦) الروم: ٤٦.

(٧) يوسف: ٩٤.

(٨) الأنفال: ٤٦.

وقد ورد لفظ الريح في القرآن في (١٧) موضعاً، ولفظ الرياح في (١٠) مواضع^(١).
وورد لفظ الريح والرياح في السنة في (٨٠) حديثاً^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤١٤.

(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الريح والرياح :-

الريح والرياح من آيات الله الكونية، وقد ذكرها الله ﷻ ممتن بها على عباده، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١)،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٤) ﴿وَإِخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

فهذه آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة، والرحمة الواسعة، وتصريف الرياح في هاتين الآيتين هي من الأمور التي امتن الله بها على عباده دالة من تفكر فيها وتأملها أن وراءها خالقاً حكيماً (٣).

وقد جعلها الله أحد جنوده المسخرين تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، يأمرها بالخير فتكون السحاب وتسوقه إلى حيث يشاء ثم ينزل المطر، ويأمرها فتلقح الأشجار والسحاب. ويأمرها فتلطف الجو وتحسنه، ويأمرها بغير ذلك مما شاء فتلحق الضرر والدمار بمن يشاء، إلى غير ذلك من مزاياها وخصائصها.

"وهذه الريح فيها من المصالح ما لا يعلمه إلا الله، فتأمل مثلاً: كم سخر للسحاب من ريح حتى أمطر، فسخرت له المثيرة أولاً فتثيره بين السماء والأرض، ثم سخرت له الحاملة التي تحمله على متنها كالجمل الذي يحمل الراوية، ثم سخرت له المؤلفة فتؤلف بين كسفه وقطعه، ثم يجتمع بعضها إلى بعض فيصير طبقاً واحداً، ثم سخرت له اللاقحة بمنزلة الذكر الذي يلحق

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) الجاثية: ٣-٥.

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن: ٦٦/٢-٦٧.

الأنتى فنلقحه بالماء ولولاها لكان جهاما لا ماء فيه، ثم سخرت له المزجية التي تزجيه وتسوقه إلى حيث أمر فيفرغ ماءه هنالك، ثم سخرت له بعد إعصاره المفرقة التي تبثه وتفرقه في الجو فلا ينزل مجتمعا ولو نزل جملة لأهلك المساكن والحيوان والنبات بل تفرقه فتجعله قطرا^(١).

أولاً: توحيد الربوبية:

من آيات الله الدالة على قدرته وتدييره وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، وتصرفه سبحانه في هذه الرياح التي لو شاء لأسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره.

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

أي تقلبيها في مهاجها: قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفي أحوالها: حارةً وباردةً وعاصفةً ولينة، وتارة مبشرة بين يدي السحاب، وطوراً تسوقه، وأوانةً تجمععه، ووقتاً تفرقه، وحيناً تصرفه. وتارة بالرحمة وتارة بالعذاب^(٣)، آية من آيات الله يتصرف فيها، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله، فلو أراد كل من في العالم قلب الرياح من الشمال إلى الجنوب أو إذا كان الهواء ساكناً أن يحركه لتعذر^(٤)، وهذا من أدلة ربوبيته - سبحانه وتعالى -.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾^(٣٢) **إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ**

عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٣٣) **أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣٤)**

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٣/١.

(٢) البقرة/ ١٦٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢، وتفسير القرطبي: ١٩٧/٢.

(٤) انظر: تفسير الرازي: ١٤٩/٢٧، ١١٤/١٤.

وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿١﴾ .

"فهو سبحانه إذا شاء جعل الريح ساكنة فوقفت، وإن شاء أرسلها ريحاً قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم، فصرفت ذات اليمين أو ذات الشمال، آبقة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد؛ ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة" (٢)، وهذا دليل على كمال قدرته وسلطانه (٣).

وأخبر تعالى أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، وأنه ينزل من هذه الخزائن بقدر معلوم كما يشاء ويريد، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده.

وأنه وحده تعالى يرسل الرياح اللوايح (٤)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ .

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

صفة الرحمة:

الرياح من المبشرات برحمة الله، وهي كذلك تسير الفلك وهذا من رحمة الله (٦)، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ

(١) الشورى: ٣٢ - ٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧ .

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٩/٧، زاد المسير: ٣٠٧/٦ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣١/٤، وتفسير السعدي: ٤٣١ .

(٥) الحجر: ٢١ - ٢٥ .

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦ .

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٨﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ. مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها، وسلوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها» (٣).

والروح "بفتح الراء بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ (٤)، أي يرسلها الله تعالى من رحمته لعباده" (٥).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

من منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية الاستدلال عليه بالربوبية؛ فإن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ومن ذلك الاستدلال على المشركين الذين يقرون بأن الله ﷻ هو الخالق المتصرف في الكون على إفراد الله بتوحيد العبادة، والإخلاص في جميع الأحوال.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ

(١) الروم: ٤٦.

(٢) الفرقان: ٤٨ - ٥٠.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح: ٥٥٠ (رقم ٥٠٩٧)، والمسند: ٦٩/١٣ برقم (٧٦٣١)، وقال محققه: "صحيح لغيره"، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٩٦٠/٣.

(٤) يوسف: ٨٧.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٣/١٤.

بِهِمْ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾.

فالمشركون يتركون ما كانوا يعبدون من دون الله لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر، ويصرخون بدعوة فاطر الأرض والسموات -الذي تستغيث به في شدائدنا جميع المخلوقات- وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال^(٢)، فإذا كان الله ﷻ هو الذي يفعل ذلك وحده، وهو الذي يخلصهم من شر هذه الرياح؛ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تجعل جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما عبد من دون الله فألوهيته باطلة^(٣). ولذلك يشرع للمسلم إذا عصفت الرياح أن يقول ما حدثت به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(٤).

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله عند شدة الرياح، فعن عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْجَحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ؛ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٥)، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٦)، ويقول: « يَا عَقِبَةَ! تَعَوَّذْ بِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذَ مَتَعَوَّذَ بِمَثَلَهُمَا! ». قال: وَسَمِعْتُهُ يُؤْمِنَا بِمَا فِي الصَّلَاةِ^(٧).

ومن الدلائل السماوية على ألوهية الله أن الله ﷻ يرسل الرياح بين يدي السحاب الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدبين الأزلين القنطين، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٨)، ثم قال تعالى: ﴿أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ

(١) يونس: ٢٢.

(٢) تفسير السعدي: ٤٦٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٢٥/٨، وتفسير السعدي: ٤١٤، ٤٦٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الرياح والغيم والفرح بالمطر: ٦١٦/٢ برقم (٨٩٩).

(٥) الفلق: ١.

(٦) الناس: ١.

(٧) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب في المعوذتين: ١٧٦ برقم (١٤٦٣)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي

داود: ٢٧٥/١.

تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ أي إله مع الله فعل هذا، فيستحق أن يعبد! . فإذا كان الله هو الذي يفعل هذا الأمر وحده إذا فهو المستحق للعبادة وحده (٢).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالإلهية تفرد به بالخلق والملك والتصرف، ومما ذكر سبحانه وتعالى تصريف الرياح، تارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب، تارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعها، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الجنوب، وتارة من الشمال، وتارة من الشرق، وتارة من الغرب (٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

وفي تعداد الآيات الدالة على تفرد الله بالألوهية في سورة فاطر بعد أن ذكر الله ﷻ خلق السماوات والأرض، ذكر الرياح مستدلاً "بتصريف الأحوال بين السماء والأرض - وذلك بإرسال الرياح وتكوين السحاب وإنزال المطر" (٥) - على ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٦) الآيات.

رابعاً: الإيمان بالرسول:

الرياح من جند الله، يعز الله بها أوليائه، ويذل بها أعداءه، أكرم الله تعالى بها أنبيائه ونصرهم

(١) النمل: ٦٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٦/٦.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٤٧٥/١.

(٤) البقرة: ١٦٤.

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٧/٢٢.

(٦) فاطر: ٩.

بها، فأكرم الله ﷺ بها سليمان ﷺ^(١)، قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^(٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿^(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَلِمْنَا الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾^(٣).

ونصر بها نبينا ﷺ والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾^(٤)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»^(٥) ﴿^(٦). ومن دلائل نبوة الأنبياء وصدقهم نصر الله لهم على أعدائهم وإهلاكهم، وقد أخبر الله ﷺ أنه أهلك بعض الأمم المكذبة للرسول بإرسال الريح عليهم، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾^(١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿^(٧)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا فَاصْبِرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْبَاقِ ﴾^(٨).

وفي تسلية الله ﷺ لنبية ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه أخبر الله ﷺ أنه عذب

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٥.

(٢) ص: ٣٠ - ٣٦.

(٣) الأنبياء: ٨١.

(٤) الأحزاب: ٩.

(٥) الصبا: بفتح المهملة وتخفيف الموحدة مقصور هي الريح الشرقية، والدبور بفتح أوله وتخفيف الموحدة المضمومة مقابلها. فتح الباري: ٣٠١/٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب: ٧٨٠ برقم (٤٠١٥).

(٧) فصلت: ١٥ - ١٦.

(٨) الحاقة: ٦.

القوم المجرمين بالريح التي فيها عذاب اليم^(١)، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكََنَّ عَنْ عَاهِتِنَا فَاِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِئِمُّ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيدُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسَدُكُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥).

ولذلك كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فسألته، فقال: «إني خشيت أن يكون عذابا سلط على أمتي» (٣).

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بالغيب الذي أطلعه الله عليه من وقت الريح وأنها ستهب الليلة وما يتبع ذلك من ضرر^(٤)، فعن أبي حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة، فقال رسول الله ﷺ: احرصوها، فحرصناها وحرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال: أحصيها حتى نرجع إليك - إن شاء الله -، وانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال: رسول الله ﷺ: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألفته بجبلي طيء» (٥).

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٧-٢٨٦.

(٢) الأحقاف: ٢١ - ٢٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر: ٦١٦/٢ برقم (٨٩٩).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ٤٢/١٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ: ١٧٨٤/٤ برقم (١٣٩٢).

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يكون فيه، ومن ذلك المرور على الصراط، وقد أخبر النبي ﷺ أن بعض من يمر عليه يمر كالريح، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم ﷺ: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم، فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبياكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كالليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار»^(١).

سادساً: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وقد أخبر الله ﷻ أن الريح تُسير السفن بمشيئته، فإن شاء جعل الريح ساكنة، وإن شاء حركها، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ (٣٢) **﴿٣٢﴾** **﴿٣٣﴾** **﴿٣٤﴾** **﴿٣٥﴾** **﴿٣٦﴾** **﴿٣٧﴾** **﴿٣٨﴾** **﴿٣٩﴾** **﴿٤٠﴾** **﴿٤١﴾** **﴿٤٢﴾** **﴿٤٣﴾** **﴿٤٤﴾** **﴿٤٥﴾** **﴿٤٦﴾** **﴿٤٧﴾** **﴿٤٨﴾** **﴿٤٩﴾** **﴿٥٠﴾** **﴿٥١﴾** **﴿٥٢﴾** **﴿٥٣﴾** **﴿٥٤﴾** **﴿٥٥﴾** **﴿٥٦﴾** **﴿٥٧﴾** **﴿٥٨﴾** **﴿٥٩﴾** **﴿٦٠﴾** **﴿٦١﴾** **﴿٦٢﴾** **﴿٦٣﴾** **﴿٦٤﴾** **﴿٦٥﴾** **﴿٦٦﴾** **﴿٦٧﴾** **﴿٦٨﴾** **﴿٦٩﴾** **﴿٧٠﴾** **﴿٧١﴾** **﴿٧٢﴾** **﴿٧٣﴾** **﴿٧٤﴾** **﴿٧٥﴾** **﴿٧٦﴾** **﴿٧٧﴾** **﴿٧٨﴾** **﴿٧٩﴾** **﴿٨٠﴾** **﴿٨١﴾** **﴿٨٢﴾** **﴿٨٣﴾** **﴿٨٤﴾** **﴿٨٥﴾** **﴿٨٦﴾** **﴿٨٧﴾** **﴿٨٨﴾** **﴿٨٩﴾** **﴿٩٠﴾** **﴿٩١﴾** **﴿٩٢﴾** **﴿٩٣﴾** **﴿٩٤﴾** **﴿٩٥﴾** **﴿٩٦﴾** **﴿٩٧﴾** **﴿٩٨﴾** **﴿٩٩﴾** **﴿١٠٠﴾** **﴿١٠١﴾** **﴿١٠٢﴾** **﴿١٠٣﴾** **﴿١٠٤﴾** **﴿١٠٥﴾** **﴿١٠٦﴾** **﴿١٠٧﴾** **﴿١٠٨﴾** **﴿١٠٩﴾** **﴿١١٠﴾** **﴿١١١﴾** **﴿١١٢﴾** **﴿١١٣﴾** **﴿١١٤﴾** **﴿١١٥﴾** **﴿١١٦﴾** **﴿١١٧﴾** **﴿١١٨﴾** **﴿١١٩﴾** **﴿١٢٠﴾** **﴿١٢١﴾** **﴿١٢٢﴾** **﴿١٢٣﴾** **﴿١٢٤﴾** **﴿١٢٥﴾** **﴿١٢٦﴾** **﴿١٢٧﴾** **﴿١٢٨﴾** **﴿١٢٩﴾** **﴿١٣٠﴾** **﴿١٣١﴾** **﴿١٣٢﴾** **﴿١٣٣﴾** **﴿١٣٤﴾** **﴿١٣٥﴾** **﴿١٣٦﴾** **﴿١٣٧﴾** **﴿١٣٨﴾** **﴿١٣٩﴾** **﴿١٤٠﴾** **﴿١٤١﴾** **﴿١٤٢﴾** **﴿١٤٣﴾** **﴿١٤٤﴾** **﴿١٤٥﴾** **﴿١٤٦﴾** **﴿١٤٧﴾** **﴿١٤٨﴾** **﴿١٤٩﴾** **﴿١٥٠﴾** **﴿١٥١﴾** **﴿١٥٢﴾** **﴿١٥٣﴾** **﴿١٥٤﴾** **﴿١٥٥﴾** **﴿١٥٦﴾** **﴿١٥٧﴾** **﴿١٥٨﴾** **﴿١٥٩﴾** **﴿١٦٠﴾** **﴿١٦١﴾** **﴿١٦٢﴾** **﴿١٦٣﴾** **﴿١٦٤﴾** **﴿١٦٥﴾** **﴿١٦٦﴾** **﴿١٦٧﴾** **﴿١٦٨﴾** **﴿١٦٩﴾** **﴿١٧٠﴾** **﴿١٧١﴾** **﴿١٧٢﴾** **﴿١٧٣﴾** **﴿١٧٤﴾** **﴿١٧٥﴾** **﴿١٧٦﴾** **﴿١٧٧﴾** **﴿١٧٨﴾** **﴿١٧٩﴾** **﴿١٨٠﴾** **﴿١٨١﴾** **﴿١٨٢﴾** **﴿١٨٣﴾** **﴿١٨٤﴾** **﴿١٨٥﴾** **﴿١٨٦﴾** **﴿١٨٧﴾** **﴿١٨٨﴾** **﴿١٨٩﴾** **﴿١٩٠﴾** **﴿١٩١﴾** **﴿١٩٢﴾** **﴿١٩٣﴾** **﴿١٩٤﴾** **﴿١٩٥﴾** **﴿١٩٦﴾** **﴿١٩٧﴾** **﴿١٩٨﴾** **﴿١٩٩﴾** **﴿٢٠٠﴾** **﴿٢٠١﴾** **﴿٢٠٢﴾** **﴿٢٠٣﴾** **﴿٢٠٤﴾** **﴿٢٠٥﴾** **﴿٢٠٦﴾** **﴿٢٠٧﴾** **﴿٢٠٨﴾** **﴿٢٠٩﴾** **﴿٢١٠﴾** **﴿٢١١﴾** **﴿٢١٢﴾** **﴿٢١٣﴾** **﴿٢١٤﴾** **﴿٢١٥﴾** **﴿٢١٦﴾** **﴿٢١٧﴾** **﴿٢١٨﴾** **﴿٢١٩﴾** **﴿٢٢٠﴾** **﴿٢٢١﴾** **﴿٢٢٢﴾** **﴿٢٢٣﴾** **﴿٢٢٤﴾** **﴿٢٢٥﴾** **﴿٢٢٦﴾** **﴿٢٢٧﴾** **﴿٢٢٨﴾** **﴿٢٢٩﴾** **﴿٢٣٠﴾** **﴿٢٣١﴾** **﴿٢٣٢﴾** **﴿٢٣٣﴾** **﴿٢٣٤﴾** **﴿٢٣٥﴾** **﴿٢٣٦﴾** **﴿٢٣٧﴾** **﴿٢٣٨﴾** **﴿٢٣٩﴾** **﴿٢٤٠﴾** **﴿٢٤١﴾** **﴿٢٤٢﴾** **﴿٢٤٣﴾** **﴿٢٤٤﴾** **﴿٢٤٥﴾** **﴿٢٤٦﴾** **﴿٢٤٧﴾** **﴿٢٤٨﴾** **﴿٢٤٩﴾** **﴿٢٥٠﴾** **﴿٢٥١﴾** **﴿٢٥٢﴾** **﴿٢٥٣﴾** **﴿٢٥٤﴾** **﴿٢٥٥﴾** **﴿٢٥٦﴾** **﴿٢٥٧﴾** **﴿٢٥٨﴾** **﴿٢٥٩﴾** **﴿٢٦٠﴾** **﴿٢٦١﴾** **﴿٢٦٢﴾** **﴿٢٦٣﴾** **﴿٢٦٤﴾** **﴿٢٦٥﴾** **﴿٢٦٦﴾** **﴿٢٦٧﴾** **﴿٢٦٨﴾** **﴿٢٦٩﴾** **﴿٢٧٠﴾** **﴿٢٧١﴾** **﴿٢٧٢﴾** **﴿٢٧٣﴾** **﴿٢٧٤﴾** **﴿٢٧٥﴾** **﴿٢٧٦﴾** **﴿٢٧٧﴾** **﴿٢٧٨﴾** **﴿٢٧٩﴾** **﴿٢٨٠﴾** **﴿٢٨١﴾** **﴿٢٨٢﴾** **﴿٢٨٣﴾** **﴿٢٨٤﴾** **﴿٢٨٥﴾** **﴿٢٨٦﴾** **﴿٢٨٧﴾** **﴿٢٨٨﴾** **﴿٢٨٩﴾** **﴿٢٩٠﴾** **﴿٢٩١﴾** **﴿٢٩٢﴾** **﴿٢٩٣﴾** **﴿٢٩٤﴾** **﴿٢٩٥﴾** **﴿٢٩٦﴾** **﴿٢٩٧﴾** **﴿٢٩٨﴾** **﴿٢٩٩﴾** **﴿٣٠٠﴾** **﴿٣٠١﴾** **﴿٣٠٢﴾** **﴿٣٠٣﴾** **﴿٣٠٤﴾** **﴿٣٠٥﴾** **﴿٣٠٦﴾** **﴿٣٠٧﴾** **﴿٣٠٨﴾** **﴿٣٠٩﴾** **﴿٣١٠﴾** **﴿٣١١﴾** **﴿٣١٢﴾** **﴿٣١٣﴾** **﴿٣١٤﴾** **﴿٣١٥﴾** **﴿٣١٦﴾** **﴿٣١٧﴾** **﴿٣١٨﴾** **﴿٣١٩﴾** **﴿٣٢٠﴾** **﴿٣٢١﴾** **﴿٣٢٢﴾** **﴿٣٢٣﴾** **﴿٣٢٤﴾** **﴿٣٢٥﴾** **﴿٣٢٦﴾** **﴿٣٢٧﴾** **﴿٣٢٨﴾** **﴿٣٢٩﴾** **﴿٣٣٠﴾** **﴿٣٣١﴾** **﴿٣٣٢﴾** **﴿٣٣٣﴾** **﴿٣٣٤﴾** **﴿٣٣٥﴾** **﴿٣٣٦﴾** **﴿٣٣٧﴾** **﴿٣٣٨﴾** **﴿٣٣٩﴾** **﴿٣٤٠﴾** **﴿٣٤١﴾** **﴿٣٤٢﴾** **﴿٣٤٣﴾** **﴿٣٤٤﴾** **﴿٣٤٥﴾** **﴿٣٤٦﴾** **﴿٣٤٧﴾** **﴿٣٤٨﴾** **﴿٣٤٩﴾** **﴿٣٥٠﴾** **﴿٣٥١﴾** **﴿٣٥٢﴾** **﴿٣٥٣﴾** **﴿٣٥٤﴾** **﴿٣٥٥﴾** **﴿٣٥٦﴾** **﴿٣٥٧﴾** **﴿٣٥٨﴾** **﴿٣٥٩﴾** **﴿٣٦٠﴾** **﴿٣٦١﴾** **﴿٣٦٢﴾** **﴿٣٦٣﴾** **﴿٣٦٤﴾** **﴿٣٦٥﴾** **﴿٣٦٦﴾** **﴿٣٦٧﴾** **﴿٣٦٨﴾** **﴿٣٦٩﴾** **﴿٣٧٠﴾** **﴿٣٧١﴾** **﴿٣٧٢﴾** **﴿٣٧٣﴾** **﴿٣٧٤﴾** **﴿٣٧٥﴾** **﴿٣٧٦﴾** **﴿٣٧٧﴾** **﴿٣٧٨﴾** **﴿٣٧٩﴾** **﴿٣٨٠﴾** **﴿٣٨١﴾** **﴿٣٨٢﴾** **﴿٣٨٣﴾** **﴿٣٨٤﴾** **﴿٣٨٥﴾** **﴿٣٨٦﴾** **﴿٣٨٧﴾** **﴿٣٨٨﴾** **﴿٣٨٩﴾** **﴿٣٩٠﴾** **﴿٣٩١﴾** **﴿٣٩٢﴾** **﴿٣٩٣﴾** **﴿٣٩٤﴾** **﴿٣٩٥﴾** **﴿٣٩٦﴾** **﴿٣٩٧﴾** **﴿٣٩٨﴾** **﴿٣٩٩﴾** **﴿٤٠٠﴾** **﴿٤٠١﴾** **﴿٤٠٢﴾** **﴿٤٠٣﴾** **﴿٤٠٤﴾** **﴿٤٠٥﴾** **﴿٤٠٦﴾** **﴿٤٠٧﴾** **﴿٤٠٨﴾** **﴿٤٠٩﴾** **﴿٤١٠﴾** **﴿٤١١﴾** **﴿٤١٢﴾** **﴿٤١٣﴾** **﴿٤١٤﴾** **﴿٤١٥﴾** **﴿٤١٦﴾** **﴿٤١٧﴾** **﴿٤١٨﴾** **﴿٤١٩﴾** **﴿٤٢٠﴾** **﴿٤٢١﴾** **﴿٤٢٢﴾** **﴿٤٢٣﴾** **﴿٤٢٤﴾** **﴿٤٢٥﴾** **﴿٤٢٦﴾** **﴿٤٢٧﴾** **﴿٤٢٨﴾** **﴿٤٢٩﴾** **﴿٤٣٠﴾** **﴿٤٣١﴾** **﴿٤٣٢﴾** **﴿٤٣٣﴾** **﴿٤٣٤﴾** **﴿٤٣٥﴾** **﴿٤٣٦﴾** **﴿٤٣٧﴾** **﴿٤٣٨﴾** **﴿٤٣٩﴾** **﴿٤٤٠﴾** **﴿٤٤١﴾** **﴿٤٤٢﴾** **﴿٤٤٣﴾** **﴿٤٤٤﴾** **﴿٤٤٥﴾** **﴿٤٤٦﴾** **﴿٤٤٧﴾** **﴿٤٤٨﴾** **﴿٤٤٩﴾** **﴿٤٥٠﴾** **﴿٤٥١﴾** **﴿٤٥٢﴾** **﴿٤٥٣﴾** **﴿٤٥٤﴾** **﴿٤٥٥﴾** **﴿٤٥٦﴾** **﴿٤٥٧﴾** **﴿٤٥٨﴾** **﴿٤٥٩﴾** **﴿٤٦٠﴾** **﴿٤٦١﴾** **﴿٤٦٢﴾** **﴿٤٦٣﴾** **﴿٤٦٤﴾** **﴿٤٦٥﴾** **﴿٤٦٦﴾** **﴿٤٦٧﴾** **﴿٤٦٨﴾** **﴿٤٦٩﴾** **﴿٤٧٠﴾** **﴿٤٧١﴾** **﴿٤٧٢﴾** **﴿٤٧٣﴾** **﴿٤٧٤﴾** **﴿٤٧٥﴾** **﴿٤٧٦﴾** **﴿٤٧٧﴾** **﴿٤٧٨﴾** **﴿٤٧٩﴾** **﴿٤٨٠﴾** **﴿٤٨١﴾** **﴿٤٨٢﴾** **﴿٤٨٣﴾** **﴿٤٨٤﴾** **﴿٤٨٥﴾** **﴿٤٨٦﴾** **﴿٤٨٧﴾** **﴿٤٨٨﴾** **﴿٤٨٩﴾** **﴿٤٩٠﴾** **﴿٤٩١﴾** **﴿٤٩٢﴾** **﴿٤٩٣﴾** **﴿٤٩٤﴾** **﴿٤٩٥﴾** **﴿٤٩٦﴾** **﴿٤٩٧﴾** **﴿٤٩٨﴾** **﴿٤٩٩﴾** **﴿٥٠٠﴾** **﴿٥٠١﴾** **﴿٥٠٢﴾** **﴿٥٠٣﴾** **﴿٥٠٤﴾** **﴿٥٠٥﴾** **﴿٥٠٦﴾** **﴿٥٠٧﴾** **﴿٥٠٨﴾** **﴿٥٠٩﴾** **﴿٥١٠﴾** **﴿٥١١﴾** **﴿٥١٢﴾** **﴿٥١٣﴾** **﴿٥١٤﴾** **﴿٥١٥﴾** **﴿٥١٦﴾** **﴿٥١٧﴾** **﴿٥١٨﴾** **﴿٥١٩﴾** **﴿٥٢٠﴾** **﴿٥٢١﴾** **﴿٥٢٢﴾** **﴿٥٢٣﴾** **﴿٥٢٤﴾** **﴿٥٢٥﴾** **﴿٥٢٦﴾** **﴿٥٢٧﴾** **﴿٥٢٨﴾** **﴿٥٢٩﴾** **﴿٥٣٠﴾** **﴿٥٣١﴾** **﴿٥٣٢﴾** **﴿٥٣٣﴾** **﴿٥٣٤﴾** **﴿٥٣٥﴾** **﴿٥٣٦﴾** **﴿٥٣٧﴾** **﴿٥٣٨﴾** **﴿٥٣٩﴾** **﴿٥٤٠﴾** **﴿٥٤١﴾** **﴿٥٤٢﴾** **﴿٥٤٣﴾** **﴿٥٤٤﴾** **﴿٥٤٥﴾** **﴿٥٤٦﴾** **﴿٥٤٧﴾** **﴿٥٤٨﴾** **﴿٥٤٩﴾** **﴿٥٥٠﴾** **﴿٥٥١﴾** **﴿٥٥٢﴾** **﴿٥٥٣﴾** **﴿٥٥٤﴾** **﴿٥٥٥﴾** **﴿٥٥٦﴾** **﴿٥٥٧﴾** **﴿٥٥٨﴾** **﴿٥٥٩﴾** **﴿٥٦٠﴾** **﴿٥٦١﴾** **﴿٥٦٢﴾** **﴿٥٦٣﴾** **﴿٥٦٤﴾** **﴿٥٦٥﴾** **﴿٥٦٦﴾** **﴿٥٦٧﴾** **﴿٥٦٨﴾** **﴿٥٦٩﴾** **﴿٥٧٠﴾** **﴿٥٧١﴾** **﴿٥٧٢﴾** **﴿٥٧٣﴾** **﴿٥٧٤﴾** **﴿٥٧٥﴾** **﴿٥٧٦﴾** **﴿٥٧٧﴾** **﴿٥٧٨﴾** **﴿٥٧٩﴾** **﴿٥٨٠﴾** **﴿٥٨١﴾** **﴿٥٨٢﴾** **﴿٥٨٣﴾** **﴿٥٨٤﴾** **﴿٥٨٥﴾** **﴿٥٨٦﴾** **﴿٥٨٧﴾** **﴿٥٨٨﴾** **﴿٥٨٩﴾** **﴿٥٩٠﴾** **﴿٥٩١﴾** **﴿٥٩٢﴾** **﴿٥٩٣﴾** **﴿٥٩٤﴾** **﴿٥٩٥﴾** **﴿٥٩٦﴾** **﴿٥٩٧﴾** **﴿٥٩٨﴾** **﴿٥٩٩﴾** **﴿٦٠٠﴾** **﴿٦٠١﴾** **﴿٦٠٢﴾** **﴿٦٠٣﴾** **﴿٦٠٤﴾** **﴿٦٠٥﴾** **﴿٦٠٦﴾** **﴿٦٠٧﴾** **﴿٦٠٨﴾** **﴿٦٠٩﴾** **﴿٦١٠﴾** **﴿٦١١﴾** **﴿٦١٢﴾** **﴿٦١٣﴾** **﴿٦١٤﴾** **﴿٦١٥﴾** **﴿٦١٦﴾** **﴿٦١٧﴾** **﴿٦١٨﴾** **﴿٦١٩﴾** **﴿٦٢٠﴾** **﴿٦٢١﴾** **﴿٦٢٢﴾** **﴿٦٢٣﴾** **﴿٦٢٤﴾** **﴿٦٢٥﴾** **﴿٦٢٦﴾** **﴿٦٢٧﴾** **﴿٦٢٨﴾** **﴿٦٢٩﴾** **﴿٦٣٠﴾** **﴿٦٣١﴾** **﴿٦٣٢﴾** **﴿٦٣٣﴾** **﴿٦٣٤﴾** **﴿٦٣٥﴾** **﴿٦٣٦﴾** **﴿٦٣٧﴾** **﴿٦٣٨﴾** **﴿٦٣٩﴾** **﴿٦٤٠﴾** **﴿٦٤١﴾** **﴿٦٤٢﴾** **﴿٦٤٣﴾** **﴿٦٤٤﴾** **﴿٦٤٥﴾** **﴿٦٤٦﴾** **﴿٦٤٧﴾** **﴿٦٤٨﴾** **﴿٦٤٩﴾** **﴿٦٥٠﴾** **﴿٦٥١﴾** **﴿٦٥٢﴾** **﴿٦٥٣﴾** **﴿٦٥٤﴾** **﴿٦٥٥﴾** **﴿٦٥٦﴾** **﴿٦٥٧﴾** **﴿٦٥٨﴾** **﴿٦٥٩﴾** **﴿٦٦٠﴾** **﴿٦٦١﴾** **﴿٦٦٢﴾** **﴿٦٦٣﴾** **﴿٦٦٤﴾** **﴿٦٦٥﴾** **﴿٦٦٦﴾** **﴿٦٦٧﴾** **﴿٦٦٨﴾** **﴿٦٦٩﴾** **﴿٦٧٠﴾** **﴿٦٧١﴾** **﴿٦٧٢﴾** **﴿٦٧٣﴾** **﴿٦٧٤﴾** **﴿٦٧٥﴾** **﴿٦٧٦﴾** **﴿٦٧٧﴾** **﴿٦٧٨﴾** **﴿٦٧٩﴾** **﴿٦٨٠﴾** **﴿٦٨١﴾** **﴿٦٨٢﴾** **﴿٦٨٣﴾** **﴿٦٨٤﴾** **﴿٦٨٥﴾** **﴿٦٨٦﴾** **﴿٦٨٧﴾** **﴿٦٨٨﴾** **﴿٦٨٩﴾** **﴿٦٩٠﴾** **﴿٦٩١﴾** **﴿٦٩٢﴾** **﴿٦٩٣﴾** **﴿٦٩٤﴾** **﴿٦٩٥﴾** **﴿٦٩٦﴾** **﴿٦٩٧﴾** **﴿٦٩٨﴾** **﴿٦٩٩﴾** **﴿٧٠٠﴾** **﴿٧٠١﴾** **﴿٧٠٢﴾** **﴿٧٠٣﴾** **﴿٧٠٤﴾** **﴿٧٠٥﴾** **﴿٧٠٦﴾** **﴿٧٠٧﴾** **﴿٧٠٨﴾** **﴿٧٠٩﴾** **﴿٧١٠﴾** **﴿٧١١﴾** **﴿٧١٢﴾** **﴿٧١٣﴾** **﴿٧١٤﴾** **﴿٧١٥﴾** **﴿٧١٦﴾** **﴿٧١٧﴾** **﴿٧١٨﴾** **﴿٧١٩﴾** **﴿٧٢٠﴾** **﴿٧٢١﴾** **﴿٧٢٢﴾** **﴿٧٢٣﴾** **﴿٧٢٤﴾** **﴿٧٢٥﴾** **﴿٧٢٦﴾** **﴿٧٢٧﴾** **﴿٧٢٨﴾** **﴿٧٢٩﴾** **﴿٧٣٠﴾** **﴿٧٣١﴾** **﴿٧٣٢﴾** **﴿٧٣٣﴾** **﴿٧٣٤﴾** **﴿٧٣٥﴾** **﴿٧٣٦﴾** **﴿٧٣٧﴾** **﴿٧٣٨﴾** **﴿٧٣٩﴾** **﴿٧٤٠﴾** **﴿٧٤١﴾** **﴿٧٤٢﴾** **﴿٧٤٣﴾** **﴿٧٤٤﴾** **﴿٧٤٥﴾** **﴿٧٤٦﴾** **﴿٧٤٧﴾** **﴿٧٤٨﴾** **﴿٧٤٩﴾** **﴿٧٥٠﴾** **﴿٧٥١﴾** **﴿٧٥٢﴾** **﴿٧٥٣﴾** **﴿٧٥٤﴾** **﴿٧٥٥﴾** **﴿٧٥٦﴾** **﴿٧٥٧﴾** **﴿٧٥٨﴾** **﴿٧٥٩﴾** **﴿٧٦٠﴾** **﴿٧٦١﴾** **﴿٧٦٢﴾** **﴿٧٦٣﴾** **﴿٧٦٤﴾** **﴿٧٦٥﴾** **﴿٧٦٦﴾** **﴿٧٦٧﴾** **﴿٧٦٨﴾** **﴿٧٦٩﴾** **﴿٧٧٠﴾** **﴿٧٧١﴾** **﴿٧٧٢﴾** **﴿٧٧٣﴾** **﴿٧٧٤﴾** **﴿٧٧٥﴾** **﴿٧٧٦﴾** **﴿٧٧٧﴾** **﴿٧٧٨﴾** **﴿٧٧٩﴾** **﴿٧٨٠﴾** **﴿٧٨١﴾** **﴿٧٨٢﴾** **﴿٧٨٣﴾** **﴿٧٨٤﴾** **﴿٧٨٥﴾** **﴿٧٨٦﴾** **﴿٧٨٧﴾** **﴿٧٨٨﴾** **﴿٧٨٩﴾** **﴿٧٩٠﴾** **﴿٧٩١﴾** **﴿٧٩٢﴾** **﴿٧٩٣﴾** **﴿٧٩٤﴾** **﴿٧٩٥﴾** **﴿٧٩٦﴾** **﴿٧٩٧﴾** **﴿٧٩٨﴾** **﴿٧٩٩﴾** **﴿٨٠٠﴾** **﴿٨٠١﴾** **﴿٨٠٢﴾** **﴿٨٠٣﴾** **﴿٨٠٤﴾** **﴿٨٠٥﴾** **﴿٨٠٦﴾** **﴿٨٠٧﴾** **﴿٨٠٨﴾** **﴿٨٠٩﴾** **﴿٨١٠﴾** **﴿٨١١﴾** **﴿٨١٢﴾** **﴿٨١٣﴾** **﴿٨١٤﴾** **﴿٨١٥﴾** **﴿٨١٦﴾** **﴿٨١٧﴾** **﴿٨١٨﴾** **﴿٨١٩﴾** **﴿٨٢٠﴾** **﴿٨٢١﴾** **﴿٨٢٢﴾** **﴿٨٢٣﴾** **﴿٨٢٤﴾** **﴿٨٢٥﴾** **﴿٨٢٦﴾** **﴿٨٢٧﴾** **﴿٨٢٨﴾** **﴿٨٢٩﴾** **﴿٨٣٠﴾** **﴿٨٣١﴾** **﴿٨٣٢﴾** **﴿٨٣٣﴾** **﴿٨٣٤﴾** **﴿٨٣٥﴾** **﴿٨٣٦﴾** **﴿٨٣٧﴾** **﴿٨٣٨﴾** **﴿٨٣٩﴾** **﴿٨٤٠﴾** **﴿٨٤١﴾** **﴿٨٤٢﴾** **﴿٨٤٣﴾** **﴿٨٤٤﴾** **﴿٨٤٥﴾** **﴿٨٤٦﴾** **﴿٨٤٧﴾** **﴿٨٤٨﴾** **﴿٨٤٩﴾** **﴿٨٥٠﴾** **﴿٨٥١﴾** **﴿٨٥٢﴾** **﴿٨٥٣﴾** **﴿٨٥٤﴾** **﴿٨٥٥﴾** **﴿٨٥٦﴾** **﴿٨٥٧﴾** **﴿٨٥٨﴾** **﴿٨٥٩﴾** **﴿٨٦٠﴾** **﴿٨٦١﴾** **﴿٨٦٢﴾** **﴿٨٦٣﴾** **﴿٨٦٤﴾** **﴿٨٦٥﴾** **﴿٨٦٦﴾** **﴿٨٦٧﴾** **﴿٨٦٨﴾** **﴿٨٦٩﴾** **﴿٨٧٠﴾** **﴿٨٧١﴾** **﴿٨٧٢﴾** **﴿٨٧٣﴾** **﴿٨٧٤﴾** **﴿٨٧٥﴾** **﴿٨٧٦﴾** **﴿٨٧٧﴾** **﴿٨٧٨﴾** **﴿٨٧٩﴾** **﴿٨٨٠﴾** <

حتى لا تقف^(١).

ثم هو سبحانه إذا شاء جعل هذه الريح طيبة باردة، وإذا شاء جعلها قوية مدمرة مع "أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى، وهي مع ذلك في غاية القوة، تقلع الشجر والصخر، وتخرّب البنيان العظيم"^(٢).

سابعاً: مسائل الأسماء والأحكام:

أخبر النبي ﷺ أن بعث الريح قد يكون لموت منافق، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فرعم أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق»، فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات^(٣).

أي عقوبة له، وعلامة لموته وراحة البلاد والعباد منه^(٤).

ثامناً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها، وقد ضرب الله مثلاً لحق ثواب أعمال الكفار في هذه الدنيا في إنفاقهم مثل الريح الباردة الشديدة التي فيها نار إذا أنزلت على حرث قد آن حصاده فدمرته وأهلكته^(٥)، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

(١) تفسير الطبري: ٤١/٢٥، وتفسير القرطبي: ٣٣/١٦.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ١٣٦/١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٤/٢١٤٥ برقم (٢٧٨٢).

(٤) شرح النووي على مسلم: ١٢٧/١٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٦/٢.

فَأَهْلَكَتُهُ^١ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾.

وضرب الله مثلاً لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت بالرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة، فلا يقدرّون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما يقدرّون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم^(٢)، قال

تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ^٣ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ^٤ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ^٥ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٣﴾.

وضرب الله للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى بمن تهوي به الريح في مكان

سحيق بعيد مهلك لمن هوى فيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٤﴾.

(١) آل عمران: ١١٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٥٣/٩.

(٣) إبراهيم: ١٨.

(٤) الحج: ٣١.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الريح والرياح:-

أولاً: سب الريح:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية سبها، وهو سب لخالقها؛ لأنه الخالق لها، المتصرف فيها، والمرسل والامر لها، قال ﷺ: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت، به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»^(١).

ثانياً: نسبة حصول الذكورة والأنوثة في المولود للريح:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة الذكورة والأنوثة في المولود إلى الريح " فإذا كانت الريح شمالاً كان الولد ذكراً، وإذا كانت جنوباً كان المولود أنثى" ^(٢). وهذا باطل من وجوه كثيرة معلومة بالحس والعقل وأخبار الأنبياء؛ فإن الإذكار والإيناث لا يقوم عليه دليل ولا يستند إلى أمر طبيعي وإنما هو مجرد مشيئة الخالق البارئ المصور الذي ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ﴾ ^(٣) ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ^(٤)، ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ^(٥)، وكذا هو قرين الأجل والرزق والسعادة والشقاوة حين يستأذن الملك الموكل بالمولود ربه وخالقه فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ سعيد أم شقي؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيقضى الله ما يشاء ويكتب

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب النهي عن سب الريح: ٣٢٧ برقم (٢٢٥٢)، والمسند: ٧٥/٣٥ برقم (٢١١٣٨)، وقال محققه: " حديث صحيح"، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢٥٣/٢.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢١٧/٢.

(٣) الشورى: ٤٩ - ٥٠.

(٤) طه: ٥٠.

الملك^(١) (٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته:

٢٠٣٦/٤ برقم (٢٦٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢١٧/٢.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١ - الريح مسخرة من الأرض الثانية:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية - يعني من الأرض الثانية- فلما أراد الله أن يهلك عادًا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادًا، قال: أي رب، أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا إداً تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم. فهي التي يقول الله في كتابه: ﴿ مَا نُذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾^(١)»^(٢).

٢ - ريح الجنوب من الجنة والشمال من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح، وهي التي ذكر الله في كتابه، فيها منافع للناس، والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها هذا من ذلك»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح بسبع سنين، وإن من دونها بابا مغلقا، وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب، ولو فتح لأذرت ما

(١) الذاريات: ٤٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠ / ٣٣١٣ برقم (١٨٦٦٥)، والحاكم في المستدرک: ٤ / ٥٩٤، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: "بل منكر، فيه عبد الله بن عياش ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج وهو كثير المناكير". وقال ابن كثير: "هذا الحديث رفعه منكر، والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو، من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم". انظر: تفسير ابن كثير: ٧ / ٤٢٣.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح: ١٤٠، والطبري في تفسيره: ١٤ / ٣٠، وضعفه ابن كثير في تفسيره: ٤ / ٥٣١، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣: ٦١ / ٤٦١ برقم (٣١٤٤).

بين السماء والأرض من شيء، وهي عند الله الأزيب^(١)، وهي فيكم الجنوب»^(٢).

(١) من أسماء ريح الجنوب. وأهل مكة يستعملون هذا الاسم كثيرا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٢٤/٢.
(٢) مسند الحميدي: ٢٢٣ برقم (١٢٩)، والعظمة للأصبهاني: ١٣٣٨/٤ برقم (٨٤٥)، وقال الألباني: موضوع. انظر: ضعيف الجامع الصغير: ٢٣٢ برقم (١٦٠٧).

الفصل الثاني

الآيات الكونية الأرضية ودلالاتها العقدية.

وفيه تمهيد وتسعة مباحث:

المبحث الأول: حركة الأرض.

المبحث الثاني: الجبال.

المبحث الثالث: الزلازل والخسوف والبراكين.

المبحث الرابع: البحار والأنهار.

المبحث الخامس: الليل والنهار.

المبحث السادس: الحياة والموت.

المبحث السابع: النوم.

المبحث الثامن: النبات.

المبحث التاسع: الأمراض.

تمهيد

الآيات الكونية الأرضية هي الآيات السفلية كالأرض والجبال والبحار والأنهار وغيرها. وفي هذا الفصل أذكر الآية الكونية ومعناها وورودها في القرآن والسنة، ودلالاتها العقيدية على التوحيد بأقسامه - الربوبية والأسماء والصفات والألوهية - وبقية أركان الإيمان ومسائل العقيدة.

ثم أذكر المخالفات العقيدية والأحاديث الموضوعية والضعيفة المتعلقة بهذه الآيات الكونية.

المبحث الأول: حركة الأرض

الأرض في اللغة:

الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أصل يتفرع وتكثر مسائله، وأصلان لا ينقاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب. فأما هذان الأصلان فالأرض الزكمة، رجل مأروض أي مزكوم، وهو أحدهما، والآخر الرعدة، يقال بفلان أرض أي رعدة. وأما الأصل الأول: فكل شيء يسفل ويقابل السماء، يقال لأعلى الفرس سماء، ولقوائمه أرض.

والأرض: التي نحن عليها أنثى وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة؛ ولكنهم لم يقولوا، وفي التنزيل ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(١)، والجمع آراض وأرضين وأروض وأرضون الواو عوض من الهاء المحذوفة المقدرة^(٢).

وفي الاصطلاح:

الأرض كرة ضخمة يتكون سطحها من صخور وتربة وماء، ويحيط بها الهواء. وليست كروية تماماً؛ إذ إن المسافة بين القطبين أقصر من قطرها عند خط الاستواء^(٣). وقد ورد لفظ الأرض في القرآن في (٤٥١) موضعاً، ولم يرد بلفظ الجمع^(٤). ووردت الأرض في السنة في (١٠٣) حديثاً^(٥). وذكر بعض المفسرين أن الأرض في القرآن على سبعة عشر وجهاً^(٦):

(١) الغاشية: ٢٠.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/٧٩-٨١، لسان العرب: ٣/٢١٠٧.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١/٥١١، ٥١٤.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٤-٤٢.

(٥) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

(٦) انظر: نزهة الأعين النواظر: ١٦٨، وبصائر ذوي التمييز: ٢/٥٤.

- الأول: بمعنى الجنة، قال تعالى: ﴿أَنْتَ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)،
وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْثَرْنَا الْأَرْضَ﴾^(٢).
- الثاني: : بمعنى أرض مكة، قال تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، وقال
تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾^(٤).
- الثالث: بمعنى المدينة النبوية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾^(٥)، وقال تعالى:
﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنْ
الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾^(٧).
- الرابع: بمعنى أرض الشام وبيت المقدس، قال تعالى: ﴿كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ
الْأَرْضِ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَنَجِّنَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٩).
- الخامس: بمعنى أرض مصر خصوصاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٠)،
وقال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(١١).

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) الزمر: ٧٤.

(٣) النساء: ٩٧.

(٤) الرعد: ٤١.

(٥) النساء: ٩٧.

(٦) العنكبوت: ٥٦.

(٧) الإسراء: ٧٦.

(٨) الأعراف: ١٣٧.

(٩) الأنبياء: ٧١.

(١٠) القصص: ٤.

(١١) يوسف: ٥٥.

- السادس: أرض الغرب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).
- السابع: الأرضون السبع، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢).
- الثامن: أرض الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣).
- التاسع: بمعنى القبر، قال تعالى: ﴿لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾^(٤).
- العاشر: أرض القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٥).
- الحادي عشر: أرض التيه، قال تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦).
- الثاني عشر: بمعنى أرض بني قريظة، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا﴾^(٧).
- الثالث عشر: أرض الروم: ومنه قوله تعالى: ﴿الْعَرَبُ غَلَبَتِ الرُّومَ﴾^(٨) فِي آدَنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ^(٨).

(١) الكهف: ٩٤.

(٢) هود: ٦.

(٣) المائدة: ٣٣.

(٤) النساء: ٤٢.

(٥) الزمر: ٦٩.

(٦) المائدة: ٢٦.

(٧) الأحزاب: ٢٧.

(٨) الروم: ١ - ٣.

- الرابع عشر: أرض الأردن، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١).
- الخامس عشر: أرض الحجر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾^(٢).
- السادس عشر: أرض فارس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا﴾^(٣)، وقيل: أراد بهذه الأرض النساء.
- السابع عشر: القلب: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) يعني منفعة مواعظ القرآن في قلوب الخلق.

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) الأعراف: ٧٣.

(٣) الأحزاب: ٢٧.

(٤) الرعد: ١٧.

الدلائل العقيدية للآية الكونية - حركة الأرض:-

عظم الله من شأن الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها، ونوه بذكرها أكثر مما عظم من شأن الشمس والقمر والكواكب. وقرن خلقها مع خلق السماوات في عدة آيات من القرآن. وأخبر أنه خلقها وما فيها في أربعة أيام، وأنه خلق السماوات وما فيهن في يومين وذلك يدل على عظم الأرض^(١)، "وعظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن"^(٢)، وأنه وحده الأحد الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مَبِيناً شأن هذه الآية الكونية: "وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها"...

ثم ذكر بعض أنواع الخلق فيها، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ خلقها "فراشا ومهادا، وذلكها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعاشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها

(١) ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري: ١٧.

(٢) تفسير السعدي: ٨٠٩.

(٣) الذاريات: ٢٠.

(٤) الذاريات: ٤٨.

(٥) غافر: ٦٤.

(٦) البقرة: ٢٢.

(٧) الغاشية: ١٧ - ٢٠.

(٨) الجاثية: ٣.

بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم"...

ثم قال **رَبُّكَ اللَّهُ**: " ولولا أن هذا من أعظم آياته لما نبه عليه عباده وهداهم إلى التفكير فيه" (١).

ولما كان القرآن كثيراً ما يقرن بين السماوات والأرض كان الاستدلال بالأرض على المسائل العقديّة - في مواضع كثيرة - هو نفس الاستدلال بالسماوات، وسأشير إلى ذلك - إن شاء الله تعالى -.

ثبات الأرض:

أخبر الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنه خلق الأرض ومدّها وأرساها بجبال راسيات شامخات ترسو بها، أي تثبت (٢)، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَتْهَرًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ (٤)، "ولو كانت تجري وتدور على الشمس... لكانت تنزل من مكان إلى مكان وهذا خلاف نص الآية الكريمة" (٥).

وقال تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ**

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٠٨/١-٣٠٩ باختصار، وانظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٧، ٣٠٣/٣٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٠/٩، ١٣/١٠، ٩٠، وتفسير البغوي: ٥٠٩/٢، وتفسير ابن كثير: ٤٣١/٤، ٥٦٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣٦٠/٢.

(٣) الرعد: ٣.

(٤) فاطر: ٤١.

(٥) الصواعق الشديدة: ٢٣.

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^(٢) أي: "قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تنزل ولا تتحرك"^(٣).

وقد نقل أكثر من واحد الإجماع على وقوف الأرض وسكونها^(٤)، بل نُقل إجماع المسلمين وأهل الكتاب على ذلك^(٥).

وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيها، وزلزلة الأرض على نوعين: زلزلة عامة وهي التي تكون يوم القيامة، وزلزلة خاصة وهي التي تكون في نواحي الأرض^(٦).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت»^(٧).

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذكر بابا من قبل المغرب مسيرة عرضه، أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاما، قال سفيان: قبل الشام، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحا - يعني للتوبة - لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»^(٨).
"وهذا الحديث الصحيح من أقوى الأدلة على أن الأرض ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبداً. وهذا مستفاد من النص على أن باب التوبة ثابت في ناحية المغرب لا يزياله ولا يغلق حتى

(١) غافر: ٦٤.

(٢) النمل: ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٠٣/٦.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق: ٢٩٠.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٨٠/٩. وانظر: الصواعق الشديدة: ٥٣، وذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق: ٣٤٧.

(٦) انظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٨٧/١٧، وتتمة أضواء البيان للشيخ عطية سالم: ٤٣٠/٩.

(٧) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ١١٥: ٥٣٣ برقم (٣٣٦٩)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي: ٤٤٠ برقم (٦٦٨).

(٨) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده: ٥٥٦ برقم (٣٥٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي: ١٧٣/٣ برقم (٢٨٠١).

تطلع الشمس من مغربها"^(١)، ولو كانت متحركة لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الأرض فتكون من ناحية المغرب تارة ومن ناحية المشرق تارة...^(٢).

والله "لم يقرن الأرض في القرآن كله من أوله إلى آخره في حال ذكرها مقرونة مع غيرها لم يذكرها مقرونة إلا مع السماوات، وأما الشمس فلم يذكرها مقرونة إلا مع القمر والنجوم الأخرى، وهذا له دلالة على أن الثابت يُذكر مقروناً مع الثابت، والمتحرك يُذكر مقروناً مع المتحرك، بل حتى لو جاء ذكر تلك الأجرام مقرونة فإن الله تعالى يذكر أولاً السماوات والأرض بعدها، ثم يذكر الشمس والقمر والنجوم بعد ذلك، فلم يأت قط في القرآن أن الشمس ذُكرت مقرونة مع السماوات في آية، أو أن الشمس تُذكر بعد السماوات في حال ذكر الأجرام الكونية معها، ثم تُذكر الأرض مع القمر والنجوم، وهذا يدل على أن الثابت تذكر مع بعضها وهي السماوات والأرض، وأن المتحركة تذكر مع بعضها وهي الشمس والقمر والنجوم وهذه الحقيقة واضحة لكل من تدبر آيات القرآن"^(٣).

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: عن دوران الأرض؟ ودوران الشمس حول الأرض؟ وما توجيهكم لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا وفيها أن تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول الشمس؟ فأجاب فضيلته بقوله: "خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات لا في الكتاب ولا في السنة، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٤) ليس بصريح في دورانها، وإن كان بعض الناس قد استدلل بها عليه محتجاً بأن قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يدل على أن للأرض حركة، لولا هذه الرواسي لاضطربت بمن عليها. وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

(١) الصواعق الشديدة: ٣٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣٣.

(٣) جريان الشمس وسكون الأرض لخالد بن صالح الغيص،

<http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-142726.htm>

(٤) النحل: ١٥.

الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿١﴾ . ليس بصريح في انتفاء دورانها، لأنها إذا كانت محفوظة من الميدان في دورانها بما ألقى الله فيها من الرواسي صارت قراراً وإن كانت تدور.
 أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه - وأنى ذلك - فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها" (٢).

وهذه المسألة تكمن أهميتها في أنها تتعلق بإيماننا وتصديقنا بالقرآن الكريم الذي سنسأل عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٣﴾ .

فإن من أولى صفات المؤمنين المذكورة في القرآن هي أنهم يؤمنون بالغيب كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ، ودين الله لم يأت ليوافق ما درج وسار عليه الناس في أقوالهم وعاداتهم وعلومهم بل جاء ليبين الحق ولو خالف ما عليه الناس من باطل، كما جاء في صفة نبينا ﷺ عندما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن نبينا: « قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول عبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واركبوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة» (٥).

(١) غافر: ٦٤ .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٧٠/١ .

(٣) الزخرف: ٤٣ - ٤٤ .

(٤) البقرة: ٣ - ٤ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢٢ برقم (٧).

أولاً: وجود الله:

سبق في الفصل الأول - مبحث السماء - الاستدلال بالآية الكونية - السماء - على وجود الله، وذلك أن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها دليل قاطع على وجود الله ﷻ؛ لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدث إلى المحدث^(١)، وأن العناية بها، والإتقان فيها يدل على وجود خالقها وكمال ذاته وصفاته، وكذلك يقال في خلق الأرض والاستدلال به على وجود الله ﷻ كما قيل في السماء، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنَ الْآبَاءِ إِن كُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٣).

ثانياً: توحيد الربوبية:

سبق في الفصل الأول - مبحث السماء - بيان الاستدلال بالآية الكونية السماء على ربوبية الله، وأن النظر في ملكوت السماوات والتأمل في خلقها يدل على ربوبية الله ووحدانيته ﷻ، في ملكه وخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه^(٤)، وكذلك يقال في الآية الكونية - الأرض - كما قيل في السماء، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٤٥/١٦، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: ٢٠٩-٢٢٦.

(٢) العنكبوت: ٤٤.

(٣) إبراهيم: ١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٧، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٢٩٠/٣.

(٥) الأنعام: ٧٥.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وِلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(٢) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ^(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١ - التنزيه:

سبق في الفصل الأول - مبحث السماء - أن السماء والأرض تسبح الله وتقديسه، وتنزهه عما وصفه المشركون، قال تعالى: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾^(٥).

٢ - صفة الكلام لله ﷻ:

سبق في الفصل الأول - مبحث السماء - أن من الأدلة التي استدلت بها أهل السنة

(١) البقرة: ١٠٧

(٢) ص: ٦٥-٦٦.

(٣) لقمان: ٢٥.

(٤) الإسراء: ٤٤.

(٥) مريم: ٩٠ - ٩١.

والجماعة لإثبات صفة الكلام لله ﷻ والرد على من زعم أن المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتان، أن الله ﷻ أخبر أن السماء تكلمت، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١)، فكذاك يستدل بتكلم الأرض على إثبات صفة الكلام لله ﷻ ويرد على من زعم أن المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتان^(٢).

رابعاً: توحيد الألوهية:

الله -تعالى- يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة^(٣).

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَآيَعْلَمُونَ﴾^(٤).

أي "أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قراراً تستقرون عليها لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ يقول: بينها أنهارا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي ثوابت الجبال، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَآيَعْلَمُونَ﴾ سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَآيَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع

(١) فصلت: ١١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٣٩٣/٢، ١٥٩/٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٤، ٥٧/١٧ وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٧.

(٤) النمل: ٦١.

في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه^(١).

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

استدل الله ﷻ على البعث وإعادة الأجساد بقدرته على خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(٢).

فلو تدبروا هذه الحجة وتأملوها لبأن لهم وظهر أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على البعث وإعادة الأجساد، وأن من أنكر ذلك فإنه مستكبر معناد للحق^(٣)، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "أي إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام"^(٤).

(١) تفسير الطبري: ٤٨٤/١٩.

(٢) سبأ: ٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧، وتفسير ابن سعدي: ٧٥٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأرض -:

أولاً: التكفير لمن قال بدوران الأرض:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية الإقدام على تكفير من قال بدوران الأرض، "بغير حجة يعتمد عليها، من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا شك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه، ومن القول عليه بغير علم، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح ﷺ وجعلنا من أتباعهم بإحسان، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»^(١)، وقال ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»^(٢)، أي رجع عليه ما قال»^(٣).

وقد أنكر الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ تَكْفِيرَ مَنْ قَالَ بِدَوْرَانِ الْأَرْضِ، فَقَالَ: "أَمَّا دَوْرَانُهَا فَقَدْ أَنْكَرْتَهُ وَبَيَّنْتَ الْأَدْلَةَ عَلَى بَطْلَانِهِ وَلَكِنِّي لَمْ أَكْفِرْ مِنْ قَالِ بِهِ"^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر: ٧٩/١ برقم (٦٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم: ٧٩/١ برقم (٦١).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز: ٢٥٦/٩، وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٢٥/٢.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز: ٢٢٨/٩.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- لو كان الله ينام لم تستمسك السماء والأرض:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على المنبر قال: «وقع في نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هل ينام الله ﷻ؟ فأرسل الله إليه ملكاً، فأرقه ثلاثاً، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومه، فاصطفقت يداه فتكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلاً إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم: ٣١٨٦/١٠، والطبري في تفسيره: ٣٩٤/٥، وأبو يعلى في مسنده: ٢١/١٢، قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جداً، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع. وقال في موضع آخر: "حديثاً غريباً بل منكراً". انظر تفسير ابن كثير: ٦٧٩/١، ٥٥٨/٣.

المبحث الثاني

الجبال

الجبل في اللغة:

الجيم والباء واللام أصل يطرد ويقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع. والجبل معروف، وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، والجمع أَجْبُلٌ وَأَجْبَالٌ وَجِبَالٌ، وَأَجْبَلُ القَوْمُ صاروا إلى الجَبَلِ وَجَبَّلُوا دَخَلُوا فِي الجَبَلِ^(١).

وفي الاصطلاح:

الجبل جزء من تضاريس الأرض، يعلو كل ما يجاوره. والجبال عامة أكبر من التلال. وللجبال جوانب ومنحدرات شديدة وقمم وأجرف حادة، أو مستديرة قليلاً. وكثير من علماء الأرض يعتبرون المنطقة المرتفعة من الأرض جبلاً إذا احتوت على نطاقين مناخيين أو أكثر، ونطاقين من الحياة النباتية أو أكثر، على ارتفاعات مختلفة. وفي معظم أرجاء العالم فإن ارتفاع جبل ما يجب ألا يقل عن ٦٠٠ م عمّا حوله ليحتوي على نطاقين مناخيين. وعادة يعبر عن ارتفاع الجبل بالمسافة التي ترتفعها قمته فوق مستوى سطح البحر^(٢).

وقد ورد لفظ الجبل في القرآن في (٦) مواضع، وبلفظ الجمع في (٣٣) موضعاً^(٣).
وورد الجبل والجبال في السنة في (٤٢) حديثاً^(٤).

وذكر بعض المفسرين أن الجبل في القرآن على عشرين وجهاً^(٥):

الأول: جبال الموج للسلامة في حق نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والهلكة في حق المشركين من قومه: ﴿

وَهُى تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾^(٦).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥٠٢/١، لسان العرب: ٥٣٧/١.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٠١/٨.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٠٧-٢٠٨.

(٤) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٣٦٢/٢.

(٦) هود: ٤٢.

الثاني: جبال ثمود للمهارة والحدافة: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾^(١)،
وفي موضع: ﴿فَرِهِينَ﴾^(٢).

الثالث: محل موسى ﷺ حال الرؤية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾^(٣).

الرابع: جبل إبراهيم ﷺ لإظهار القدرة والإحياء بعد الإمامة: ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾^(٤).

الخامس: جبل بنى إسرائيل لقبول الأمر والشريعة: ﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾^(٥).

السادس: الجبل المذكور لتأثير المكر والحيلة من القرون الماضية: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَنْزِلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾^(٦).

السابع: جبل النحل لتحصيل العسل للشفاء والراحة: ﴿أَنْ أُنْخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾^(٧).

الثامن: المذكور للكن والكفاية: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(٨).

التاسع: المذكور لقهر المتكبرين عن الرعونة والتكبر: ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٩).

(١) الحجر: ٨٢

(٢) الشعراء: ١٤٩.

(٣) الأعراف: ١٤٣

(٤) البقرة: ٢٦٠

(٥) الأعراف: ١٧١

(٦) إبراهيم: ٤٦

(٧) النحل: ٦٨

(٨) النحل: ٨١

(٩) الإسراء: ٣٧

- العاشر: تزعزع الجبال بيانا لصعوبة حال القيامة: ﴿ وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ ﴾ (١)،
﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ (٢)، ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ (٣).
- الحادي عشر: المذكور للمتكبرين والمدعين لإظهار السياسة: ﴿ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (٤).
الثاني عشر: السؤال عن حال الجبال وبيان صعوبتها: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ (٥).
الثالث عشر: المذكور بالتسييح موافقة لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ ﴾ (٦)،
﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ ﴾ (٧)، ﴿ يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ ﴾ (٨).
- الرابع عشر: المذكور للانقياد وموافقته للشجر والنجوم إظهارا للخدمة (٩): ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ ﴾ (١٠).
- الخامس عشر: جبال البرد والمطر: ﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ (١١).
- السادس عشر: الإخبار عن حال الجبال في القيامة لبيان الحيرة والدهشة: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾

(١) الكهف: ٤٧

(٢) الطور: ١٠

(٣) التكويز: ٣

(٤) مريم: ٩٠

(٥) طه: ١٠٥

(٦) ص: ١٨

(٧) الأنبياء: ٧٩

(٨) سبأ: ١٠

(٩) انظر: مبحث عبودية الكائنات: ٦٥، وفيه بيان سجود وتسييح هذه الكائنات سجودا وتسييحا حقيقيا، الله أعلم بكيفيته.

(١٠) الحج: ١٨

(١١) النور: ٤٣

تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴿١﴾.

السابع عشر: المذكور لعرض الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ ﴿٢﴾.

الثامن عشر: المذكورة في سورة الواقعة والحاقة والقارعة لتأثير صعوبة القيامة: ﴿وَبُئِتِ

الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٣﴾، ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴿٤﴾، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾.

التاسع عشر: المذكور لتثبيت الأرض وتسكينها: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٦﴾.

العشرون: لبيان برهان الموحدين: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٧﴾.

(١) النمل: ٨٨

(٢) الأحزاب: ٧٢

(٣) الواقعة: ٥

(٤) الحاقة: ١٤

(٥) القارعة: ٥

(٦) النازعات: ٣٢

(٧) الغاشية: ١٩

الدلائل العقديّة للآية الكونية - الجبال -:

الجبال من آيات الله العظيمة التي أمر الله ﷻ بالتفكر فيها^(١)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾^(٢).

وهي من دلائل وحدانية الله ﷻ ومما يقر به المشركون، وقد سأل ضمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل إسلامه النبي ﷺ واستحلفه "بالذي نصب الجبال"^(٣) على صدق رسالته، وأن الله أمره بالدعوة إلى التوحيد.

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مبيناً شأن هذه الآية الكونية: " فصل، ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال الذي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الارض لا حاجة اليها وفيها من المنافع ما لا يحصيه الا خالقها وناصبها، وفي حديث إسلام ضمام بن ثعلبة قوله للنبي ﷺ: «بالذي نصب الجبال وأودع فيها المنافع الله امرك بكذا وكذا؟ قال: اللهم نعم»...

ثم ذكر جملة من المنافع، ثم قال: " ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه إلى النظر فيها وفي

كيفية خلقها فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾^(٤)، فخلقها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدره باريها وفاطرها وعلمه وحكمته ووحدانيته، هذا مع أنها تسبح بحمده وتخشع له، وتسجد وتشقق وتهبط من خشيته، وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها على شدتها وعظم خلقها من الأمانة إذ عرضها عليها وأشفقت من حملها...

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤/٢٠، والتحرير والتنوير: ٣٠٤/٣٠.

(٢) الغاشية: ١٧ - ٢٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام: ٤١/١ برقم (١٢)، وحديث إسلام ضمام بن ثعلبة

في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم: ٣٦ برقم (٦٣)

(٤) الغاشية: ١٧ - ٢٠.

فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمتها^(١).

أولاً: توحيد الأسماء والصفات:

١- التنزيه:

سبق في الفصل الأول - مبحث السماء- أن السماء والأرض تسبح الله وتقده، وتنزهه عما وصفه المشركون، وكذلك الجبال فإنها تكاد أن تسقط من دعوة المشركين لله الولد تنزيها وتعظيما لله تعالى، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ ﴾^(٢).

٢- صفة التجلي ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾^(٣).

في هذه الآية إثبات صفة التجلي لله ﷻ، فإن الله تجلى للجبل فجعله دكاً ولم يطق الثبات^(٤).

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٣٦/١ باختصار.

(٢) مريم: ٩٠ - ٩١.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) انظر: التمهيد: ١٥٣/٧، مفتاح دار السعادة: ٢١٤/٢، وتفسير السعدي: ٣٠٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤٠/٢.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾، قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، قال أحمد: أرانا معاذ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال فضرب صدره ضربة شديدة. وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم فتقول أنت ما تريد إليه" (١).

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: " وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو الذي كلم موسى تكليماً، وتجلّى للجبل فجعله دكاً، ولا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحد، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره، ولا كتكليمه تكليم أحد، ولا كتجليه تجلي أحد" (٢).

وفي الآية أيضاً دليل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم؛ لأن الله رتب الرؤية في هذه الآية على

ثبوت الجبل، فقال - لموسى عليه السلام في بيان سبب عدم إجابته للرؤية - ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ (٣) إذا تجلى الله له ﴿فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ (٤).

فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينسب موسى عليه السلام إلى الجهل بسؤال الرؤية، ولم يقل إني لا أرى، بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً.

وهذا من أدلة رؤية المؤمنين لربهم، ولكنهم لا يرونه في الدنيا، وإنما يرونه في الآخرة، كما

وردت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٥)، وقال تعالى

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٨١/١٩ برقم (١٢٢٦٠)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال

الشيخين غير حماد بن سلمه فمن رجال مسلم.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٥٧/٥.

(٣) الأعراف: ١٤٣

(٤) الأعراف: ١٤٣

(٥) القيامة: ٢٢

في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(١)، فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا^(٢). وقال ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت»^(٣).

ثانياً: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق - الأرض - أن الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة^(٤)، وذكر منها الجبال التي جعلها الله رواسي، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزًا ذَا ذِكْرٍ﴾^(٥).

وفي دعوة الله للمشركين لإفراده بالعبادة ذكر الله ﷻ جملة من النعم، ومنها الجبال التي جعل منها الحصون والمعازل، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٦) وعلل ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ﴾^(٦)، أي حتى تؤمنوا بالله وحده، وتتركوا الشرك وعبادة الأوثان، فتدخلوا جنة

(١) المطففين: ١٥

(٢) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة: ٥٩/٣، وكتاب التوحيد لابن خزيمة: ٣٥٤/١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٢٢٤٤/٤ برقم (١٦٩).

(٤) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٤، ٥٧/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٧.

(٥) النمل: ٦١.

(٦) النحل: ٨١.

ربكم" (١).

ومن دلائل توحيد الله ﷻ التفكير في خلق السماوات والأرض وما فيها، ومن ذلك نصب الجبال، فإن فيها خلق بديع، وقد سخرها الله للعباد، وذلكها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها (٢)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (٣).

الحشوع:

أخبر الله ﷻ أن من صفات عباده المؤمنين الحشوع، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٥﴾﴾ (٥).
وبين الله ﷻ أن الجبال لو أنزل عليها القرآن لحشعت وتصدعت من خشية الله، فكذلك ينبغي أن يكون قلب المؤمن خاشعا عند سماعه للقرآن ومواعظه (٦)، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧﴾﴾ (٧).

ثالثاً: الإيمان بالملائكة:

(١) التحرير والتنوير: ٢٢٧/١٧.

(٢) تفسير السعدي: ٩٢٢.

(٣) الغاشية: ١٧ - ٢٠.

(٤) المؤمنون: ١ - ٢.

(٥) الأنبياء: ٩٠.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٨/٨، وتفسير السعدي: ٨٥٣.

(٧) الحشر: ٢١.

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك الملك الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له، وفيه يقول النبي ﷺ: «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(١).

رابعاً: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أن القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مهيمنا على جميع الكتب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٢)، كما أخبر تعالى عن فضل القرآن على غيره من الكتب، وأنه لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره^(٣)، وذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كفرون به، جاحدون له^(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: ٣/١٤٢٠ برقم (١٧٩٥).

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) انظر: تفسير السعدي: ٤١٨، والتحرير والتنوير: ١٣/١٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/٤٦٠، وانظر: تفسير الطبري: ١٦/٤٤٩.

(٥) الرعد: ٣١.

خامساً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول بالإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات: الآية التي أظهرها الله ﷺ لقوم موسى ﷺ لأخذ العهد عليهم للعمل بالتوراة، فكان رفع الطور^(١)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ومن الآيات التي أيد الله بها رسله تسخير الجبال مع نبي الله داود ﷺ: "وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم لله ذكرا وتسبيحا وتمجيذا، وكان قد أعطاه الله من حسن الصوت ورقته ورحامته، ما لم يؤتته أحدا من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور بهم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه"^(٣). قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٥) (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ^(٥).

ومن دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ أنه ضرب جبل أحد برجله لما رجف به، وقال له: اسكن فسكن، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعد النبي ﷺ أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل، فقال: "اسكن، وضربه برجله فليس عليك إلا نبي وصدیق وشهيدان"^(٦).

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله على ﷺ على أيدي أتباع الرسل، إجابة

(١) انظر: سنن النسائي الكبرى، كتاب التفسير، سورة طه: ١٠/١٧٢ برقم (١١٢٦٣)، وتفسير الطبري: ١٣٠/٩.

(٢) الأعراف: ١٧١.

(٣) تفسير السعدي: ٥٢٨، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦، والتحرير والتنوير: ١١٩/١٧.

(٤) الأنبياء: ٧٩.

(٥) ص: ١٧ - ١٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٧٠٦ برقم

(٣٦٩٧)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٣٥٠/٦، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٤٥٥/٦.

لدعوتهم ونصرة لهم، ومن ذلك قصة الغلام مع الملك الذي أرداد أن يقتله إن لم يرجع عن دينه، فأبى الغلام، فأمر الملك "نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك"^(١).

سادساً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل الجبال أوتادا للأرض تمسكها عن الأضطراب، وأن القادر على ذلك قادرٌ على البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿٢﴾﴾.

فالذي أنعم "بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتحدونها؟"^(٣).

وفي معرض الأدلة الواضحة التي استدلل الله بها على منكري البعث ذكر الله ﷻ أنه ثبت الأرض بالجبال الرواسي^(٤)، قال تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِيَنْعَمَكُمُ ﴿٥﴾﴾.

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرفاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام: ٢٢٩٩/٤ برقم (٣٠٠٥) وانظر: شرح النووي على مسلم: ١٣٠/١٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤٨٤/٨.

(٢) النبأ: ٦ - ١٧

(٣) تفسير السعدي: ٩٠٦.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨، وتفسير السعدي: ٩٠٩.

(٥) النازعات: ٢٧ - ٣٣

سابعاً: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبٌ سُوْدٌ﴾^(١)، فخلق الجبال مختلفة الألوان، كما هو مشاهد من بيض وحمرة، وفي بعضها طرائق - وهي الجدد جمع جدة - مختلفة الألوان. وفيها غرايب سود، أي شديدة السواد جداً؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

وفي "تفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً، ما هو معلوم. وذلك أيضاً، دليل على سعة علم الله تعالى"^(٢).

ثامناً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

ضرب الله ﷻ مثلاً للقاسية قلوبهم - الذين نسوا الله - وانتفاء تأثرهم بقوارع القرآن بالجبل الجامد الذي لو أنزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

(١) فاطر: ٢٧

(٢) تفسير السعدي: ٦٨٨.

(٣) الحشر: ٢١.

أي "لو كان المخاطب بالقرآن جبلاً، لتأثر بخطاب القرآن تأثراً ناشئاً من خشية الله خشية تؤثرها فيه معاني القرآن" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (٢)، قيل: أن الجبال "ضربت مثلاً لأمر النبي ﷺ، وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية والمعنى: لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال، لما زال أمر الإسلام" (٣).
وفي بيان عناية الله تعالى بصدقة عبده إذا قبلها منه أخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ يريها حتى تكون مثل الجبل، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيبٍ ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يري أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل» (٤).

تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون بكل ذنب، وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٥).
وأخبر النبي ﷺ أن أناس من المسلمين يأتون يوم القيامة بذنوب كالجبال فيغفرها لهم، عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «يجيء الناس يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال

(١) التحرير والتنوير: ١١٦/٢٨، وانظر: تفسير القرطبي: ٤٤/١٨.

(٢) إبراهيم: ٤٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٣٧٤/٤، وانظر: تفسير البغوي: ٥٦٩/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾: ١٤١٥ برقم (٧٤٣٠) وانظر: فتح الباري: ٤١٥/١٣، وشرح كتاب التوحيد من

صحيح البخاري للغنيمان: ٣٨٤/١.

(٥) النساء: ٤٨.

الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى^(١)»^(٢).

(١) معناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بدمن هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَّزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقوله ويضعها المراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم، كما ذكرناه؛ لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفار سبب فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها. والله أعلم. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ١٧/١٨٥.

(٢) صحيح مسلم، كتابة التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله: ٤/٢١١٩ رقم (٢٧٢٦)،.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الجبال -:

أولاً: من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الجبال - التحريف لمعنى محبة الجبل للنبي ﷺ، فقد أخبر النبي ﷺ عن جبل أحد بقوله: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(١). فقيل المراد بذلك: يحبنا أهله، وقيل: نحن نحبه ونستبشر برؤيته، فلو كان هو ممن يعقل لأحبنا على سبيل مطابقة الكلام ومجانسة الألفاظ، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: أن محبتنا له محبة من يعتقد أنه يحبنا، وقيل: أن تكون المحبة هنا عبارة عن الانتفاع بمن يحبنا في الحماية والنصرة^(٢).

والصحيح أن "محبه حقيقية كما يسبح كل شيء حقيقة؛ ولكن لا يفهم ذلك الناس وغير نكير أن يصنع الله محبة رسوله في الجماد وفيما لا يعقل كعقل الآدميين، كما وضع الله خشيته في الحجارة فأخبر في محكم كتابه بأن منها ما يهبط من خشية الله... ومثل هذا كثير قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣)^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه: ١٠١١/٢ برقم (١٣٩٢).

(٢) انظر هذه الأقوال في: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢/٢٨١، وإكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ٤/٤٨٥، والاستذكار: ٣٤/٢٥.

(٣) الإسراء: ٤٤

(٤) الاستذكار ٣٥/٢٥، وانظر: شرح النووي على مسلم: ١٤٠/٩، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٠/٨.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجِبَالِ طَارَتْ لِعَظْمَتِهِ سِتَّةَ أَجْبَلٍ، فَوَقَعَتْ ثَلَاثَةٌ بِالْمَدِينَةِ وَثَلَاثَةٌ بِمَكَّةَ، بِالْمَدِينَةِ: أَحَدٌ، وَوَرِقَانٌ، وَرَضْوَى. وَوَقَعَ بِمَكَّةَ: حِرَاءٌ، وَثَبِيرٌ، وَثُورٌ»^(١).

(١) وهو حديث موضوع: قال أبو حاتم بن حبان الحافظ: هذا حديث موضوع ولا أصل له. انظر الموضوعات لابن الجوزي: ١/١٧٣، وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب، بل منكر". انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٠١.

المبحث الثالث

الزلازل والخسوف والبراكين

الزلازل في اللغة:

الزاء واللام أصل مطرد منقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي. وهذا من عجيب هذا الأصل. تقول: زلَّ عن مكانه زليلاً وزلاً. وتزلزلت الأرض: اضطربت، وزُزلت زلزلاً.

والزَّلْزَلَةُ والزَّلْزَالُ تحريك الشيء، وقد زلَّله زلزلةً وزلزلاً، والاسم الزَّلْزَالُ وزُلْزَلَ اللهُ الأَرْضَ زلزلةً وزلزلاً بالكسر فَتَزَلَزَلَتْ هي. والزَّلْزَلَةُ التخويف والتحذير ومنه قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ﴾ (١) أي خوفوا وحذروا، والزلازل الشدائد والأهوال، والزَّلْزَلَةُ في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ومنه زلزلة الأرض (٢).

وفي الاصطلاح:

الزلازل هو: اهتزاز الأرض بسبب انكسار وزحزحة مفاجئة لقطاعات عريضة من قشرة الأرض الصخرية الخارجية. وهو من أعظم الأحداث ذات القوة الهائلة التي تُصيب الأرض ولها نتائج مرعبة (٣).

الحسف في اللغة:

الحاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغوور، وإليه يرجع فروع الباب. فالْحَسْفُ والحَسْفُ غموض ظاهر الأرض. قال الله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِءَ وَيَدَارِهِ الأَرْضَ﴾ (٤). والحسف سُؤُوْحُ الأَرْضِ بما عليها. حَسَفْتُ تَحْسِفُ حَسْفًا وحُسُوفًا وَنَحَسَفْتُ، وَحَسَفَهَا اللهُ، وَحَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ حَسْفًا أي غابَ به فيها. وَحَسَفَ المَكَانُ يَحْسِفُ حُسُوفًا: ذَهَبَ فِي

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/٣، لسان العرب: ١٨٥٦/٣.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٥٩١/١١.

(٤) القصص: ٨١.

الأرض وحَسَفَهُ اللهُ تعالى، وحُسِفَ بالرجل وبالقوم إذا أخذته الأرض ودخل فيها والحَسْفُ إلحاقُ الأرض الأولى بالثانية^(١).

وفي الاصطلاح:

انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، وعكسه. يقال: خسفت الأرض وخسف الله الأرض فانخسفت، فهو يستعمل قاصراً ومتعدياً، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال^(٢).

البركان في الاصطلاح:

هو فتحة في سطح الأرض، تتفجر وتثور من خلالها الحمم، والغازات الحارة، والشظايا الصخرية. وتشكل هذه الفتحة عند اندفاع الصخر المنصهر من باطن الأرض، متفجراً على سطح الأرض. وتكون معظم البراكين على هيئة جبال، وبخاصة الجبال المخروطية الشكل التي تكونت حول الفتحة نتيجة تجمع وتراكم الحمم ومواد أخرى قُذِفَتْ إلى سطح الأرض أثناء الثوران البركاني^(٣).

وقد وردت الزلزلة في القرآن في (٦) مواضع، والخسف في (٨) مواضع، أما البركان فلم يرد في القرآن^(٤).

ووردت الزلازل في السنة في (٢٣) حديثاً^(٥).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١٨٠/٢، ولسان العرب: ١١٥٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨٥/٢٠.

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٣٤٢/٤.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٩٥، ٤٢١.

(٥) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٨.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - الزلازل والحسوف والبراكين -:

الزلازل والحسوف والبراكين من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته، وتصرفه سبحانه وتعالى في هذا الكون، ونفوذ مشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن. وفيها تذكير الله لعباده بقوته، وتعريفهم بعجزهم وضعفهم، وأنهم مهما بلغ تقدمهم المادي، ومعرفتهم بوقت هذه الزلازل فإنهم لا يقدرّون ردها، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فالله عزّ وجلّ هو المهيمن على كل شيء، فلا راد لما قضاء.

وهي جند من جنود الله التي يسخرها الله عقابا للمذنبين، وابتلاء للصالحين، وعبرة للناجين، وظهور هذه الزلازل والحسوف والبراكين وعيد من الله لأهل الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله مبينا أثر هذه الآيات الكونية على حياة الناس: " فصل، ثم تأمل خلق الارض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهادا ومستقرا للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس لراحاتهم، والنوم لهدوهم، والتمكن من أعمالهم، ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قرارا ولا هدوا، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة، وكيف كانوا يتهنّون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلة مكثها كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ

(١) الإسراء: ٥٩.

(٢) يونس: ١٠١.

(٣) الإسراء: ٦٠.

(٤) النحل: ١٥.

قَرَارًا ﴿(١)﴾^(٢).

أولاً: توحيد الربوبية:

الزلازل والخسوف والبراكين من أعظم الدلائل على عظمة الله تعالى، ففيها بيان قدرة الله وعظيم تصرفه ومملكه وتدييره لهذا الكون، وأن القادر على هذه الأمور كلها هو الله سبحانه، وأن المخلوقات مع ما وصلت إليه من الإمكانيات والطاقات والقدرات، وما اخترعه من أجهزة الأرصاد التي يعرفون من خلالها أي حدث يحدث من زلازل وغيرها عاجزة عن أن تفعل أي شيئاً.

فحدوث هذه الآيات الكونية فجأة يحبط إدعاءهم وما قدره^(٣)، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٧)

(١) غافر: ٦٤.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم: ٢١٧/١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥١/٢٠، والإعجاز العلمي في القرآن لسامي الموصلبي: ٦٩.

(٤) النحل: ٤٥.

(٥) الإسراء: ٦٨.

(٦) الملك: ١٦.

(٧) النمل: ٦٥.

ثانيا: توحيد الأسماء والصفات:

١ - صفة الرحمة:

أخبر الله تعالى عن حلمه وإمهاله وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٤٦) ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١). فهم لا يُعجزون الله على أي حال كانوا عليه.

فبين سبب عدم الخسف بهم وهو أنه سبحانه وتعالى رؤوف رحيم، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (٢).

وهذه الزلازل والخسوف والبراكين لو حدثت فهي رحمة للمؤمنين، فإن ما يصيبهم في الدنيا يحصل لهم به تكفير السيئات، قال ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَغْزُو جَيْشَ الْكُعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يَخْسِفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم» (٤).

"فبعث كل واحد منهم على حسب أعماله من خير وشر، فإن كانت نيته وعمله صالحة فعقباه صالحة وإلا فسيئة، فذلك العذاب طهرة للصالح ونقمة على الفاسق، فالصالح ترفع درجاته والطالح تسفل دركاته، فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب والعقاب، بل يجازى

(١) النحل: ٤٥ - ٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير: ٤/٢٢٩٥ برقم (٢٩٩٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق: ٣٩٩ برقم (٢١١٨).

كل واحد بعمله على حسب نيته" (١).

٢- العدل:

إن الله ﷻ حكم عدل لا يظلم الناس شيئاً، وإذا أصاب الناس زلزال أو خسف أو غيرها فإن ذلك بسبب ذنوبهم وعصيانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٢). ولما ذكر الله ﷻ عقوبة قارون، وفرعون، وهامان، بعد أن بعث الله إليهم موسى ﷺ، بالآيات البيّنات، والبراهين الساطعات، بين أن سبب تلك العقوبة - والتي منها الخسف - هو ظلمهم، وأن الله لم يظلمهم، فلم "يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم - الذين أهلكتهم - بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكتهم بذنوبهم، وكفرهم برهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم" (٣).

قال تعالى: ﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ ۖ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤).
فإن الله ﷻ "ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق" (٥).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصغير: ٢٠١/٢.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٨/٢.

(٤) العنكبوت: ٣٩ - ٤٠.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣١.

في دعوة المشركين إلى إفراد الله بالعبادة والدعاء، يخوفهم الله ﷻ بعقابه ويذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته، وأنه هو النافع الضار، المتصرف في خلقه بما يشاء، ومن جملة ما يذكره الله ﷻ هذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف -^(١)، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِتٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾^(٣) ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾^(٤).

فذكرهم الله تعالى بشواهد الربوبية والإنعام، وأنه على كل شيء قدير، إن شاء أنزل عليهم العذاب من أسفل منهم بالخسوف، وبأنه تعالى قادر على تعذيب من كفر بالله وأشرك معه إلهًا آخر^(٥)، ليتدبروا فيتركوا العناد، ويفردوه بالعبادة.

وعند وجود الشدائد والخوف - ومن ذلك الزلازل - يلجأ الإنسان إلى ربه ومعبوده، ويتعوذ به من جميع الشرور، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»^(٥).

فقوله: "من شرك"، أي من شر ما حصل من ذاتك من الخسوف والزلزلة والسقوط عن الطريق والتحير في الفيافي"^(٦).

(١) التحرير والتنوير: ١٥٣/٢٢.

(٢) سبأ: ٩.

(٣) الإسراء: ٦٧ - ٦٨.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٣٢/٢٩.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل: ٢٩٤، برقم (٢٦٠٣)، ومسند الإمام أحمد:

٣٠٠/١٠ برقم (٦١٦١)، وقال محققه: إسناده ضعيف. وانظر: سنن أبي داود: ٢٥٥.

(٦) عون المعبود: ٢٦٣/٧.

رابعاً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بجميع ما أخبروا به مما وقع، ومما سيقع، ومن ذلك الزلازل والخسوف التي أخبر بها النبي ﷺ وهي من دلائل نبوته^(١).

ومن الآيات النبوية التي أخبر بها النبي ﷺ كثرة الزلازل في آخر الزمان، قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج -وهو القتل القتل- حتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(٢).

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»^(٣).

قيل المراد بالزلازل: "على ظاهره جمع زلزلة وهي اضطراب الأرض"^(٤).
وقوله ﷺ: «في هذه الأمة خسف ومسح وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر»^(٥).

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

(١) لمعرفة الزلازل التي وقعت على الأمة الإسلامية انظر: كتاب المدهش لابن الجوزي: ١٠٠، وكتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي: ٦٤، وزلازل جزيرة العرب في المصادر الإسلامية (منذ القرن الأول حتى القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع حتى القرن السابع عشر الميلادي) لخالد يونس الخالدي، مجلة الجامعة الإسلامية-سلسلة الدراسات الإنسانية-المجلد السابع عشر، العدد الأول: ٣٥٩-٣٧٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات: ٢٠٥ برقم (١٠٣٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات: ٢٠٥ برقم (١٠٣٧).

(٤) فتح الباري: ١/١٢٨.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب علامة المسح والخسف: ٣٦٧ برقم (٢٢١٣). وصححه الألباني. انظر: السلسلة

الصحيحة: ٣٩٢/٤ برقم (١٧٨٧).

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أحوال القبر وعذابه ونعميه، ومن أن الأرض تأكل أجساد الأموات إلا الأنبياء^(١)، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»^(٢). وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رجل خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرَّ جُمَّته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»^(٣)، "ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل"^(٤).

سادساً: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقته ومشيتته وكتابته لكل شيء، فهذا الكون يجري بتقدير الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٥)، ومن الأمثلة على ذلك الزلازل والخسوف التي يحدثها الله تعالى، فإنها تقع بمشيئة الله، ولا يستطيع أحد ردها، مهما وضع الخلق من أجهزة والآلات لرصدها؛ فإنها تقع بإذن الله، بل يفجؤون بها، وتقلب عليهم بيوتهم وجسورهم ونحو ذلك دون أن يشعروا بقرب وقوعه.

"فما من شيء يحدث في الأرض ولا في السماء، في البر أو البحر أو الجو إلا في كتاب، وهذا يجعل الإنسان المؤمن يسلم ويرضى بالقضاء والقدر، فما من مصيبة كالزلازل والخسوف والبراكين وغير ذلك إلا وقد كتبها الله سبحانه وتعالى من قبل خلق الإنسان، وهذا يدل على أن

(١) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ٣٦٧، وشرح العقيدة الطحاوية: ٤٠١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين: ٤/٢٢٧٠ برقم (٢٩٥٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء: ١١٣٢ برقم (٥٧٨٩).

(٤) فتح الباري: ١٠/٢٦١.

(٥) الحديد: ٢٢.

الإيمان بالقضاء والقدر يقتضي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قدر هذه الأشياء قبل أن توجد^(١). ومن كمال قدرة الله تعالى أنه أعطى بعض الحيوانات، التي ليس لها عقول تفكر، ولا علم ولا حضارة، أعطاها غريزة الاحساس بقرب وقوع الزلزال، ولذلك فهي تسارع بمغادرة المكان أو يحدث لها هياج، إن كانت محبوسة في الأفقاص أو حظائر مغلقة، وذلك ليلفتنا الله سبحانه وتعالى إلى أن العلم يأتي منه سبحانه وتعالى ولا يحصل عليه الانسان بقدرته، فيعطي سبحانه من لا قدرة له على الفكر والكشف العلمي ما لا يعطيه لذلك الذي ميزه بالعقل والعلم.

لماذا؟ لنعلم أن كل شيء من الله فلا نعبد قدراتنا، ولا نقول: انتهى عصر الدين والإيمان وبدأ عصر العلم، بل نلتفت إلى أن الله يعطي لمن هم دوننا في الخلق علما لا نصل نحن إليه، فنعرف أن كل شيء بقدرته وحده سبحانه وتعالى^(٢).

(١) تيسير لمعة الاعتقاد للمحمود: ٢٣٢، بتصرف يسير.

(٢) الآيات الكونية ودلالاتها على وجود الله تعالى، محمد متولي الشعراوي: ١٤.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين -:

أولاً: اعتقاد أن للبراكين آلهة غير الله تعالى:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - البراكين - اعتقاد أن لها آلهة غير الله تعالى، ويعود لفظ بركان إلى Valcan إله النار عند الرومان القدماء، ويعتقدون أن ما ينتج عنها من دمار وخراب هو من غضب الإله^(١).

ثانياً: نسبة حدوث هذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين - إلى الطبيعة

أو بعض الخرافات:

فبعظهم ينسب حدوث هذه الآيات الكونية إلى وجود دواب خيالية تشبه الحيوانات التي يراها ولكنها أكثر منها ضخامة تقوم بحمل الأرض، ونتيجة لحركة هذه الدواب تهتز الأرض محدثة الزلازل، ومن تلك الأساطير المعروفة أسطورة الثور الذي يحمل الأرض على أحد قرنيه، فإذا ما أجهده حمله الثقيل نقلها إلى القرن الثاني، وهو ما ينجم عنه اهتزاز كوكب الأرض^(٢).
أو تنسب هذه الآيات الكونية إلى غير خالقها سبحانه كأن ينسب ما يحدث من زلازل وبراكين وفيضانات إلى الطبيعة^(٣).

ومنهم من يفسر الزلازل والخسوف والبراكين تفسيراً مادياً بحتاً، فيقولون أن سبب هذا الزلزال ضعف في القشرة الأرضية، ووجود اختلالات وفجوات في داخلها، أو أن هذا شيء يحصل في الكرة الأرضية كل مائتي عام.

والجواب عن هذا أن نقول نحن لا ننكر وجود مثل هذه الأسباب^(٤)، ولكننا يجب أن نعلم

(١) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ١٣/١٨٧، الله لعباس محمود العقاد: ٧٦.

(٢) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ١٣/١٧٩.

(٣) انظر: الإسلام يتحدى: ٨١.

(٤) انظر: فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ٣/١٠٦ ومجلة البحوث العدد ٧٧: ٤٥.

أن وراء هذه الأسباب المادية أسباباً شرعية هي التي سببت هذا الخلل في القشرة الأرضية أو غيره من الأسباب، ثم حصلت تلك الكوارث والمصائب، فهذه الأسباب المادية التي يذكرونها -إن صحت- لا تعدو أن تكون وسيلة لما تقتضيه الأسباب الشرعية من المصائب والعقوبات العامة.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر مصارع الأمم السالفة: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

وهذه "الزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات والحوادث لها أسباب وحكم فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك. وأما أسبابه فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق فإذا انضغط طلب مخرجاً فيشق ويزلزل ما قرب منه من الأرض.

وأما قول بعض الناس إن الثور يحرك رأسه فيحرك الأرض فهذا جهل، وإن نقل عن بعض الناس، وبطلانه ظاهر، فإنه لو كان كذلك لكانت الأرض كلها تزلزل، وليس الأمر كذلك، والله أعلم"^(٢).

ثم إن وجود هذه الأسباب التي خلقها الله تعالى، التي متى وجدت وجد الزلازل هذا لا يمنع أبداً من تغير هذه السنة، ووقوعها في مناطق صلبة.

والله سُبْحَانَهُ لم يخلق الأشياء ولم يقدرها إلا للحكمة، وحصر الحكمة والعلة في الظواهر الطبيعية، من تغير في سير الأرض، ومواقع الجزر والقارات: تحكم بغير دليل.

ولما حدث الخسف بقارون فعلاً لم يكن السبب أن القشرة الأرضية كانت لينة وهينة بل السبب أنه عصى الله ورسوله، قال الله عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾^(٣).

(١) العنكبوت: ٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٤/٢٦٤، وانظر: كشف الصلصلة في وصف الزلزلة: ٢٥.

(٣) القصص: ٨١.

وعندما أخبر ﷺ عن الرجل الذي خسف به لم يقل: إن السبب في الخسف هزة أرضية بل خسف به بسبب تكبره وتجبهره، قال ﷺ: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»^(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسْبَاطِ بَعْضٍ ﴾^(٢).

فقوله: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ أي الرجفة والخسف^(٣)، فلا تنسب الحوادث للطبيعة ولا نشتم الطبيعة لأنها غير فاعلة، وإنما الفاعل هو الله، وهو الذي يجعلها سببا لعذابه أو بلائه أو رحمته.

والقول عن هذه الآيات بأنه أمر طبيعي يبطل انتقام الله لأوليائه، قال سبحانه وتعالى عن قوم صالح ﷺ: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتُّنَابًا مَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٤) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ^(٥).

وقال تعالى عن قوم شعيب ﷺ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴾^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤): ٦٧١ برقم (٣٤٨٥).

(٢) الأنعام: ٦٥.

(٣) تفسير القرطبي: ٩/٧.

(٤) الأعراف: ٧٧ - ٧٨.

(٥) العنكبوت: ٣٧.

المبحث الرابع

البحار والأنهار

البحر في اللغة:

سَمِيَ البحر بحرًا لاستبحاره، وهو انبساطه، وسَعْتُهُ، وعمقه، ويقال إنما سمي البحر بحرًا لأنه شَقَّ في الأرض شَقًّا وجعل ذلك الشق لمائه قرارًا، والْبَحْرُ في كلام العرب الشَّقُّ. والْبَحْرُ الماء الكثير مِلْحًا كان أو عَذْبًا وهو خلاف البَرِّ، وقد غلب على المِلْح حتى قَلَّ في العَذْبِ، وجمعه أَبْحَرٌ وَبُحُورٌ وَبِحَارٌ، وماءٌ بَحْرٌ مِلْحٌ قَلٌّ أو كثر. والأنهار كلها بحار، وكل نهر لا ينقطع ماؤه من الأنهار العذبة الكبار فهو بَحْرٌ، و أما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأنهار فلا يكون ماؤه إلا مِلْحًا أَجَاجًا ولا يكون ماؤه إلا رَاكِدًا، وأما هذه الأنهار العذبة فمأؤها جار وسميت هذه الأنهار بحارًا لأنها مشقوقة في الأرض شَقًّا^(١).

وفي الاصطلاح:

المحيط: جسم مائي عظيم يغطي أكثر من ٧٠% من سطح الأرض. ويحتوي على ٩٧% من جميع المياه الموجودة على الأرض. ويشتمل كل محيط على أجسام مائية أصغر حجمًا تسمى بحارا وخلجانًا وشبه خلجان، تقع على امتداد حواف المحيطات. وعمومًا تعني كلمة البحر أيضًا المحيط^(٢).

النهر في اللغة:

النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتُّح شيءٍ أو فتحة. وسَمِيَ النَّهْرُ لأنه يَنْهَرُ الأرض أي يشقُّها. وجمع النَّهْرِ أَنْهَارٌ وَنُهُرٌ وَنُحُورٌ. واسْتَنْهَرَ النَّهْرُ: أَحَدَ مَجْرَاهُ. وَأَنْهَرَ المَاءُ: جَرَى^(٣).

وَالنَّهْرُ من مجاري المياه. وَنَهَرَ المَاءُ، إِذَا جَرَى فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ نَهْرًا، وَنَهَرَتْ النَّهْرَ حَقَرْتُهُ، وَنَهَرَ النَّهْرُ يَنْهَرُهُ نَهْرًا أَجْرَاهُ^(٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٠١/١، لسان العرب: ٢١٥/١.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٢/٢٧٩، ٤/١٩٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/٣٦٢.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/٣٦٢، ولسان العرب: ٦/٤٥٦٦.

وفي الاصطلاح:

مسطح مائي ينساب على اليابسة في مجرى طويل. وتبدأ معظم الأنهار من أعالي الجبال أو التلال، وقد يكون منبع النهر مثلجة، أو نهرًا جليديًا ينصهر، أو ينبوعًا، أو بحيرة تفيض مياهها. ويتلقى النهر أثناء جريانه في مجراه المزيد من المياه من الجداول، والأنهار الأخرى، ومياه الأمطار، ويقع مصب النهر في نهايته، حيث تصب مياهه في نهر أكبر، أو في بحيرة، أو في أحد المحيطات^(١).

وقد ورد لفظ البحر في القرآن في (٣٣) موضعاً، ولفظ التثنية في (٥) مواضع، ولفظ الجمع في (٣) مواضع^(٢).

وورد لفظ النهر في القرآن في (٣) مواضع، ولفظ الجمع في (٥١) مواضع^(٣).
أما في السنة فقد وردت البحار في (٥٩) حديثاً^(٤).
وذكر بعض المفسرين أن البحر في القرآن ورد على أنحاء^(٥):

الأول: بمعنى ضد البر: ﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾^(٦)، ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾^(٧).

الثاني: بمعنى بحر فارس والروم: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٨).

الثالث: بمعنى البحر الذي تحت العرش المجيد، وفيه عجائب لا يعلمها إلا الله: ﴿

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٥٣٩/٢٥.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٤٥.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٨٩٠.

(٤) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢٢٥/٢.

(٦) الدخان: ٢٤.

(٧) يونس: ٩٠.

(٨) فاطر: ١٢.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿١﴾.

الرابع: بمعنى الأرياف والقرى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (٢) أي في البوادي والحواضر.

أما النهر فورد على أنحاء كذلك (٣):

الأول: نهر الأردن بالشام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ (٤).

الثاني: معناه العيون. قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ (٥).

الثالث: بساكن الدنيا وأنهارها، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا

﴾ (٦).

الرابع: تجرى تحت غرفها وعلاليها الأنهار، قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ

عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٧). والله أعلم.

(١) الطور: ٤-٦.

(٢) الروم: ٤١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز: ١٢٩/٢.

(٤) البقرة: ٢٤٩.

(٥) محمد: ١٥.

(٦) نوح: ١٢.

(٧) البينة: ٨.

الدلائل العقديّة للآيات الكونية - البحار والأهوار:-

تعددت الآيات الكريمة التي يذكر الله فيها تسخير البحر، وأن ذلك دليل على قدرته سبحانه وتعالى ورحمته بعباده، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنَبِّئُوا مِن فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مَبِيناً شأن هذه الآية الكونية: " فصل ومن آياته وعجائب مصنوعاته البحار المكتنفة لأقطار الأرض التي هي خلجان من البحر المحيط الأعظم بجميع الأرض، حتى أن المكشوف من الأرض والجبال والمدن بالنسبة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم، وبقية الأرض مغمورة بالماء، ولولا إمساك الرب تبارك وتعالى له بقدرته ومشيتته وحبسه الماء لطفح على الأرض وعلاها كلها، هذا طبع الماء، ولهذا حار عقلاء الطبيعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض مع اقتضاء طبيعة الماء للعلو عليه وأن يغمره، ولم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك إلا الاعتراف بالعبادة الإلهية والحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك ليعيش الحيوان الأرضي في الأرض، وهذا حق، ولكنه يوجب الاعتراف بقدرته الله وإرادته ومشيتته وعلمه وحكمته وصفات كماله، ولا محيص عنه..."

ثم ذكر جملة من عجائب البرح، وقال: "وإذا تأملت عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف اجناسها وأشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها وألوانها"....

(١) الجاثية: ١٢.

(٢) النحل: ١٤.

(٣) الحج: ٦٥.

ثم قال: "فما أعظمها من آية، وأبينها من دلالة، ولهذا يكرر سبحانه ذكرها في كتابه كثيراً، وبالجملة فعجائب البحر وآياته أعظم وأكثر من أن يحصيها إلا الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ (١) " (٢).

أولاً: توحيد الربوبية:

لما بين الله تعالى جهل المعرضين عن أدلة التوحيد ومناقشتهم وفساد تفكيرهم في ذلك، ذكر أدلة دالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة من الآيات الكونية التي يدركها ويشاهدها عياناً كل مخلوق، ومنها: البحار المالحة والعذبة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٣﴾﴾ فالله وحده هو "الذي جعل البحرين المتضادين متجاورين متلاصقين لا يمتزجان، هذا ماء زلال عذب شديد العذوبة، وهذا مالح شديد الملوحة، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَايَءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ (٦).

وفي سورة النمل لما ذكر الله تعالى قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم، ثم رد على المشركين بيان الأدلة المختلفة على وحدانيته وتفرد بالخلق، وقدرته، وإخلاص العبادة له، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ أَلَا لِلَّهِ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أَمَّنْ خَلَقَ

(١) الحاقة: ١٢-١٣.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٠٤-٢٠٥/١.

(٣) الفرقان: ٥٣.

(٤) الرحمن: ١٩-٢١.

(٥) النمل: ٦١.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي: ٨٤/١٩، وانظر: التحرير والتنوير: ٥٣/١٩.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾، فذكر منها مما يتعلق بالأرض وأنه جعل ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾
وجعل ﴿بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾، ثم قال: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
أي: أ يوجد إله مع الله فعل هذا وأبدع هذه الكائنات؟! بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق
فيتبعونه، ولا يعرفون قدر عظمة الإله المستحق للعبادة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ؕ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٦٢) دليل على ربوبية الله تعالى، فإن خلق البحر على
هذه الصفة العظيمة ميسرا للانتفاع بالأسفار فيه حين لا تغني طرق البر في التنقل عنه، فجعله
قابلا لحمل المراكب العظيمة منها، أن يكون آية للناس على وجود الصانع ووحدانيته وعلمه
وقدرته (٦٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن
كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ
فَضْلِهِ ؕ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ؕ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ

(١) النمل: ٥٩-٦١.

(٢) لقمان: ٣١.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١ / ١٩٠.

سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١﴾ .
فهذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر دالة على كماله سبحانه وتعالى وإحسانه:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ أَيُّ﴾ الذي انفرد بخلقها وتسخيرها، وهو وحده المتصرف فيها، وهو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله، وأن الذي يدعى من غير الله لا يملكون شيئاً^(٢).

وأخبر النبي ﷺ أن ملك الله ﷻ لا ينقص منه شيء ولو أعطى كل إنسان مسأله إلا كما ينقص البحر إذا أدخل فيه المحيط، وهذا من باب التوضيح والتقريب وإلا فملك الله أعظم من ذلك، وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ قال: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسأله، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر»^(٣).

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

١- العلم:

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٤﴾ .

هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلم الله المحيط " وأنه شامل للغيوب كلها، ومن ذلك ما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها،

(١) فاطر: ١٢-١٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٦.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، كتاب البر والصلة والآداب: ١٩٩٤/٤ برقم (٢٥٧٧).

(٤) الأنعام: ٥٩.

ويشتمل عليه ماؤها.

فهذه الآية دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث^(١). وفي بيان سعة علم الله قال الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر»^(٢)، "فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى"^(٣).

٢ - صفة الكلام:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤)، فأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن عظمته وسعة صفاته وأن العباد لا يحيطون بشيء منها، ومن تلك الصفات كلام الله، الذي لو كان البحر مدداً لها، وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، لنفد البحر، وتكسرت الأقلام، قبل أن تنفذ كلمات ربي، وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٥).

"وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات،

(١) تفسير السعدي: ٢٥٩ باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ٩١، برقم (٤٧٢٦).

(٣) تفسير السعدي: ٤٨٨، ٦٥٠.

(٤) لقمان: ٢٧.

(٥) الكهف: ١٠٩.

منقضية منتهية، وأما كلام الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأبي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك" (١).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق - الأرض - أن الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة (٢)، وذكر منها الأنهار التي جعلها في الأرض (٣)، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلَآكُثْرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

ولما ذكر الله ﷻ أنه الإله الواحد المعبود بقوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ (٥) ذكر الحجة على ذلك التي تبين التوحيد، وكان من جملة ما ذكر الله تعالى تسخير البحر لتجري فيه الفلك (٦)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٧).

وقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين ملزماً لهم بما أثبتوه من توحيد

(١) تفسير ابن سعدي: ٤٨٨.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٤، ٥٧/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٣/٦.

(٤) النمل: ٦١.

(٥) البقرة: ١٦٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١٩٢ / ٢، والتحرير والتنوير: ٧٦ / ٢.

(٧) البقرة: ١٦٤.

الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْمَنًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

ثم كان الجواب: ﴿قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ "فأي برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، وصحة التوحيد؟" (٢).

وقد استدلل الله بما على الأرض من بحار وأنهار وما في صفاتها من دلالة زائدة على دلالة وجود أعيانها، بتفرده سبحانه وتعالى بالإلهية فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْنُوْا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)، "فصيغ هذا الاستدلال على أسلوب بديع إذ اقتصر فيه على التنبيه على الحكمة الربانية في المخلوقات وهي ناموس تمايزها بخصائص مختلفة واتحاد أنواعها في خصائص متماثلة استدلالاً على دقيق صنع الله تعالى، ويتضمن ذلك الاستدلال بخلق البحرين أنفسهما لأن ذكر اختلاف مذاقهما يستلزم تذكر تكوينهما.

فالتقدير: وخلق البحرين العذب والأجاج على صورة واحدة وخالف بين أعراضهما، ففي الكلام إيجاز حذف، وإنما قدم من هذا الكلام تفاوت البحرين في المذاق واقتصر عليه؛ لأنه المقصود من الاستدلال بأفانين الدلائل على دقيق صنع الله تعالى" (٤) الذي يستلزم إفراد الله بالعبادة لأن القادر على ذلك هو الله وحده.

١ - القسم:

(١) الأنعام: ٦٣.

(٢) تفسير السعدي ص: ٢٦٠، ٣٦١، وانظر: التحرير والتنوير: ٣٩٢/٧، ١٣٥/١١.

(٣) فاطر: ١٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٢ / ٢٧٩.

يقسم الله بمخلوقاته مما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته^(١)، ويقسم بها على أن القيامة واقعة، ومن ذلك القسم بالبحر، قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِ ۝٢﴾ فِي رَقٍ مَّشُورٍ ۝٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٢﴾.

فالله سبحانه وتعالى يقسم بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم، وهو وقوع العذاب على الكافرين^(٣).

"ومناسبة القسم به - أي البحر - أنه به أهلك فرعون وقومه حين دخله موسى وبنو إسرائيل فلحق بهم فرعون^(٤)".

رابعاً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات الآية التي أظهرها الله ﷻ لموسى ﷺ وقومه حينما أمره بضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كالطود العظيم فنجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه^(٥)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ۝٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ۝٦٤﴾ وَأَبْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۝٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۝٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

(١) انظر: مفتاح دار السعادة: ٣١٤/١، وإمعان في أقسام القرآن: ٤١/٩.

(٢) الطور: ١-٧.

(٣) انظر: زاد المسير ٤٧/٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٩ / ٢٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٥/٦، وتفسير السعدي: ٥٩٢، والتحرير والتنوير: ٤٩٤/١.

﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقد كان المشركون يطلبون من النبي ﷺ - على سبيل التحدي والتعجيز - بعض الآيات والتي منها تفجير الأنهار وأنهم لن يؤمنوا حتى يفعل ذلك (٣)، قال الله تعالى مخبراً عن حالهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٤﴾ ﴿٤﴾

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله ﷻ لأتباع الرسل، إجابة لدعوتهم ونصرة لهم (٥).

وقد شكك الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر، فزخر (٦) البحر زخرة، فألقى دابة، فأورينا على شقها النار فاطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا (٧).

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

(١) الشعراء: ٦١-٦٨.

(٢) البقرة: ٥٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٠/٥، ٩٥/٦، وتفسير السعدي: ٥٧٨.

(٤) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٥) شرح النووي على مسلم: ١٨/١٤٧.

(٦) أي: علا موجه، شرح النووي على مسلم: ١٨/١٤٧.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: ٢٣٠٨ / ٤ برقم (٣٠١٤).

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد أقسم الله ﷻ بالبعث والجزاء بالآيات العظيمة التي منها البحر المسجور^(١).

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٢﴾.

فهذه "الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قدرته، وبعثه الأموات، ولهذا قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: لا بد أن يقع، ولا يخلف الله وعده وقيله"^(٣).

وأخبر الله ﷻ أن في الجنة أنهاراً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (٤).

وأخبر النبي ﷺ عن ما في الدنيا من أنهار الجنة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة»^(٥).

وفي الحديث: عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، فإذا ورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل؟ فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل

(١) المسجور: أي المملوء، وقيل: الموقد، انظر: تفسير القرطبي: ٦١/١٧.

(٢) الطور: ١-٧.

(٣) تفسير السعدي: ٨١٣.

(٤) محمد: ١٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة: ٤/٢١٨٣ برقم (٢٨٣٩).

والفرات»^(١).

ففي الأرض أربعة أنهار أصلهما من الجنة^(٢)، "وهذا لا يمنع عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه"^(٣).

وفي بيان شدة حر جهنم أخبر النبي ﷺ أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وأنها ضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك لما انتفع بها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»^(٤).

سادساً الإيمان بالقدر:

سبق في المبحث السابق - الجبال - أن من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقته ومشيعته، وأن الله ﷻ نبه على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، وفي هذه الآيات الكونية - البحار والأنهار - يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

وهذا التفاوت دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصت ما خصت منها بطعمه، فهذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج، وقدرة الله وحكمته ورحمته، وسعة علمه^(٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٦ برقم (٣٢٠٧).

(٢) فتح الباري - ٧ / ٢١٣.

(٣) شرح النووي على مسلم ١ / ٢٩٥.

(٤) مسند أحمد ١٢ / ٢٨٠، برقم (٧٣٢)، قال المحقق: وهو صحيح على شرط الشيخين، وقال ابن كثير: إسناده صحيح. انظر: تفسير ابن كثير: ١٨٩ / ٤.

(٥) فاطر: ١٢.

(٦) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٨، التحرير والتنوير: ٢٢ / ٢٧٩.

سابعاً: مسائل على الإيمان:

تكفير السيئات:

في بيان النبي ﷺ تكفير الأعمال الصالحة - ومنها التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح - للسيئات أخبر النبي ﷺ أن هذه الخطايا تُكفّر وإن كانت مثل زبد البحر^(١)، وهذا كناية عن المبالغة في الكثرة^(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر»^(٣).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر»^(٤).

ثامناً: الجن:

الجن وصفاتهم من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، وقد أخبر النبي ﷺ أن عرش إبليس على البحر^(٥).

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر، فيبعث

(١) وهو ما يعلو على وجه البحر. فيض القدير: ١٤٧/٦.

(٢) فتح الباري: ١١ / ٢٠٦، ١٢ / ٢، فيض القدير ٦ / ١٩٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التهليل: ١٢٢٩، برقم (٦٤٠٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفة: ١ / ٤١٨ برقم (٥٩٧).

(٥) انظر: فتح الباري: ٣٤١/٦.

سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»^(١)

تاسعاً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج وطريقة أهل السنة في الاستدلال ضرب الأمثال للتوضيح والتقريب، ومن ذلك مما يتعلق بهذه الآيات الكونية -البحار والأنهار- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٢).

وهذا مثل ضربه الله "في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتهه بالكفر في الحسن والنعف كما لا يشبه البحر العذب والملح الأجاج، ومن كل أي ومن كل واحد منهما تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية"^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٤).

وهذا مثل ضربه الله للكافر وبطلان عمله بالبحر اللججي، وهو البعيد القعر الكثير الماء، يغشاه بعلوه موج، وهو ما ارتفع من الماء، من فوقه موج متراكم بعضه على بعض، من فوق الموج سحب، وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمة السحاب، وظلمة الموج، وظلمة

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا: ٢١٦٧/٤ برقم (٢٨١٣).

(٢) فاطر: ١٢.

(٣) انظر: تفسير الرازي: ١٠/٢٦، والكشاف: ٦١٤/٣.

(٤) النور: ٤٠.

البحر^(١)

"وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة كما يقال شاهدت سواد الكفر في وجه فلان"^(٢)

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٨٣/١٢، وتفسير السعدي: ٥٦٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٥/١٨.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار:-

أولاً: تخصيص البحر ببعض الأدعية المبتدعة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار - تخصيص أدعية خاصة بالبحر، ومنها دعاء البحر، والذي فيه:

"وسخر لنا هذا البحر، وكل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة... كما سخرت البحر لموسى - عليه السلام-"^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "هذا كلام لا يقوله من يتصور ما يقول فإن الإنسان إذا كان راكبا بحرا من البحار فما يصنع حينئذ بتسخير البحار البعيدة؟!..."

وأيضاً فقول القائل: سخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى كلام باطل، فإن الله فرق البحر لموسى حتى مشى على الأرض لم يركب البحر، وهذا الداعي ليس مطلوبه أن يفرقه له، ولو طلب ذلك لم يفرقه الله له، فلا يجوز طلب تسخير كتسخير موسى، وإن قال: أردت به أصل التسخير لا صفته فقوله سخر لنا هذا البحر كاف، فلا حاجة إلى التشبيه، مع أن فرق البحر لموسى لا يسمى تسخييراً بل هو أعظم من التسخير.

وإن أراد به خرق العادة كما خرقت العادة لموسى وإبراهيم وداود وسليمان كان هذا جهلاً فإن ركوب البحر والسلامة فيه ليس فيه خرق عادة.

والكلام المعروف في مثل هذا أن يقال: يا من فرق البحر لموسى، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وسخر الريح والجن لسليمان سخر لنا هذا البحر؛ لأن هذا وصف لله بكمال القدرة العظيمة التي فعل بها هذه الأمور الخارقة للعادة، فيقال: يا من فعل هذا افعل بنا هذا.

وأما أن يقال: سخر لنا هذا كما سخرت هذا فلم يعرف عن المتقدمين مثل هذا الكلام

(١) انظر: حزب البحر - ضمن كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار للحميري: ٧٥، ومواقع الفرقة الشاذلية على الانترنت

<http://www.shazly.com/awrad.php?page=bahr.htm>

http://www.shazellia.com/viewpage.php?page_id=7

بل هو من الكلام المنكر الذي لا يقوله من يتصور ما يقول" (١).

(١) الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق، لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٦-٤٥، باختصار.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- حديث استأذن البحر أن يغرق أهلها.

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات، يستأذن الله أن يفضخ عليهم، فيكفه الله بِرِضَانِهِ»^(١).

٢- حديث كلام الله للبحر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله تعالى كلم البحر، فقال للبحر الذي بالشام: يا بحر إنما قد خلقتك فأكثرت فيك من الماء حامل فيك عبادا يسبحوني ويمجدوني ويهللوني ويكبروني ويمجدوني فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم، قال الله: إني أحملهم على ظهرك، وأجعل بأسك في نواحيك. ثم قال للبحر الذي باليمن: مثل ذلك، فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأهلك وأكبرك معهم، فأحملهم في بطني وبين أضلاعي، قال الله: أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطيب»^(٢).

٣- البحر هو جهنم.

عن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن أبيه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «البحر هو جهنم»، قالوا ليعلى، فقال: ألا ترون أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٣) قال: «لا، والذي نفس يعلى بيده، لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله بِرِضَانِهِ ، ولا يصيبني منها قطرة

(١) مسند أحمد: ١/٣٩٥ برقم (٣٠٣) وقال محققه: إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي روى عنه العوام بن حوشب،

وأبو صالح مولى عمر مجهول أيضاً. وانظر: العلل المتناهية: ٤١/١، وتفسير ابن كثير: ٧/٤٣٠.

(٢) حديث موضوع، انظر: العلل المتناهية: ١/٣٧-٤٠، والسلسلة الضعيفة: ١٣/١٠٦٧.

(٣) الكهف: ٢٩.

حتى ألقى الله ﷺ»^(١).

٣- إن تحت البحر نار، وتحت النار بحر.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا »^(٢).

٤- تولى الله ﷺ قبض أرواح شهداء البحر:

عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شاهد البحر مثل شهيد البر. والمائد في البحر كالمشحط في دمه في البر. وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله. وإن الله ﷺ وكل ملك الموت بقبض الأرواح. إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم. ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين. ولشهيد البحر الذنوب والدين»^(٣).

(١) مسند أحمد: ٤٧٨ / ٢٩، برقم (٧٩٦)، وقال محققه: "إسناده ضعيف، محمد بن حبي مجهول، وعبد الله بن أمية لم يرو عنه غير أبي عاصم، ووثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٣٤/١، "رواه الحاكم في الأوهال من هذا الوجه، بلفظ إن البحر، وقال: إنه صحيح الإسناد، وقد قدمت الرواية الصحيحة، أن جهنم تحت الأرض السابعة". انتهى. وانظر: السلسلة الضعيفة: ٩٢ / ٣ برقم (١٠٢٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في ركوب البحر في الغزو: ٢٨٣ برقم (٢٤٨٩)، وقال: "رواه مجهولون، وقال الخطابي: ضعفوا إسناده، وقال البخاري: ليس هذا الحديث بصحيح"، ورواه البزار من حديث نافع، عن ابن عمر مرفوعا، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. انظر: التلخيص الحبير: ٤٢٤ / ٢ برقم (٨٥٢)، والسلسلة الضعيفة: ٢٨١/١ برقم (٤٧٨).

(٣) سنن ابن ماجه: ٩٢٨ / ٢، كتاب الجهاد، باب فضل غزو البحر: ٣٠٣ برقم (٢٧٧٨)، وقال الألباني: ضعيف جداً. سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢٢٢/٢ برقم (٨١٧).

المبحث الخامس

الليل والنهار

الليل والنهار في اللغة:

الليل: اللام والياء واللام كلمة، وهي الليل خلاف النهار، والليل عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس، والليل ظلام الليل، والنهار الضياء فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة يوم.

النهار: النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شيء أو فتحه. ومنه النهار: انفتاح الظلمة عن الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس^(١).

والنهار اسم وهو ضد الليل، والنهار اسم لكل يوم، والليل اسم لكل ليلة، لا يقال نهار ونهاران ولا ليل وليلان، إنما واحد النهار يوم، وتثنيته يومان، وجمعه أيام، وضد اليوم ليلة وجمعها ليال.

وفي الاصطلاح:

اليوم هو الزمن (الوقت) الذي تستغرقه الأرض في الدوران حول نفسها، ويسمى اليوم الشمسي. وتطلق كلمة يوم في العادة على الوقت الذي تكون فيه الشمس ساطعة على ذلك الجزء الذي نعيش فيه على الأرض. وتطلق أيضاً كلمة ليل على الوقت الذي يكون فيه الجزء الذي نعيش فيه مظلماً، أو بعيداً عن الشمس. ولكن الليل في حقيقة الأمر ما هو إلا جزء من اليوم^(٢).

وقد ورد لفظ الليل في القرآن في (٩٠) موضعاً ولفظ الجمع في (٤) مواضع^(٣)، وأما لفظ النهار فقد ورد في (٥٧) موضعاً^(٤).

وورد الليل في السنة في (٥٦) حديثاً، والنهار في (٣٧) حديثاً^(٥).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٢٥/٥، لسان العرب: ٤١١٥/٥، ٤٥٥٧/٦.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٣٨٩/٢٧.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٣١-٨٣٣.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٨٩٠-٨٩١.

(٥) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٦.

الدلائل العقديّة للآيات الكونية - الليل والنهار:-

من أعظم حكمة الرب وكمال قدرته ومشيبته خلق الضدين، إذ بذلك تعرف ربوبيته وقدرته وملكه، كالليل والنهار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبيناً شأن هذه الآيات الكونية: " فصل، ومن آياته سبحانه تعالى الليل والنهار، وهما من أعجب آياته، وبدائع مصنوعاته، ولهذا يعيد ذكرهما في القرآن ويبيده كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾^(٢) وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٣) وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾^(٤)، وهذا كثير في القرآن فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنته من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته، كيف جعل الليل سكناً ولباساً، يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى الحيوانات إلى بيوتها والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معاشها وتصرفها جاء فالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار، يقدم جيشه بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه، وخرجت الطيور من أوكارها، فياله من معاد ونشأة دال على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر وتكرره.

ودوام مشاهدة النفوس له بحيث صار عادة ومألفاً منعها من الاعتبار به والاستدلال به على النشأة الثانية وإحياء الخلق بعد موتهم، ولا ضعف في قدرة القادر التام القدرة ولا قصور في

(١) فصلت: ٣٧.

(٢) الفرقان: ٤٧.

(٣) الأنبياء: ٣٣.

(٤) غافر: ٦١.

حكيمته ولا في علمه يوجب تخلف ذلك، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهذا أيضاً من آياته الباهرة أن يعمي عن هذه الآيات الواضحة البينة من شاء من خلقه فلا يهتدي بها ولا يبصرها لمن هو واقف في الماء إلى حلقه وهو يستغيث من العطش وينكر وجود الماء، وبهذا وأمثاله يعرف الله ﷻ ويشكر ويحمد ويتضرع إليه ويسأل^(١).

أولاً: توحيد الربوبية:

بين الله ﷻ أن النظر في ملكوت السموات والأرض والتأمل في خلقهما يدل على وحدانيته ﷻ، في ملكه وخلقته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه^(٢).

وعظمة هذا الكون، وإبداع السموات والأرض، وتصرف الرب ﷻ فيه ومن ذلك الليل والنهار، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، ويتصرف فيهما بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وتغير أحوالهما بالحرارة والبرودة، وتعاقبهما بنظام ثابت دقيق، دليل قاطع محسوس على وجود الإله الخالق المبدع، والرب الواحد المتصرف، الذي لا رب سواه، ولا معبود بحق غيره^(٣).

قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٤).

وقال النبي ﷺ - فيما يرويه عن ربه ﷻ -: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»^(٥).

ومن أعظم الأدلة على قدرة الله تعالى أن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئاً، وخلقته تعالى الأضداد لبيان أنها مقهورة^(٦)، ومن ذلك الليل والنهار فيدخل بعضها على

(١) مفتاح دار السعادة: ٢٠٣/١-٢٠٤، وانظر: مختصر الصواعق المرسله: ٦٢٥/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٧، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٢٩٠/٣.

(٣) انظر: التفسير المنير: ٢٦٥/١٨.

(٤) النور: ٤٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٢/٤ برقم (٢٢٤٦).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٦١/٤، تفسير السعدي: ١٢٦.

بعض فيحصل الفصول والضياء والنور والظلمة والسكون والانتشار قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾﴾^(١).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ربوبيته وإلهيته وعلى كماله في أسمائه وصفاته اختلاف الليل والنهار، وأخبر أنها آيات لقوم يتقون^(٢)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾^(٣).
كما أخبر الله ﷻ أنه جعل الليل سكناً والنهار معاشاً وبين عجز الآلهة التي تعبد من دون الله عن ذلك، وأنه لا دليل لهم على عبادتها؛ فإنها لا تملك شيئاً، وهذه من الحجج والأدلة التي يستدل بها على عظمة الخالق وربوبيته^(٤)، فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴿٦٧﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

(١) آل عمران: ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٩٢/٢، التفسير المنير: ٣٣/١٥.

(٣) يونس: ٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٤، ٣٤١/٥.

(٥) يونس: ٦٦-٦٧.

(٦) الأعراف: ٥٤.

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

١- العلم:

في سياق التذكير بعلم الله تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد وأنه محاسبهم يوم القيامة، بعد أن ذكر الله أن له ملك السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، فكل ما سكن في الليل والنهار فهو ملك الله، وخص ما سكن من ذلك لتقرير عموم الملك لله تعالى بأن ملكه شمل الظاهرات والخفيات، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ^(٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿

٢- صفة العلو:

من الأدلة التي استدلت بها أهل السنة والجماعة على علو الله تعالى أن الأعمال ترفع إليه سبحانه وتعالى، وقد جاء في الحديث أن الأعمال ترفع إلى الله تعالى بالليل والنهار^(٢)، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « قام فينا رسول الله ﷺ بأربع إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار»^(٣).

(١) الأنعام: ١٣.

(٢) انظر: الرد على الجهمية، للدارمي: ٥٣، والعلو للعلي الغفاري للذهبي: ٢٣، ومعارض القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد)، للشيخ حافظ الحكمي: ١/١٦١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه: ١/١٦١، برقم (١٥٧).

٣- صفة اليد وبسطها:

من الأدلة التي استدلت بها أهل السنة والجماعة على إثبات اليد لله تعالى، وأنه يبسطها كيفما شاء ما جاء في الحديث أن الله يبسط يده للتائب بالليل وبالنهار^(١)، عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءَ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءَ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

٤- صفة النزول:

أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ^(٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٤).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآيات الكونية العظيمة، وهو المتفرد بذلك: ومن ذلك تفرد بخلق السماوات والأرض، وتصرفه في الليل والنهار واختلافها في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر، فهي آيات في خلقها وإحكامها وإتقانها يدل على

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن منده: ٩٣/٢، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٤١٤/٣، والإبانة لابن بطة: ٣٠٩/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة: ٤/٢١١٣، برقم (٢٧٥٩).

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة: ٢٠١/٣، والتوحيد لابن خزيمة: ٢٨٩/١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ الفتح: ١٥: ١٤٢٩

برقم (٧٤٩٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل

والإجابة فيه: ٥٢١/١، برقم (٧٥٨).

وجوب إفراد الله بالعبادة وأن لا شريك معه غيره سبحانه وتعالى^(١): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢٠﴾﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٢١﴾﴾^(٤) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢٢﴾﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾^(٦) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾﴾^(٦)، فالله ﷻ يظهر هذه الآيات ليستدل بها على أنه الحق، وأن

(١) تفسير القرطبي: ١٩١/٢-١٩٢، وتفسير السعدي: ١٦١.

(٢) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٣) الأنعام: ٦٠.

(٤) لقمان: ٢٩-٣٠.

(٥) فاطر: ١٣-١٤.

(٦) الرعد: ٣.

كل ما سواه باطل، وأنه القادر على هذه الأشياء وحده، فكل ما في السماوات والأرض خلقه وعبيده، فوجب أن تكون العبادة له وحده لا إله إلا هو" (١).

ومن الأدلة التي ذكرها الله ﷻ على أنه سبحانه هو المعبود وحده لا شريك له قوله

تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

"فخلقها وعظمها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له" (٣).

١ - الاستعاذة:

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الليل ومن شره وشر ما فيه (٤)، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: أراه قال فيهن: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله» (٥).

(١) تفسير الطبري: ١٤٨/٢٢، وانظر: تفسير القرطبي: ٧٩/١٤، وتفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) تفسير السعدي: ٩١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٣، والتحرير والتنوير: ٣٧٨/٦.

(٤) انظر: تحفة الأحوذى: ٣٣٤/٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل: ٤/

٢٠٨٨، برقم (٢٧٣٣).

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الغاسق، وقد قيل إن الغاسق: هو الليل إذا أقبل بظلامه^(١)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾^(٢).

٢- القسم:

أقسم الله ﷻ بالليل والنهار "وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره"...

فهو "سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته"^(٣). فأقسم تعالى بالليل وقت إدباره، ووقت تغطيته وجه الأرض، والنهار وقت إسفاره وتحليلته ما على الأرض، إلى غير ذلك، "لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه"^(٤).

فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ۝٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾^(٦). وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ۝٧﴾^(٧).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٣٠، وتفسير البغوي: ٧٢٥/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٣٥/٨.

(٢) الفلق: ٣-١.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٣٠٣/١-٣٠٤، وانظر: إمعان في أقسام القرآن: ٩، ٤١.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩٧، وانظر: التحرير والتنوير: ٣١٢/٣٠.

(٥) المدثر: ٣٢-٣٤.

(٦) الشمس: ١-٤.

(٧) الفجر: ٤.

خامساً: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنهم وعن أعمالهم، ومن ذلك أن النبي ﷺ أخبر أن ليل ملائكة وللنهار ملائكة ويجتمعون في صلاة الفجر^(١)، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمسا وعشرين درجة، قال: وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢) «^(٣)». ومن أعمالهم أنهم يشهدون ويحضرون قراءة الليل^(٤)، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بقيام من الليل فليوتر من آخره فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل»^(٥). وأن منهم من الموكل بحفظ أعمال بني آدم في الليل والنهار^(٦)، كما في الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»^(٧).

وأنهم يسبحون الله الليل والنهار^(٨)، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿

(١) انظر: فتح الباري: ٣٦/٢.

(٢) الإسراء: ٧٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها: ١/٤٤٩، برقم (٦٤٩).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٩٣/٣، وفتح الباري: ١٠٦/١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله: ١/٥٢٠، برقم (٧٥٥).

(٦) الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان: ١٨.

(٧) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: ١/٤٣٩ برقم (٦٣٢).

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٥.

(١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢﴾﴾.

سادساً: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أنه أنزل هذا القرآن في الليل، بل أقسم على ذلك (٣)، وبين أنه أنزله في ليلة مباركة (٤)، فقال تعالى: ﴿حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٦﴾﴾.

ولما ذكر الله ﷻ القرآن والأمر بتعظيمه في قوله تعالى: ﴿حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٧﴾﴾ ذكر من الآيات والأدلة ما يدل على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ومن هذه الآيات التي ذكرها الليل والنهار (٨)، فقال تعالى:

(١) الأنبياء: ١٩-٢٠.

(٢) فصلت: ٣٧-٣٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٧، وتفسير السعدي: ٧٧١.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٩٣/٣، فتح الباري: ١٠٦/١.

(٥) الدخان: ١-٣.

(٦) القدر: ١-٣.

(٧) الجاثية: ١-٢.

(٨) انظر: تفسير السعدي: ٧٧٥.

﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وأقسم الله ﷻ على علو سند القرآن وجلالته بالليل إذا أدير، وقيل أقبل، وبالصبح إذا انشق نوره^(٢)، فقال تعالى: ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (٣).

سابعاً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بجميع ما أخبر الله به عنهم ومن ذلك الإسراء، وقد كان الإسراء بالنبي ﷺ ليلاً^(٤)، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥).

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه.

ولما قال المشركون: أن الله ترك محمداً ﷺ (٦) أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى، وبالليل إذا سجدى وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله ﷺ ونصره له^(٧)، فقال

(١) الجثنية: ٥-٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٠/١٩، وتفسير السعدي: ٩١٢، والتحرير والتنوير: ١٥٢/٣٠.

(٣) التكوير: ١٧-١٩.

(٤) انظر: السنة للخلال: ٢٣٩/١، والحجة في بيان المحجة: ٥٣٦/١، والإسراء والمعراج للألباني: ٧.

(٥) الإسراء: ١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والبر، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: ١٤٢١/٣، رقم (١٧٩٧).

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٩٢/٢٠.

تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ (١).

ثامنًا: الإيمان باليوم الآخر:

أقسم الله تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، على عظم النار يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤﴾ (٢)، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهَا ٣٥﴾ أي النار ﴿لِإِحْدَى الْكُبْرَى ٣٦﴾ (٣) "أي لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها، فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له وعما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم (٤).

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً، وأنه أظلم الليل، وأبرز وأظهر النهار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ١٦ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكُنُوزٌ كَثِيرَةٌ مَّا تَصُدَّقُونَ ١٧﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ٢٧ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ٢٩﴾

(١) والضحي: ١-٣.

(٢) المدثر: ٣٢-٣٤.

(٣) المدثر: ٣٥.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩٧.

(٥) النبأ: ٦ - ١٧.

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿١﴾

فالذي أنعم" بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتحدونها؟" (٢).

كما أن الله ﷻ أكد وقوع القيامة وما يتبعها من الأهوال وأقسم على ذلك بالنهار كله وبالليل وما جمعه (٣)، فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾... الآيات (٤).

تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام:

خلق الله ﷻ الناس مؤمن وكافر، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ ﷻ في كتابه حينما يذكر الزمان ويذكر الليل والنهار يبين حال الناس بعده وأنهم فريقان مؤمن وكافر، مصدق ومكذب، مركي لنفسه ومدسيها (٦)، واختيار القسم بالليل والنهار لبيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة (٧)، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٨﴾.

(١) النازعات: ٢٧-٣٢.

(٢) تفسير السعدي: ٩٠٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٨، والتفسير المنير: ١٤٤/٣٠.

(٤) الانشقاق: ١٦-١٩.

(٥) التغابن: ٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠/٥.

(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٣٠.

(٨) الليل: ١-٤.

وقال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ⑪ وَاللَّيْلُ إِذَا أَدْبَرَ ⑫ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ⑬ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى ⑭ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ⑮ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ⑯ ﴾ (٢).

(١) الشمس: ١-١٠.

(٢) المدثر: ٣٢-٣٧.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الليل والنهار -:

١ - اعتقاد أن الليل والنهار هما المتصرفان في إهلاك الناس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الليل والنهار - اعتقاد أن الليل

والنهار هما المتصرفان في إهلاك الناس، قال تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا

نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾^(١)، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾^(٣)، ومناسبة ذكره هذه الجملة: أن تقدير الليل

والنهار وتعاقبهما من التصرفات الإلهية المشاهدة في أحوال السماوات والأرض وملابسات أحوال

الإنسان، فهذه الجملة بدل اشتمال من جملة ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو أيضا مناسب

لمضمون جملة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ تذكير للمشركين بأن المتصرف في سبب الفناء هو الله

تعالى فإنهم يعتقدون أن الليل والنهار هما اللذان يفنيان الناس.

فإنه لما قال: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أبطل بعده اعتقاد

أهل الشرك أن للزمان الذي هو تعاقب الليل والنهار والمعبر عنه بالدهر تصرفا فيهم^(٤).

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٢/٤ برقم (٢٢٤٦).

(٣) الحديد: ٥-٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٦٦/٢٧.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- اعتقاد نزول الله ﷻ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ليلة، فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت يا رسول الله: إني ظننت أنك أتيت بعض نساءك، فقال: إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيفغر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»^(١).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها؛ فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر»^(٢).

(١) رواه الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان برقم (٧٣٩)، وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه

من الحجاج، وسمعت محمد يضعف هذا الحديث. وانظر: ضعيف سنن الترمذي برقم ٧٣٩.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، برقم (١٣٨٨). قال

الألباني: ضعيف جدا أو موضوع. وانظر: ضعيف سنن ابن ماجه برقم (١٣٨٨).

المبحث السادس

الحياة والموت

الحياة والموت في اللغة:

الحياة نقيض الموت كُتِبَتْ في المصحف بالواو ليعلم أن الواو بعد الياء في حَدِّ الجمع وقيل على تفخيم الألف.

وَحَيٍّ يَحْيًا وَيَحِّيُّ فَهُوَ حَيٌّ، وللجميع حَيُّوا بالتشديد، ولغة أخرى حَيٍّ، وللجميع حَيُّوا خفيفة

والموت: الميم والواو والتاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ذهاب القُوَّة من الشيء. منه المَوْتُ: خلاف الحياة، وقد مات يموت ويمت أيضاً.

ورجل مَيِّتٌ ومَيِّتٌ، وقيل المَيِّتُ الذي مات، والمَيِّتُ والمَائِتُ الذي لم يَمُتْ بَعْدُ، وقومٌ مَوْتَى وأمواتٌ ومَيِّتُونَ ومَيِّتُونَ، والأنثى مَيِّتَةٌ ومَيِّتَةٌ ومَيِّتٌ والجمع كالجمع^(١).

وفي الاصطلاح:

الحياة. يواجه معظم الناس بعض الصعوبات، في التمييز بين الكائنات الحية والجماد، ويعد الناس الأشياء كائنات حية إذا كان لديها القدرة على القيام ببعض الأنشطة مثل النمو والتكاثر... أما علماء الأحياء فيجدون صعوبات شديدة في تعريف الحياة، على الرغم من معرفتهم الواسعة بالأحياء. وتكمن هذه الصعوبة في تحديد الخط الفاصل بين الكائنات الحية والجماد. فالفيروس على سبيل المثال، يعد جسماً بدون حياة وهو خارج الخلية الحية، ولكنه يكون أكثر نشاطاً ويتكاثر بسرعة داخل الخلية الحية. وبدلاً من إيجاد التعريف الدقيق للحياة، ركز علماء الأحياء بعمق على فهم الحياة عن طريق دراسة الكائنات الحية نفسها. ويطلق على العلم الذي يهتم بدراسة الحياة اسم علم الأحياء^(٢).

أما الموت فهو خروج الروح إلى بارئها، حيث ينتقل الشخص بعد ذلك إلى حياة برزخية ثم تقوم قيامته؛ وهو نهاية الحياة؛ فكل شيء حي نهايته الموت، ولكن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يدرك الموت ويتخيله.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٣/٥، لسان العرب: ١٠٧٥/٢، ٤٤٩٤/٦، الصحاح: ٢٨٨/٢، ١٧٣/٧.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٥٩٣/٩.

أما الأوجه الطبية للموت: فقد لاحظ العلماء ثلاثة أنواع للموت. وهذه الأنواع هي: البلى الفيزيولوجي، والنخر، والموت الجسدي.

والبلى الفيزيولوجي أو البلى الوظيفي: هو استمرار موت وتجدد الخلايا كل على حده أثناء الحياة. فباستثناء الخلايا العصبية فإن كل خلايا الكائن يستمر تجددتها بمعدل ثابت. وعلى سبيل المثال، تتكون خلايا الجلد الجديدة تحت السطح لأن الخلايا القديمة تموت وتزول. ويعني النخر: موت الأنسجة أو حتى العضو كله. فأثناء النوبة القلبية، على سبيل المثال، يوقف تجلط الدم وصوله إلى جزء من القلب، فيموت الجزء المتأثر، ولكن الكائن الحي يستمر في الحياة ما لم يكن التلف شديداً.

والموت الجسدي، نهاية كل عمليات الحياة في الكائن. فالشخص الذي يتوقف قلبه وورثته عن العمل قد يعتبر ميتاً سريرياً، ولكن الموت الجسدي ربما لا يكون قد حدث بعد؛ لأن الخلايا المنفردة تستمر في الحياة لعدة دقائق. وقد يعود الشخص إلى الحياة مرة أخرى إذا عاود القلب والرئتان العمل مرة ثانية، وأعطيت الخلايا حاجتها من الأكسجين. وبعد حوالي ثلاث دقائق تبدأ خلايا الدماغ وهي الأكثر حساسية لنقص الأكسجين في الموت، وغالباً ما يتبعها موت الإنسان في الحال، وتستحيل إعادة الحياة إلى جسده. وتدرجياً تبدأ خلايا الجسم الأخرى كذلك في الموت. وآخر ما يموت خلايا العظم والشعر والجلد التي قد تستمر في النمو لعدة ساعات^(١).

وقد ورد لفظ الحياة في القرآن في (٧١) مواضعاً^(٢)، وورد لفظ الموت في (٣٥) موضعاً^(٣).

وذكر أهل التفسير أن الحياة في القرآن على خمسة أوجه^(٤): -

أحدها: نفخ الروح في الحيوان بالخلق الأول، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة:

(١) انظر: المصدر السابق: ٣٥٨/٢٤، بتصرف يسير.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٣-٢٨٦.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٨٥١-٨٥٤.

(٤) نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر: ٢٥٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/٢.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(١) أي: نطفًا فنفخ فيها الروح. وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾^(٥).

والثاني: إحياء الموتى بعد خروج الأرواح منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْيِ الْمَوْتَىٰ يَٰأَيُّهَا اللَّهُ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾^(٧).

والثالث: الهدى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(١٠).

والرابع: البقاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾^(١١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١٣).

(١) البقرة: ٢٨.

(٢) آل عمران: ٢٧.

(٣) الحج: ٦٦.

(٤) غافر: ١١.

(٥) الجاثية: ٢٦.

(٦) آل عمران: ٤٩.

(٧) القيامة: ٤٠.

(٨) الأنعام: ١٢٢.

(٩) يس: ٧٠.

(١٠) فاطر: ٢٢.

(١١) البقرة: ٤٩.

(١٢) البقرة: ١٧٩.

(١٣) المائدة: ٣٢.

والخامس: حياة الأرض بالنبات، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَقِّنْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ

الْأَرْضَ﴾^(١).

أما الموت فقد ذكر بعض المفسرين أنه في القرآن على سبعة أوجه^(٢): -

أحدها: الموت نفسه. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣)، وقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْمُوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

مُلَاقِيكُمْ﴾^(٥).

والثاني: النطفة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٦)، وقوله تعالى:

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا آثْنَيْنِ﴾^(٧)، فالموتة الأولى كونهم نطفًا.

والثالث: الضلال. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٨)، وقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(١٠).

والرابع: الجذب. ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَقِّنْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

(١) فاطر: ٩.

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٧١، وبصائر ذوي التمييز: ٥٣٦/٤.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) الزمر: ٣٠.

(٥) الجمعة: ٨.

(٦) البقرة: ٢٨.

(٧) غافر: ١١.

(٨) الأنعام: ١٢٢.

(٩) النمل: ٨٠.

(١٠) فاطر: ٢٢.

﴿مَوْتَهَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾^(٣)، وكل بلد ميت في القرآن فالمراد به الأرض المجدبة. والخامس: الحرب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾^(٤).

والسادس: الجماد. ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(٥)، يعني الأوثان. والسابع: الكفر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٦)، فالميت ها هنا الكافر.

(١) فاطر: ٩.

(٢) يس: ٣٣.

(٣) الزخرف: ١١.

(٤) آل عمران: ١٤٣.

(٥) النحل: ٢١.

(٦) آل عمران: ٢٧.

الدلائل العقديّة للآيات الكونية - الحياة والموت:-

قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

في هذه الآيات التعظيم للخالق سبحانه وتعالى والتأكيد على تفرده بالربوبية والألوهية. وأنه سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً. ومن لوازم تفرده سبحانه وتعالى بكل ذلك ألا يعبد غيره، ولا يقصد سواه بدعاء أو رجاء أو طلب، ولا يشرك في عبادته أحد، وأن ينزهه فوق كل وصف لا يليق بمجالاته. وفيها أيضاً بيان حكمة الرب وكمال قدرته ومشيعته في خلق الضدين - الحياة والموت - إذ بذلك تعرف ربوبيته وقدرته وملكوته وعجز المخلوقين^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٣﴾.

وهذه سنة الله في خلقه، منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحتى يوم القيامة فالبشرية مهما أوتيت من قوة وعلم فلن تستطيع أن تخلق أحداً، ولن تجد لها من الموت مهرباً ومخرجاً، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٥﴾﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً شأن هذه الآيات الكونية: " فصل وإذا تأملت ما دعى الله

(١) الملك: ١-٢.

(٢) مختصر الصواعق المرسلّة: ٢/٦٢٥، ومدارج السالكين: ٢/١٩٤.

(٣) الحج: ٧٣.

(٤) الأحزاب: ٣٨.

(٥) الأحزاب: ٦٢.

سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته وصفاته كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرّف إلى عباده وندبهم إلى التفكير في آياته، ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه يستدل بها على غيرها، فمن ذلك خلق الإنسان وقد ندب سبحانه إلى التفكير فيه والنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٣).

وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقها من أعظم الدلائل على خالقه وفطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه، ولو فكر في نفسه لجزره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ، ﴿١٧﴾ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ، ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ، ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ، ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ، ﴿٢٢﴾﴾^(٤)، فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب، ولا لتكلم بما فقط ولا لمجرد تعريفنا

(١) الطارق: ٥.

(٢) الذاريات: ٢١.

(٣) الحج: ٥.

(٤) عبس: ١٧-٢٢.

بذلك بل لأمر وراء ذلك كله، هو المقصود بالخطاب وإليه جرى ذلك الحديث" (١). وهو أن تظهر للعباد قدرة الرب في خلق المتضادات المتقابلات، وفي ذلك أدل الدلائل على كمال قدرة الله وعزته وسلطانه ومملكه (٢).

أولاً: وجود الله:

قد دلت هذه الآية الكونية على وجود الله، فإن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها دليل قاطع على وجود الله ﷻ، وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدث إلى المحدث (٣).

"وشواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لهما من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه" (٤).

وأخبر الله ﷻ عن محاجة إبراهيم ﷺ للنمرود في وجود الله، وكان النمرود ينكر وجود الله ﷻ، وأن يكون ثم إله غيره، وأنه يحيي ويميت، فاستدل إبراهيم ﷺ على وجود الله، وأنه المالك المتصرف المستحق للعبادة وحده - بأن الله هو الذي يحيي ويميت - بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

"فحدوث هذه الأشياء المشاهدة وإيجادها بعد العدم، وعدمها بعد الوجود دليل على وجود الله؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب، الذي يحيي ويميت

(١) مفتاح دار السعادة: ١٨٢/١ باختصار.

(٢) انظر: مدارج السالكين: ١٩٤/٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٤٥/١٦، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: ٢٠٩-٢٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/٤٨٢.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

والذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته"^(١).

وفي "ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيتته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين الذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده، وإتيانه تعالى بالشمس من المشرق لا يقدر أحد سواه على ذلك"^(٢)، وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه.

ثانياً: توحيد الربوبية:

يخبر الله ﷻ أنه مالك الملك وأن له الملك المطلق والتدبير كله، وذكر من ذلك بعض التصاريف التي انفرد بها سبحانه وتعالى ومنها الإحياء والإماتة.

وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير

شيئاً^(٣)، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾^(٤).

ومن الأدلة على تفرد الله ﷻ بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء قوله تعالى: ﴿أَوْ

كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً

(١) المرجع السابق: ٦٨٦/١، وانظر: تفسير السعدي: ١١١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢٨٥/٢.

(٣) تفسير السعدي: ١٢٦.

(٤) آل عمران: ٢٦-٢٧.

لِلنَّاسِ ۖ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ،
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

فهذا الرجل الذي مر على قرية خاوية على عروشها قد باد أهلها وفي مكانها، قال جهلاً بقدره الله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأما الله ﷻ وحماره، ثم أحياء وحماره، وفي هذا أعظم دليل على تفرد سبحانه بالإحياء والإماتة^(٢).

كما أخبر الله ﷻ في عدة آيات أن له ملك السماوات والأرض وأن هو المحيي المميت فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٤).

فقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: "التصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره"^(٥).

ومن الأدلة على تفرد الله ﷻ بالخلق أنه سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ من غير أب ولا أم، وخلق عيسى ﷺ من أم بلا أب، وخلق باقي الخلق من أم وأب، قال تعالى عن آدم وعيسى ﷺ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦)، وقال أيضا عن عيسى ﷺ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٠/٣.

(٣) التوبة: ١١٦.

(٤) الملك: ١-٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٤٨ / ١١، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(٦) آل عمران: ٥٩.

النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ
 قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾ وقال عن بقية الخلق:
 ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ
 لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَن يُنَوِّفُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
 (٣)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿ (٤) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ ﷻ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا» (٥).

وفيه إثبات خلق الله ﷻ لِآدَمَ ﷺ (٦).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١- التسييح:

أخبر الله ﷻ أَنَّهُ يَسْبِيحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فقال: ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٧) ثم علل ذلك التسييح بأن له ملك السماوات والأرض فله

(١) آل عمران: ٤٥-٤٧.

(٢) النحل: ٤.

(٣) غافر: ٦٧.

(٤) النجم: ٤٥-٤٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته: ٦٣٤، رقم (٣٣٢٦)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفقدتهم مثل أفئدة الطير: ٢١٨٣/٤، رقم (٢٨١٤).

(٦) فتح الباري: ٣٦١/٦.

(٧) الحديد: ١.

ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي، ومن ضمن ذلك أنه يحيي ويميت، فقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

"فالإحياء والإماتة مما يشتمل عليه معنى ملك السماوات والأرض؛ لأنهما من أحوال ما عليهما، وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض، ولظهور أن هاذين الفعلين لا يستطيع المخلوق ادعاء أن له عملا فيهما، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحدته المشركون، وللتعريض بإبطال زعمهم إلهية أصنامهم

كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا

نُشُورًا﴾ (٢) " (٣).

٢- العلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤).

في هذه الآية بيان سعة علم الله، وأن ما ذكر فيها من مفاتيح الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ ومنها أنه لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، وكذلك لا تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك (٥).

كما أخبر الله ﷻ عن عموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء، وأنه هو الذي

(١) الحديد: ٢.

(٢) الفرقان: ٣.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧ / ٣٥٨.

(٤) لقمان: ٣٤.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٨٢/١٤، وتفسير ابن كثير: ٣٩٢/٦.

يخلق الخلق، وأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تسقطه الأرحام قبل التسعة الأشهر، وما تزد فوق التسعة^(١)، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ^ط وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٢﴾.

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه: الحياة على الخير أو الوفاة على الخير، ويتوسل إليه بصفة العلم والقدرة على الخلق: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي»^(٣).

٣- المحيي والمميت:

وهاتان الصفتان ثابتة بالكتاب والسنة، وهما صفتان فعليتان^(٤)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ^ع إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ^ع إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وفي الحديث: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»^(٧).

وقد ذكر إبراهيم عليه السلام هاتين الصفتين في خصائص المعبود الحق، فقال في وصف رب

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٦/٩، وتفسير السعدي: ٤١٤.

(٢) الرعد: ٨-٩.

(٣) سنن النسائي، كتاب السهو، باب (٦٢): ١٥٤، برقم (١٣٠٥)، ومسنند أحمد: ٢٦٥/٣٠، برقم (٨٣٢٥) وقال محققه: "حديث صحيح"، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي: ٢٨٠/١.

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١٨٦/١.

(٥) الحج: ٦٦.

(٦) فصلت: ٣٩.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمنى كراهة الموت لضر نزل به: ٢٠٦٤/٤، برقم (٢٦٨٠).

العالمين^(١): ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾^(٢).

٤- اليد:

صفة اليد من الصفات الثابتة لله ﷻ ومما يتعلق بهذه الآية الكونية الموت- فقد ذكر النبي ﷺ أن الموت بيد الله ﷻ .
 فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»،
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مَذْخَلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيُخْفِضُ»^(٣).
 ومعنى القبض الموت^(٤).

٥- التردد:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ وَمَا يَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ

(١) انظر: تفسير السعدي ص: ٥٩٢.

(٢) الشعراء: ٧٥-٨١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف: ٢/ ٦٩٠، برقم (٩٩٣).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٤٣٤/٣، وفتح الباري: ٣٩٥/١٣.

إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

في هذا الحديث أن الله يكره أن يفعل شيئاً يكرهه عبده المؤمن، وهو يتعلق بهذه الآية الكونية - الموت - فيتردد لا للشك أو كون هذا مصلحة أو غير مصلحة، أي ليس عن جهل، لكن يتردد من جهة ما يتعلق بالعبد، هل يفعله والعبد يكره ذلك، أم لا يفعله.

"فالتردد نوعان: تردد للشك في النتيجة، وهذا منزه عنه الله ﷻ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، وتردد بما يتعلق بالغيب مع العلم بالنتيجة، وهذا يوصف الله به وليس فيه نقص بأي وجه من الوجوه"^(٢).

رابعاً: توحيد الألوهية:

في تقرير الله ﷻ لألوهيته، واحتجاجه على المشركين بما يقرون به يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآية الكونية - الحياة - الموت -، وهو المتفرد بذلك^(٣):

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع: ١٢٤٦، برقم (٦٥٠٣).

(٢) لقاءات الباب المفتوح للشيخ محمد بن عثيمين: ٥١-٦٠: ٢١٥، وانظر: مجموع الفتاوى: ٥٨/١٠، ١٢٩/١٨.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٨٤/٢٥.

(٤) الأنعام: ٦٠-٦٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١﴾.

كما قرر الله هذا التوحيد، وأنكر على المشركين دعوتهم غير الله معه، وبأنه سبحانه هو الخالق للعباد وهو المحيي والمميت لهم، فإذا كان هو الذي يفعل ذلك وحده فيجب أن يعبد وحده^(٢)، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾^(٦).

وإبراهيم عليه السلام تبرأ من جميع الآلهة التي تعبد إلا الله رب العالمين الذي يحيي ويميت^(٧)،

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ

(١) التوبة: ١١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥١/٥، وتفسير السعدي: ٦٤٣/٤٨، ٧٤٢.

(٣) غافر: ٦٧-٦٨.

(٤) الحج: ٦٦.

(٥) البقرة: ٢٨.

(٦) الروم: ٤٠.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٣، وتفسير ابن كثير: ١٤٥/٦.

الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴿١﴾.

١- فضل التوحيد:

أخبر النبي ﷺ عن فضل التوحيد، وأنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فعلق هذه الفضل بالموت عليه (٢)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣). وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٤).

٢- الاستعاذة:

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله من فتنة الحيا والممات أي فتنة الحياة والموت (٥). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (٦).

خامساً: الإيمان بالملائكة:

(١) الشعراء: ٧٥-٨٢.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم: ١٩٧/١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار: ١/٩٤، برقم (٩٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة: ٢/٦٨٧ برقم (٩٤).

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم: ٥/٨٥، ١٧/٣٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في صلاة: ١/٤١٢، برقم (٥٨٨).

من الإيمان بالملائكة الإيمان بجميع ما أخبر الله عنه، وأخبر عن رسوله ﷺ عنهم وعن أسمائهم، ومن ذلك ملك الموت^(١)، وكذلك الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك الملائكة الموكلة بقبض الأرواح.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُتَّصِعِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ تَكُنْ أَرْضٌ لِّلَّهِ وَسِعَةٌ فَهَاجَرُوا فِيهَا فَاوَلَتْكُم مَّاؤُنُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تُوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَرَهُمْ﴾^(٦).

ومن الملائكة الملك الموكل بالأرحام ونفخ الروح^(٧)، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ

قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين

يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك، مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك،

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/٣٦١، والإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة: ١٧.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) النساء: ٩٧.

(٥) النحل: ٣٢.

(٦) محمد: ٢٧.

(٧) انظر: شرح النووي على مسلم: ٨/٤٨٩، والإيمان بالملائكة وأثره على الأمة: ١٧.

فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»^(١).

سادساً: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أن القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مهيمنا على جميع الكتب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٢)، كما أخبر تعالى عن فضل القرآن على غيره من الكتب أنه لو كان في الكتب الماضية كتاب يكلم الموتى لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره^(٣)، وذلك "لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له"^(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٥).

ولما أخبر الله عن القرآن أنه منزل من عنده في قوله تعالى: ﴿حَمِّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٦) أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، وذكر منها خلق الإنسان وإحياء الأرض بعد موتها، فقال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته: ٤ / ٢٠٣٦، برقم (٢٦٤٣).

(٢) المائة: ٤٨.

(٣) انظر: تفسير السعدي: ٤١٨، والتحريز والتنوير: ١٣ / ١٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٦٠، وانظر: تفسير الطبري: ١٦ / ٤٤٩.

(٥) الرعد: ٣١.

(٦) الجاثية: ١-٢.

مِن دَابَّةٍ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ
اللَّهِ وَعَآيِنُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

"فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحة على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما
اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال وعلى البعث
والنشور" (٢).

سابعاً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات الآية التي
أظهرها الله ﷺ لقوم عيسى عليه السلام وأنه كان يحيي الموت (٣)، قال تعالى عن عيسى عليه السلام
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

وأي آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في
معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة
بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية
للإيمان" (٥).

(١) الجاثية: ٣-٦.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥/٢، وفتح الباري: ٤٧٥/٦.

(٤) آل عمران: ٤٩.

(٥) تفسير السعدي: ١٣١.

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله ﷺ على يدي أتباع الرسل، إجابة لدعوتهم ونصرة لهم، ومن ذلك ما أخبر الله به عن قوم موسى ﷺ حين أمرهم بضرب القتيل ببعض البقرة، فقام وأخبر بمن قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (١).

ومن دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ فيما يتعلق بهذه الآيات -الحياة والموت- أنه أخبر بطول حياة الصحابي رويغ رويغ ﷺ، فوقع كما أخبر (٢) حيث طالت حياته إلى سنة ٥٦ للهجرة (٣).

فعن رويغ رويغ ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا رويغ لعل الحياة ستطول بك بعدى فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجدى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا ﷺ منه برىء » (٤).

ومن آيات الرسل أن الله ﷺ يخبرهم عند قبض أرواحهم (٥)، عن أبي سعيد الخدري رويغ ﷺ: « أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: إن عبداً خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختر ما عنده فبكى أبو بكر، وقال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ

(١) البقرة: ٧٢-٧٣.

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان: ١٥١/١.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٦٣.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يتنجدى به: ٢٩ برقم (٣٦)، وسنن النسائي، كتاب الزينة، باب عقد اللحية: ٥١٩، برقم (٥٠٦٧).

قال ابن الملقن إسناده جيد، انظر: البدر المنير في تحريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن: ٣٥٢/٢. وصحيح سنن أبي داود: ١٠/١.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ٨٤٠، برقم (٤٤٣٧)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها: ١٨٩٣/٤، برقم (٢٤٤٤).

هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به» (١).

ثامناً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل إحياء الموتى، وذكر على ذلك أمثلة فقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةً عَامٍ فَانظُرُوا إِلَى طَعَامِكُمْ إِلَى طَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرُوا إِلَى حِمَارِكُمْ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرُوا إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادَرَأْتُم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤﴾ وغيرها من الآيات.

فالذي أحيا هؤلاء الأموات قادر على أن يحيي جميع الخلق وفيه دليل على البعث (٥).

وفي جملة الأدلة التي استدلل الله بها على منكري البعث ذكر الله ﷻ أنه يحي ويميت،

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ٧٤٠، برقم (٣٩٠٤).

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) البقرة: ٧٢-٧٣.

(٤) البقرة: ٥٥-٥٦.

(٥) انظر: أضواء البيان: ٢٠٤/٣.

قال تعالى: ﴿الَاِِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا اِنَّ وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝٥٥ هُوَ يُّحْيِيْ وَيُمِيْتُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾ (١).

"فكان افتتاحه بأن الله هو المتوحد بملك ما في السماوات والأرض فهو يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفاً لا يشاركه فيه غيره فتصرفه في أمور السماء شامل للمغيبات كلها، ومنها إظهار الجزاء بدار الثواب ودار العذاب وتصرفه في أمور الأرض شامل لتصرفه في الناس. ثم أعقب بتحقيق وعده، وأعقب بتجهيل منكبيه، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك وهو الإحياء والإماتة والبعث" (٢).

كما استدلل الله ﷻ على البعث بأصل الخلق فقال تعالى في الإنكار على من استبعد وقوع البعث بعد الموت: ﴿أَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ اَلَمْ يَكْ نُطْفَءْ مِنْ مَّيِّ يَمْنَى ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَاَخْلَقَ فَسَوًى ۝٣٨ جَعَلْ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنثَى ۝٣٩ اَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَدْرِ عَلِيٍّ اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۝٤٠﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَا نَا اَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيْدُهُ ۝٤١﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿يَتَايَهٰٓءُ النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْاَرْحَامِ مَا نَشَاءُ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُوْا اَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنۡوِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ اِلَىٰ اَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْاَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَا اُنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَاُنۡبَتَتْ مِنْۢ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥٠﴾ (٥).

ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَاَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَاَنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝٦ وَاَنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ لَا رَيْبَ

(١) يونس: ٥٥-٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١١/١٩٩.

(٣) القيامة: ٣٦-٤٠.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾ .

أما الآخرة فقد أخبر الله ﷻ بأنه من قدم عليه مجرماً كافراً بالله فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٢)، وقال أيضاً عن الكافر الأشقى: ﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٣) . فالمعذب "فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محسوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغا، ويدعو فلا يستجاب له" (٤) .

وأخبر النبي ﷺ أنه يؤتى بالموت في الآخرة فيذبح، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥) .

تاسعاً: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقته وقدرته ومشئته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتضادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ (٦)، وقال تعالى:

(١) الحج: ٥-٧ .

(٢) طه: ٧٤ .

(٣) الأعلى: ١٢-١٣ .

(٤) تفسير السعدي: ٥٠٩، وانظر: التحرير والتنوير: ١٥/١٨ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ مريم: ٣٩ : ٩١٤ برقم (٤٧٣٠) .

(٦) النجم: ٤٤ .

﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾^(١) إلى غيرها من الآيات.

وفي هذا دليل على علم الله ومشيئته وقدرته^(٢).

كما أخبر الله ﷻ أنه لن تموت نفس إلا بإذنه وتقديره حتى تستوفي المدة التي ضربها

الله لها^(٣) وأنه لا ينفع ولا يدفع الحذر من القدر، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾^(٤).

كما أخبر النبي ﷺ أن الآجال مكتوبة، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا

رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم

يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه

الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»^(٥).

عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

١- ضرب الأمثال:

ضرب الله ﷻ مثلاً للمؤمنين بالأحياء، والكافرين بالأموات، وأنهم لا يستوون^(٦)،

فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي

الْقُبُورِ ﴾^(٧).

(١) الشعراء: ٨١.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٩/٢، ٢٦٠/٢، وتفسير السعدي: ٧٢٥.

(٤) آل عمران: ١٤٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته: ٤ / ٢٠٣٦، برقم

(٢٦٤٣).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٦.

(٧) فاطر: ٢٢.

٢- استخدام الألفاظ الشرعية:

ورد في القرآن إطلاق لفظ الموت على الجمادات، وهو أيضا مشهور في لغة العرب^(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِّعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ نَخْرُجُ الْمَوْتَىٰ بِأَيْدِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيْنَتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾، ففي هذا الرد على الغلاة نفاة الأسماء والصفات الذين ينفون الموت والحياة عن الجمادات، ويزعمون أن الجمادات لا يقال لها حية ولا ميتة، ويصح نفيها عما ليس قابلاً لهما^(٥).

الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الخلود في النار معلق بالموت على الكفر، وأن التوبة

(١) انظر: شرح التدمرية للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك: ١٦٠-١٦٢.

(٢) النحل: ٢٠-٢١.

(٣) المائدة: ١١٠.

(٤) الأعراف: ١١٧.

(٥) المرجع السابق: ٢٣١.

مقبولة ما لم يغرر العبد^(١)، وهم يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء ولا يعلمون ما يختتم للرجل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٣).

أما التوبة قبل الموت، فقد قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤).
وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر»^(٥).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٨/٢، تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٢، والحجة في بيان المحجة: ٥١٧/١، وإعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد: ٢٥٥/١.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) آل عمران: ٩١.

(٤) النساء: ١٨.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب (٩٨): ٥٥٦ برقم (٣٥٣٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ومسند الإمام أحمد: ٣٠٠/١٠ برقم (٦١٦٠)، وقال محققه: إسناده حسن.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت -:

أولاً: إنكار الحياة بعد الموت:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - إنكار الحياة

بعد الموت، قال الله تعالى مخبراً عن المكذبين بالبعث: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ

أُخْرِجُ حَيًّا ۖ﴾ (٦٦) ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (١).

ورد الله عليهم قولهم بأن الذي بدأ الخلق فإن الإعادة عليه أهون (٢)، فقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (٤).

ثانياً: نسبة الإحياء والإماتة إلى الدهر:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - نسبة الإحياء

والإماتة إلى الدهر، قال تعالى مخبراً عن حال المشركين: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٥) فأكذبهم الله في قولهم هذا فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا

يَظُنُّونَ﴾ (٦)، ثم بين أن الذي يحيى ويميت هو الله تعالى (٧)، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

(١) مريم: ٦٦-٦٧.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٤٩٨.

(٣) الروم: ٢٧.

(٤) مريم: ٦٧.

(٥) الجاثية: ٢٤.

(٦) الجاثية: ٢٤.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٧.

ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

ثالثاً: القول بأن الموت أمر عدمي:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - القول بأن الموت

أمر عدمي، فإذا انعدمت الحياة مات المخلوق الحي، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ (٢) أي قدر.

وأهل السنة والجماعة على أن الموت أمر وجودي (٣).

ويؤكد ذلك حديث ذبح الموت الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ

أنه قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول المنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﷺ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤)» (٥).

رابعاً: إنكار ذبح الموت يوم القيامة:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية - الحياة والموت - إنكار ذبح الموت، وقد جاء

(١) الجاثية: ٢٦.

(٢) الملك: ٢.

(٣) انظر: درء التعارض: ٢٨٣/٢، وشرح الطحاوية: ٧٩، وتفسير ابن كثير: ١٧٦/٨، تنمة أضواء البيان: ٣٣١/٨.

(٤) مريم: ٣٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ مريم: ٣٩: ٩١٤ برقم (٤٧٣٠).

بذلك الحديث الصحيح وأنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح^(١) فقيل معنى: "ثم يذبح: "ذاك شيء يخلق الله عند ذبحه علما ضروريا في قلوبهم أنه لا موت بعد ذلك، ولو شاء لخلق العلم من غير ذبح أيضا، لكن لا يسأل عما يفعل، وإلا فالموت على تقدير فرض تجسسه وذبحه لا يوجب ذبحه العلم بعدم الموت بعد ذلك، لإمكان خلق مثله وإعادته كما أعاد الموتى المذبوحين منهم وغيرهم"^(٢).

وقيل: "الموت معنى والمعاني لا تنقلب جوهرًا وإنما يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال وكذا الموت يخلق الله كبشا يسميه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت يكون ذبحه دليلا على الخلود في الدارين"^(٣).

والصحيح أنه لا مانع من ذلك فالله على كل شيء قدير، وذلك أنه ينشئ من الأعراس أجساماً يجعلها مادة لها، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث أن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان^(٤) ونحو ذلك من الأحاديث، وأن الأعمال توضع في ميزان والله على كل شيء قدير^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ مريم: ٣٩: ٩١٤ برقم (٤٧٣٠).

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد لأبي الحسن محمد السندي: ٣٧٠/٦.

(٣) انظر: تفسير الرازي: ٢٩٨٣/١، وفتح الباري: ٤٢١/١١، وعارضة الأحمدي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي: ٢٧/١٠، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي: ٩٢٧/٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ٥٥٤/١ برقم (٨٠٥).

(٥) انظر: شرح الطحاوية: ٧٩، والتفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- حديث قبض ملك الموت لداود عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع»، قال: " فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحا جناحا" (١).

(١) مسند أحمد: ١٥ / ٢٥٤، برقم (٩٤٣٢)، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه.

المبحث السابع

النوم

النوم في اللغة:

النون والواو والميم أصلٌ صحيح يدل على جمود وسكون حركة. منه النوم. نامَ ينام نَوْماً ومَناماً. وهو نُوؤمٌ ونُؤمةٌ: كثير النُّوم.

وقد نام ينام فهو نائم. والجمع نيام، وجمع النائم نوم على الاصل، ونيم على اللفظ^(١).

وفي الاصطلاح:

النوم فترة من الراحة يفقد النائم خلالها إدراكه بما يحيط به. ويختلف النوم عن الغيبوبة، في إمكانية إنهائه بسهولة.

وعندما ينام الإنسان، تتضاءل جميع أنشطته، وترتخي عضلاته. وتتباطأ ضربات القلب، وينخفض معدل التنفس، ويصبح الشخص كلما تعمق في نومه أقل إدراكاً، لكل ما يجري حوله^(٢).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٢، والصحاح: ٣٢٤/٦، ولسان العرب: ٤٥٨٣/٦.

(٢) الموسوعة العربية العالمية: ٥٨٩/٢٥.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - النوم:-

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٢).

فأخبر الله ﷻ أن من علامات قدرته ورحمته تعالى التمكين من الراحة من التعب، والهدوء والاستقرار بالليل، وأن في هذه الآية من الدلالات والعبر لمن تدبرها وتأملها، وذلك من وجهين:

"أحدهما: أن هذين حالتان متعاورتان على الناس، قد اعتادوهما، فقل من يتدبر في دالتهما على دقيق صنع الله تعالى، فمعظم الناس في حاجة إلى من يوقفهم على هذه الدلالة ويرشدهم إليها.

وثانيهما: أن في ما يسمعه الناس من أحوال النوم ما هو أشد دلالة على عظيم صنع الله تعالى مما يشعر به صاحب النوم من أحوال نومه؛ لأن النائم لا يعرف من نومه إلا الاستعداد له، وإلا أنه حين يهب من نومه يعلم أنه كان نائماً، فأما حالة النائم في حين نومه ومقدار تنبهه لمن يوقظه، وشعوره بالأصوات التي تقع بقربه، والأضواء التي تنتشر على بصره فتنبهه أو لا تنبهه، كل ذلك لا يتلقاه النائم إلا بطريق الخبر من الذين يكونون أيقاظاً في وقت نومه. فطريق العلم بتفاصيل أحوال النائمين واختلافها السمع، وقد يشاهد المرء حال نوم غيره إلا أن عبرته بنومه الخاص به أشد، فطريق السمع هو أعم الطرق لمعرفة تفاصيل أحوال النوم، فلذلك قيل ﴿

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، وأيضاً لأن النوم يحول دون الشعور بالمسموعات بادئ ذي بدء قبل

(١) الروم: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٤٧.

أن يحول دون الشعور بالمبصرات" (١).

كما أن الله ﷻ يضرب لنا مثل الموت والبعث كمثل النوم والاستيقاظ حتى يقرب المعنى إلى عقولنا (٢)، فيقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي بيان شأن هذه الآية الكونية: "فهذا النوم من آيات الله ﷻ، تأتي القوم مثلا في حجرة أو في سطح أو في بر، وهم نيام كجثث موتى لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله ﷻ، ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارا آخر، وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر على رد الروح حين يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر على أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو على كل شيء قدير" (٤).

أولاً: وجود الله:

لما ذكر الله ﷻ حال المعرضين عن التوحيد وجهلهم بقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٥) ذكر سبحانه بعدها الأدلة القاطعة حسا وعقلا على وجود الصانع الحكيم، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة، وذكر منها -النوم- فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ

(١) التحرير والتنوير: ٢١ / ٧٦، ٤٥ / ٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠١ / ٧.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن عثيمين: ٣٣٤ / ٤.

(٥) الفرقان: ٤٣-٤٤.

النَّهَارَ نَشُورًا ﴿١﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٢﴾.

"ففي هذه الآيات الكونية الليل والنهار والنوم، الليل وسكونه، والنوم وراحته، والنهار وحركته دليل واضح على وجود الإله الخالق القادر المتصرف في الكون، فجعل الله لكل ظرف ما يناسبه تماما ويحقق المقصود على أكمل وجه" (٣).

ثانياً: توحيد الربوبية:

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم_Sِكِ الْتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤﴾، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ ﴿٥﴾.

فهذه الآيات فيها "دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئاً، فخلقه تعالى الأضداد، والضد من ضده بيان أنها مقهورة" (٦).

فهو سبحانه المتصرف في الوجود وهو الذي يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى

(١) الفرقان: ٤٧.

(٢) الفرقان: ٥٠.

(٣) انظر: التفسير المنير: ٧٩/١٩ باختصار، وتفسير ابن كثير: ١١٣/٦.

(٤) الزمر: ٤٢.

(٥) الأنعام: ٦٠-٦١.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٠١/٧، وانظر: تفسير السعدي: ٧٢٥.

-النوم-

وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(١).
فإنسان يعتمد على الله "ويجعل كل شيء بيد الله ﷻ، ويعظم الله ﷻ ويعلم بأن كل شيء بقدرته ومشيتته وإرادته، وهو المحيي والمميت"^(٢).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

١- نفي السنة والنوم عن الله ﷻ :

من عقيدة أهل السنة والجماعة نفي السنة والنوم عن الله ﷻ كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة؛ وذلك لكمال حياته وقيوميته^(٣).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٤).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه^(٥) ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح: ١٢١٧ برقم (٦٣٢٤).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٢٨٨/٣.

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة: ٣/٣٢٣، شرح الطحاوية: ١/٧٦، وتفسير ابن كثير: ١/٦٧٨.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) أي نوره وجلاله وبهاؤه. انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/١٤.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷻ: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرق

سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»: ١/١٦١، برقم (١٧٩).

٢- رؤية الله ﷻ في المنام:

رؤية الله ﷻ يقظة لا تحصل في الدنيا لأحد من الناس حتى الأنبياء ﷺ^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقال ﷻ: «لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت»^(٣)، أما رؤيته أثناء النوم فقد تحصل على الوجه اللائق بكمال الله تعالى وجلاله، كما أن الرؤية تختلف بحسب حال العبد الرائي .

قال الشيخ: عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: "ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وآخرون أنه يمكن أنه يرى الإنسان ربه في المنام"^(٤)، ولكن يكون ما رآه ليس هو الحقيقة؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥) فليس يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن قد يرى في النوم أنه يكلمه ربه، ومهما رأى من الصور فليست هي الله جل وعلا؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، فلا شبهة له ولا كفو له.

وذكر الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ في هذا أن الأحوال تختلف بحسب حال العبد الرائي^(٦)، وكل ما كان الرائي من أصلح الناس وأقربهم إلى الخير كانت رؤيته أقرب إلى الصواب والصحة، لكن على غير الكيفية التي يراها، أو الصفة التي يراها؛ لأن الأصل الأصيل أن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى.

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة: ٢٦٧/١، وشرح العقيدة الطحاوية: ١٦٠، ١٦٢.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٢٢٤٤/٤ برقم (١٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى: ٣/٣٩٠، وانظر: نقض الدارمي: ٣٨/٢، وشرح السنة للبغوي: ١٢/٢٢٧-٢٢٨.

(٥) الشورى: ١١.

(٦) المرجع السابق: ٣/٣٩٠.

ويمكن أن يسمع صوتاً، ويقال له كذا، وافعل كذا، ولكن ليس هناك صورة مشخصة يراها تشبه شيئاً من المخلوقات؛ لأنه سبحانه ليس له شبه ولا مثل سبحانه وتعالى" (١).

رابعاً: توحيد الألوهية:

يذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالألوهية تفرده بالربوبية والخلق، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في جميع المخلوقات ومنها هذه الآية الكونية -النوم- (٢).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (٣).

ولما كان النائم بمنزلة الميت، والنوم أخوت الموت؛ علم النبي ﷺ وأرشد من أراد النوم أن يدعو ربه ﷻ ويسلم نفسه إليه، وأن يفوض أمره إليه وأن يوجه وجهه إليه مخلصاً له ويتوكل عليه (٤)، فقال ﷺ: «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة» (٥).

وقد أمر الله ﷻ عباده بخوفه ورجاءه، ونهاهم عن الأمن من مكره فقال تعالى: ﴿فَلَا

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز: ٣٦٨/٦، وانظر: كتاب رؤية الله في المنام لعمر إبراهيم: ٣٨.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ١٦١، ٢٥٩، والتحريم والتنوير: ١٣٩/٦.

(٣) الأنعام: ٦٠-٦٢.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ٢١٩/٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعا والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضطجع: ٢٠٨١/٤ برقم

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَامُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢﴾، وفيما يتعلق بهذه الآية الكونية - النوم - فقد توعد الله ﷻ من أمن مكره أن يأتيهم العذاب وهم نائمون، وهذا من مكر الله بهم، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٣﴾، وقال تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٤﴾.

فالواجب على العبد أن يجعل خوفه مع الرجاء، ورجاءه مع الخوف، وأن لا يأمن من مكر الله كما لا يقنط من رحمة الله، فالخوف من مكر الله توحيد وإيمان، والأمن من مكر الله ينافي التوحيد؛ لأنه يدل على عدم الخوف من الله ﷻ. ﴿٥﴾.

خامساً: الإيمان بالملائكة:

رأى النبي ﷺ في اليقظة جبريل ﷺ وله ستمائة جناح ﴿٦﴾، أما غير النبي ﷺ فإنهم لم يروا الملائكة إلا إذا تحول الملائكة إلى صورة بشرية، قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿٧﴾ وقد رأى الصحابة ﷺ جبريل ﷺ. ﴿٨﴾

(١) آل عمران: ١٧٥.

(٢) الأعراف: ٩٩.

(٣) الأعراف: ٩٧.

(٤) القلم: ١٩.

(٥) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ٧١/٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدره المنتهى: ١٢٨/١، برقم (١٧٤).

(٧) مريم: ١٧.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان: ٣٣ برقم (٥٠).

أما رؤية الملائكة في المنام فهي جائزة^(١) ويدل لذلك حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال: لم ترع»^(٢).

وهذا لا يعني وصف حقيقة الملائكة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان، ويتخيلها على حقيقتها، بل هي خلاف ما يتخيله، ويتصوره في منامه، ويقظته، وإن كان ما رآه مناسباً ومشابهاً لها"^(٣).

سادساً: الإيمان بالرسول:

١- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

ومما اختص الله تعالى به الأنبياء أنّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام^(٤)، قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي»^(٥).

٢- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٦).

(١) انظر: شرح السنة للبعوي: ٢٢٨/١٢، وبيان تلبس الجهمية: ٧٣/١-٧٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة صلى الله عليه وسلم، باب من فضائل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ١٩٢٧/٤، برقم (٢٤٧٩).

(٣) بيان تلبس الجهمية: ٧٤/١.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه: ٦٨٣، برقم (٣٥٧٠)، وشرح النووي على مسلم: ٧٤/٣، وفتح الباري: ٥٧٩/٦، ومدارج السالكين: ٦٢/١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة: ٥٠٩/١، برقم (٧٣٨).

(٦) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام: ١٣٣٧ برقم (٦٩٩٤).

و عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي» (١).
فقد دلت هذه الأحاديث على أن النبي ﷺ يُرى في المنام وأن من رآه فقد رآه حقيقة فإن الشيطان لا يتمثل به (٢).

٣- رؤيا الأنبياء وحي:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَّاكُ الْغَجْرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

فهذه الآية إخبار من الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه، ثم بين الله ﷻ أن هذه رؤيا حق حيث أن إبراهيم سعى لتنفيذ رؤياه ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ فأخبر الله ﷻ أن إبراهيم قد صدق هذه الرؤيا (٤).

٤- الرؤيا الصالحة:

كان أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصالحة، فكان ﷺ إذا رأى الرؤيا تأتي كفلق الصبح (٥)، فكان ذلك إرهابا للنبوة وتمهيدا لها لمدة ستة أشهر، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن

(١) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني: ١٧٧٦/٤ برقم (٢٢٦٨).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣٦٣/٢، وفتح الباري: ٣٨٤/١٢-٣٨٥.

(٣) الصافات: ١٠٢-١٠٥.

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٤٩١/١، وتفسير ابن كثير: ٢٨/٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢١ برقم (٣).

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة؛ ولذا قال ﷺ: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة»^(١).
فالرؤيا الصالحة من المبشرات وفيها إشعار للمؤمن بخير سيقع ليغتنمه أو شر ليحذر منه^(٢).

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله به أو أخبرت به رسله -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ - من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل النوم سباتاً أي راحة للأبدان^(٣)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾﴾^(٤).

"فالمساء والصيرورة إلى النوم بمنزلة الموت والمصير إلى الله، ولهذا جعل الله سبحانه في النوم والانتباه بعده دليلاً على البعث والنشور لأن النوم أخو الموت والانتباه نشور وحياة"^(٥).
ومما يتعلق أيضاً بهذه الآية الكونية من أمور الآخرة: "أن الجنة لا نوم فيها بإجماع

(١) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا: ٤/١٧٨٤، برقم (٢٢٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري: ٣٦٣/١٢، وشرح النووي على مسلم: ٤٥١/٧، والرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لسهل العتبي: ٢٢٦.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٧١/١٩.

(٤) النبأ: ٦ - ١٧

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: ٤٠٧/١٣، وانظر: تفسير السعدي: ٩٠٦.

المسلمين" (١).

ثامناً: صفة الشيطان:

أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يبول في أذن من نام حتى أصبح ولم يصل (٢)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: « ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: بال الشيطان في أذنه» (٣).

فيستفاد منه وقت بول الشيطان (٤).

كما أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأتي الإنسان عند النوم فينومه حتى لا يقول الأذكار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان من حافظ عليهما، أدخلتاه الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل» قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «أن تحمد الله وتكبره وتسبحه في دبر كل صلاة مكتوبة عشراً، عشراً، وإذا أويت إلى مضجعك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة، فتلك خمسون ومائتان باللسان، وألفان وخمسة مائة في الميزان، فأياكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسة مائة سيئة؟» قالوا: كيف من يعمل بهما قليل؟ قال: «يجيء أحدكم الشيطان في صلاته، فيذكره حاجة كذا وكذا، فلا يقولها، ويأتيه عند منامه، فينومه، فلا يقولها، قال: ورأيت رسول الله ﷺ يعقدهن بيده» (٥).

كما أخبر النبي ﷺ إن الحلم من الشيطان، عن أبي قتادة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليصق

(١) مفتاح دار السعادة: ١٣/١.

(٢) انظر: فتح الباري: ٢٨/٣.

(٣) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه: ٢٢٦، برقم (١١٤٤).

(٤) فتح الباري: ٢٨/٣.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التسييح عند النوم: ٥٤٦ برقم (٥٠٦٠)، ومسند الإمام أحمد: ٤١/١١، برقم

(٦٤٩٨)، وقال محققه: حديث حسن لغيره، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٩٥٥/٣.

عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره»^(١).
وإضافة الحلم إلى الشيطان بمعنى أنها تناسب صفته من الكذب والتهويل وغير ذلك،
بخلاف الرؤيا الصادقة فأضيفت إلى الله إضافة تشريف وإن كان الكل بخلق الله وتقديره^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٦٢٩ برقم (٣٢٩٢).

(٢) فتح الباري: ٣٩٣/١٢.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النوم -:

أولاً: ترك النوم تعبدًا:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية، ترك النوم تعبدًا، والظن أن ذلك من القربات، وهذا أمر لم يشرعه الله ﷻ وأنكره النبي ﷺ (١).
 عن أنس رضي الله عنه: «أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٢).

ثانياً: الاعتماد على الرؤى في الأحكام:

سبق أن الرؤيا الصالحة من المبشرات (٣)؛ ولكن هذه الرؤيا - وإن كانت رأى فيها النبي ﷺ فلا يجوز أن يؤخذ منها الأحكام، ويخالف بها أحكام الشريعة دون أن يعرضها على الكتاب والسنة (٤).

فأخذ الأحكام من المنامات مخالف لقول النبي ﷺ: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله» (٥) فجعل ﷺ النجاة من الضلالة في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط لا ثالث لهما، ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زاد لهما ثالث (٦).

(١) انظر: فتح الباري: ١٠٥/٩، ومعارج القبول: ١٢٣٤/٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح: ١٠٠٥ برقم (٥٠٦٣)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: ١٠٢٠/٢ برقم (١٤٠١)، ٢٧٣/١٣.

(٣) انظر: فتح الباري: ٣٠١/١٢، ٤٠٥، والذخيرة للقرافي: ٢٧٣/١٣.

(٤) انظر: المدخل لابن الحاج، مكتبة دار التراث: ٢٨٦/٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: ٨٨٦/٢، برقم (١٢١٨).

(٦) انظر: المدخل: ٢٨٧/٤.

فعلى من رأى رؤيا أن يعرضها على "الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا
وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام
فلا" (١).

أما الرؤى التي رآها الصحابة وعُمل بها كرؤيا عبدالله بن زيد رضي الله عنه في الأذان.
فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعها أقرها، وقال: «إنها لرؤيا حق لقد أراك الله حقا» (٢)، فكانت
سنة تقرير كما يقرر بعض الناس على بعض الأفعال (٣).

(١) الاعتصام للشاطبي: ٧٨/٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: ٧٧، برقم (٤٩٩)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي
داود: ٩٨/١.

(٣) انظر: فتح الباري: ٧٩/٢.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- ما وقع في نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ □ هل ينام الله؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على المنبر، قال: «وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟ فأرسل الله إليه ملكاً فأرقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما». قال: «فجعل ينام تكاد يداه تلتقيان فيستيقظ فيحبس إحداها على الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان» قال: «ضرب الله له مثلاً عَزَّ وَجَلَّ: أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»^(١).

٢- الدجال تنام عيناه ولا ينام قلبه:

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن أبيه قال: وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم صفة الدجال، وصفة أبويه، قال: «يمكث أبوا الدجال ثلاثين سنة لا يولد لهما، ثم يولد لهما ابن مسرور مختون، أقل شيء نفعاً وأضره، تنام عيناه، ولا ينام قلبه»^(٢).

(١) رواه ابن أبي حاتم: ٣١٨٦/١٠، والطبري في تفسيره: ٣٩٤/٥، وأبو يعلى في مسنده: ٢١/١٢، قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جداً، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع. وقال في موضع آخر: "حديثاً غريباً بل منكراً". انظر تفسير ابن كثير: ٦٧٩/١، ٥٥٨/٣.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٥٠/٣٤، وقال محققه: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد- وهو ابن جدعان-، ومؤمل بن إسماعيل، وقال ابن كثير: "منكر جداً". انظر: البداية والنهاية: ٢٠٤/١٩.

المبحث الثامن

النبات

النبات في اللغة:

نبت: النون والباء والتاء أصل واحد يدلّ على نماءٍ في مزروع، ثم يستعار. فالنَّبْتُ معروفٌ، يقال نَبَت. وَأَنْبَتَتِ الأَرْضُ. وَنَبَّتُ الشَّجَرَ: غَرَسْتُهُ. وكلُّ ما أَنْبَتَ اللهُ في الأَرْضِ فهو نَبْتُ والنَّبَاتُ فِعْلُهُ، وَيَجْرِي مَجْرَى اسْمِهِ، يقال: أَنْبَتَ اللهُ النَّبَاتَ إِنْبَاتًا ونحو ذلك^(١).

وفي الاصطلاح:

هي مجموعة رئيسية من الكائنات الحية، تشتمل على نحو ٣٥٠,٠٠٠ نوع، من أمثلتها الأشجار والأزهار والأعشاب والشجيرات والحشائش.

وتقسم النباتات إلى مجموعتين تبعاً لطريقة حصولها على غذائها. وتعرف جميع النباتات الخضراء بأنها ذاتية التغذية، حيث تحتوي على يَخضور (كلوروفيل)، يمكنها من اقتناص ضوء الشمس واستخدامه في إنتاج الغذاء، والمواد الأخرى التي تحتاج إليها في النمو. وتعرف الأنواع الأخرى من النباتات بأنها غير ذاتية التغذية، وتفتقر إلى اليخضور (الكلوروفيل)، ولا تستطيع إنتاج غذائها، وقد تكون متطفلة، أو رَوِيَّة^(٢).

وقد ورد لفظ النبات في القرآن في (٤) مواضع^(٣)، وورد في السنة في (٥١) حديثاً^(٤).

وذكر بعض المفسرين أن النبات في القرآن على أربعة أوجه^(٥):

أحدها: النبات بعينه. ومنه قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٨/٥، لسان العرب: ٤٣١٧/٦.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٨٣/٦٠/٢٥.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٦٠.

(٤) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٤.

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٨١.

(٦) المؤمنون: ٢٠.

فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿١﴾.

والثاني: الإخراج، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ (٢).

والثالث: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (٣).

الرابع: التربية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (٤).

(١) عبس: ٢٧-٢٨.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) نوح: ١٧.

(٤) آل عمران: ٣٧.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - النبات :-

ورد ذكر النباتات وإنباتها وإخراجها من الأرض وإثمارها، في كثير من آيات القرآن الكريم، وخصوصاً الآيات المكية.

وهذا لم يكن "لمجرد تعداد نعم الله فحسب، إنما جاء في آيات ترتبط بعملية الخلق والإحياء والبعث والنشور، وفي آيات تحض الناس على التبصر والتأمل، والتعقل والتدبر، وفي آيات تبطل ما ينكره الكافرون من قدرة الله على الإحياء وخلق الحي من الميت، وبعث الناس من قبورهم بعد موتهم وهلاكهم"^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ومن يتأمل في هذه النباتات والثمار كيف نوعها الخالق في أحجامها وأشكالها وألوانها وروائحها ومذاقها، وهي في بقعة واحدة، وتسقى بماء واحد. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِزَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣).
فإنه سيرى:

عجائب لا تنتهي في النبات . . . تدلُّ على الخالق المقتدر^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مِيناً شأن هذه الآية الكونية: " فهذا النبات يغذي، وهذا يصلح الغذاء، وهذا ينفذه، وهذا يضعف، وهذا سم قاتل، وهذا شفاء من السم، وهذا يمرض، وهذا

(١) حياة النبات في ضوء القرآن والسنة والعلم الحديث، لكمال الدين البتانوي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

www.quran-n.com/firas/arabicold/print-details.php?page=show-det8&id=733

(٢) فصلت: ٣٩.

(٣) الرعد: ٤.

(٤) انظر: براهين وأدلة إيمانية لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ٤٦٩.

دواء من المرض، وهذا يبرد، وهذا يسخن، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق، وهذا إذا حصل فيها ولد الصفراء واستحال اليها، وهذا يدفع البلغم والسوداء، وهذا يستحيل اليهما، وهذا يهيج الدم، وهذا يسكنه، وهذا ينوم، وهذا يمنع النوم، وهذا يفرح، وهذا يجلب الغم إلى غير ذلك من عجائب النبات التي لا تكاد تخلو ورقة منه ولا عرق ولا ثمرة من منافع تعجز عقول البشر عن الاحاطة بها وتفصيلها.

وانظر إلى مجاري الماء في تلك العروق الرقيقة الضئيلة الضعيفة التي لا يكاد البصر يدركها إلا بعد تحديقها، كيف يقوى قسره واجتذابه من مقره ومركزه إلى فوق، ثم ينصرف في تلك المجاري بحسب قبولها وسعتها وضيقها، ثم تتفرق وتتشعب وتدق إلى غاية لا يناها البصر. ثم انظر إلى تكون حمل الشجرة، ونقلته من حال إلى حال كتنقل أحوال الجنين المغيب عن الأبصار ترى العجب العجائب، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، بينا تراها حطبا قائما عاريا لا كسوة عليها إذ كاسها ربها وخالقها من الزهر أحسن كسوة، ثم سلبها تلك الكسوة، وكساها من الورق كسوة هي أثبت من الأولى، ثم اطلع فيها حملها ضعيفا ضئيلا بعد أن أخرج ورقها صيانة وثوبا لتلك الثمرة الضعيفة لتستجب به من الحر والبرد والآفات، ثم ساق إلى تلك الثمار رزقها وغذاها في تلك العروق والمجاري فتغذت به كما يتغذى الطفل بلبان أمه، ثم رباها ونماها شيئا فشيئا حتى استوت وكملت وتناهى ادراكها، فأخرج ذلك الجني اللذيذ اللين من تلك الحطبة الصماء.

هذا وكم لله من آية في كل ما يقع الحس عليه ويصيره العباد وما لا يبصرونه، تفنى الأعمار دون الإحاطة بها وجميع تفاصيلها"^(١).

أولاً: توحيد الربوبية:

بين سبحانه قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، ومن ذلك النباتات فقال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ

(١) مفتاح دار السعادة: ٣٣٦/١.

بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ .
 ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا الذي ذكره في الآية هو خلقه سبحانه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك (٢)، فقال: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۗ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٤).
 وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥).

فالله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما - ومن ذلك النباتات - بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وأنه وحده المتصرف المدبر لهما، وفيها أيضاً بيان كمال قدرة الخالق عز وجل (٦).

فلو اجتمعت البشرية جميعاً على صناعة شجرة واحدة من العدم لما استطاعت، بل غصنا واحداً، بل ورقة واحدة، بل بذرة واحدة.

فهو سبحانه: ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا

(١) لقمان: ١٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٦، ٣٤٧/٣.

(٣) لقمان: ١١.

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) النحل: ١٠-١١.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٣، وتفسير السعدي: ٤٣٦.

مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

البركة:

أخبر النبي ﷺ عن بعض النباتات أنها مباركة ومن ذلك النخلة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذا أتى بجمار نخلة فقال النبي ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم، فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة، أنا أحدثهم فسكت، فقال النبي ﷺ: هي النخلة»^(٢).

وقال ﷺ: «من الشجر شجرة تكون مثل المسلم، وهي النخلة»^(٣).

"وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تبيس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"^(٤).

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

١- كلام الله:

(١) الأنعام: ٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار: ١٠٧٥، برقم (٥٤٤٤)،

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب بركة النخل: ١٠٧٥، برقم (٥٤٤٨).

(٤) فتح الباري: ١ / ١٤٥.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١).

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»^(٢).

فمثل النبي ﷺ في الحديث بهذه النباتات.

وفي هذا الحديث أيضاً دليل على "أن التلاوة غير المتلو، فالتلاوة عمل العبد، وهي مخلوقة، وأما المتلو، فهو كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق، ولهذا بوب البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الترجمة حتى قال: "لا تجاوز حناجرهم" فدل على أن تلاوة القارئ عمل له. أما المتلو، فهو كلام الله يقرؤه البر والفاجر"^(٣). والناس يتفاوتون في التلاوة فهي أعمالهم، وأعمالهم مخلوقة، وأما كلام الله فممنزل غير مخلوق^(٤).

٢- التسيب:

يسبح الله نفسه وينزهها عن أحوال المشركين تنزيهاً عن كل ما لا يليق بإلهيته وأعظمه الإشراك به^(٥)، أو أنه يكون له ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِيٌّ، أو شبيه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله، أو يعجزه شيء يريد^(٦)، ويذكر في ذلك خلق النباتات،

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام: ٩٩٧ برقم (٥٠٢٠)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن: ٥٤٩/١، برقم (٧٩٧).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالعزيز الراجحي، مطبوع بالحاسب الآلي: ٢٠٣/١.

(٤) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان: ٦٣١/٢.

(٥) التحرير والتنوير: ١٥/٢٣.

(٦) تفسير السعدي: ٦٩٥.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّهُمُّ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
 وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
 الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

ولما ذكر الله ﷻ بعض الأدلة على الألوهية والقدرة والبعث في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
 ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (٢). فهو سبحانه المتفرد بخلق النباتات وما يسره من
 الحرث والزرع، وأنه لو شاء لجعله محطما لا نفع فيه ولا رزق، أمر بتسبيحه وتنزيهه عن جميع
 النقائص (٣)، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

ثالثاً: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق: الأرض أن الله -تعالى- يذكر ويعدد من دلائل إنفراده
 بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأضح الدلالة على المشركين لإفراد
 الله ﷻ بالعبادة (٥).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ (٦).

(١) يس: ٣٣-٣٦.

(٢) الواقعة: ٦٣-٦٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٢/١٧.

(٤) الواقعة: ٧٤.

(٥) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٤، ٥٧/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٧.

(٦) الشعراء: ٧-٩.

"فخلق هذه النبات وتنوعها دالة على وحدانية الله لأن هذا الصنع الحكيم لا يصدر إلا عن واحد لا شريك له" (١).

وقد ذكر الله في "تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل" (٢) خلق النبات والأشجار فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتٍ بِهَجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٣).

ولما سأل فرعون موسى عن ربه ومعبوده كان من ضمن إجابته أنه الذي خلق الأزواج من النبات (٤): ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (٥).

رابعاً: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك ميكائيل الموكل بالنبات (٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الملائكة تتأذى من بعض النباتات كما يتأذى بنو آدم، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلة - الثوم - وقال مرة: من أكل البصل والثوم

(١) التحرير والتنوير: ١٩ / ١٠٠.

(٢) تفسير السعدي: ٦٠٧.

(٣) النمل: ٦٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١١ / ٢٠٤، ٢٦٠.

(٥) طه: ٤٩-٥٤.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد: ١ / ٢٧٤، برقم (٢٤٨٣)، وشرح الطحاوية: ١ / ٢٨٠، والبداية والنهاية: ١ / ١٠٥.

والكرات، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(١)، وهذا يدل على أن الملائكة تُنزّه عن هذه الروائح^(٢).

خامساً: الإيمان بالكتب:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٣).

فمثل الله ﷻ "حالة إنزال القرآن واهتداء المؤمنين به والوعد بنماء ذلك الاهتداء، بحالة إنزال المطر ونبات الزرع به واكتماله. وهذا التمثيل قابل لتجزئة أجزائه على أجزاء الحالة المشبه بها:

فإنزال الماء من السماء تشبيهه لإنزال القرآن لإحياء القلوب، وإسلاك الماء ينابيع في الأرض تشبيهه لتبليغ القرآن للناس، وإخراج الزرع المختلف الألوان تشبيهه لحال اختلاف الناس من طيب وغيره، ونافع وضار، وهياج الزرع تشبيهه لتكاثر المؤمنين بين المشركين. وأما قوله تعالى: ثم يجعله حطاماً فهو إدماج للتذكير بحالة الممات واستواء الناس فيها من نافع وضار. وفي تعقيب هذا بقوله: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^(٤)، إشارة إلى العبرة من هذا التمثيل^(٥).

وفي معناه قول النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها: ٣٩٤/١، برقم

(٥٦٤)

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤٩٩/٢.

(٣) الزمر: ٢١.

(٤) الزمر: ٢٢-٢٣.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٧٦/٢٣.

أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجاب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

سادساً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات التي أظهرها الله ﷺ لنبيه محمداً ﷺ انقياد الأغصان والأشجار له عند قضاء حاجته. فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي ياذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي ياذن الله، فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: التتما علي ياذن الله، فالتأمتا، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افتترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق" ^(٢).

وكذلك حنين الجذع للنبي ﷺ ^(٣)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»^(٤).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة،

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم: ٤١، برقم (٧٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: ٢٣٠٦/٤، برقم (٣٠١٢).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤٨٧/٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٨٦، برقم (٣٥٨٣).

فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً، قال: إن شئتم. فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»^(١).

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله عنه وأخبرت عنه رسوله -عليهم الصلاة والسلام- من البعث والجزاء، وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة عليه إحياء الأرض بعد موتها بالنبات من كل زوج وصنف وهو دليل عقلي مشاهد محسوس^(٢).

فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَخْشَوْا رَبَّهُمْ وَيَخْلُقُوا مِمَّا خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي كَانَتْ لِلرَّبِّ هَالِكَةً وَلَا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَالِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ لَمْ يَأْكُلْ لَحْمَ بَشَرٍ مِمَّا نَحْنُ بِحَاكِمِينَ وَلَا يَأْكُلُ لَحْمَ خَيْلٍ مِمَّا نَحْنُ بِحَاكِمِينَ وَلَا يَأْكُلُ لَحْمَ خَيْرٍ مِمَّا نَحْنُ بِحَاكِمِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّارِ وَهُوَ لَا يُدْرِكُهَا يَوْمَئِذٍ ﴿٣٣﴾﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

كما أمر الله ﷻ بالتفكير في تكوّن الحبوب والثمار التي بها طعام الإنسان، فإن

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٨٦، برقم (٣٥٨٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٦/١٢، ٢٥/١٥.

(٣) الحج: ٥-٧.

(٤) يس: ٣٣-٣٦.

الأجساد تخرج من الأرض للبعث كما تخرج تلك النباتات^(١)، قال تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرَهُ ۚ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَصَبًا (٢٨) وَزَيَّنَّا أَنْجَلًا (٢٩) وَحَدَّائِقَ غُلَبًا (٣٠) وَفَكَهَنَهُ وَآبَاءَ (٣١) مَتَّعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ﴾^(٢).

وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلا للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها^(٣). وأخبر النبي ﷺ في بيان كيف ينبت الموحدون بعد خروجهم من النار وسرعة ذلك وحسنه^(٤)، وشبه ذلك بنبات الحبة في حميل السيل^(٥).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال: بخطاياهم) فأماهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»^(٦).

كما أن النبي ﷺ شبه الخطاطيف التي على الجسر يوم القيامة بشوك السعدان، وهي شوكة عظيمة مثل المحك من كل الجوانب^(٧).

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيه

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٣٠/٣٠.

(٢) عبس: ١٧-٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣/٣.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٢٣/٣.

(٥) الحبة بكسر الحاء وهي بزر البقول والعشب تنبت في البرارى وجوانب السيول وجمعها، وأما حميل السيل فبفتح الحاء وكسر الميم وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل. انظر: شرح النووي على مسلم: ٢٣/٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدون من النار: ١٧٢/١، برقم (١٨٥).

(٧) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣٢٣/١.

خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان»^(١).

وقد ورد في الكتاب والسنة أن في الجنة أشجار ونباتات، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى عن نعيم أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٣) في سِدْرِ مَخْضُودٍ^(٤) وَطَلْحٍ مَنضُودٍ^(٥) وَظِلِّ مَمْدُودٍ^(٦).

وقال تعالى عن الجنة: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ أَكْرَهٍ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(٨).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٩).

ثامناً: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيعته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وما فيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١٦٧/١، برقم (١٨٣).

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) الواقعة: ٢٧-٣٠.

(٤) الرحمن: ٥٢.

(٥) الرحمن: ٦٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة: ٦٢٤، برقم (٣٢٥١).

وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ^(٢) وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ^ط وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ^(٣) ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ ^(٤) وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ^ع إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(٥) ﴾.

فهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها.

فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عَفِصٌ، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. وهذا أصفر وهذا أحمر، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق. وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضب، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(٦) ﴾.

(١) فاطر: ٢٧.

(٢) معروشات: ما انبسط على وجه الأرض مثل البطيخ والكرم، وغير معروشات: ما قام على ساق مثل النخل، وقيل المعروشات ما أثبتته ورفعها الناس، وغير المعروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار. انظر: تفسير القرطبي:

٩٨/٧، وتفسير ابن كثير: ٣/٤٧٣.

(٣) الأنعام: ١٤١.

(٤) الصنوان: النخلات والنخلتان يجمعهما أصل واحد، وغير الصنوان المتفرق. انظر: تفسير القرطبي: ٩/٢٨٢.

(٥) الرعد: ٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤/٤٣٢، ٣/٣٠٧.

وفي "تفاوتها أيضاً دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً، ما هو معلوم. وذلك أيضاً، دليل على سعة علم الله تعالى" (١).

وأخبر الله ﷻ أن النبات إنما يخرج بإذن الله وإرادته، وليست الأسباب مستقلة بذلك (٢)، فقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِثًا كَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

تاسعاً: منزلة الصحابة:

بين الله ﷻ أن مثل الصحابة في الإنجيل في مناصرتهم للنبي ﷺ وتأيدهم ومازرتهم له كمازرة فراخ الزرع للزرع إلى أن يشب ويقوى.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا يَدْرَأُكَ اللَّهُ مَغَالِبَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا وَاللَّهُ مُنِيبٌ إِلَيْهِمْ فَسَلِّمْ إِلَيْهِمْ وَنَبِّئْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ لَعَلَّ هُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤) فَأَزْرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٥).

وقيل هذا مثل ضربه الله لأصحاب محمد ﷺ في أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرون

(١) تفسير السعدي: ٦٨٨.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٢٩٢.

(٣) الأعراف: ٥٨.

(٤) شطأه: أي فراخه. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٧.

(٥) الفتح: ٢٩.

ويزدادون^(١).

وقيل: إن الصحابة "كالزراع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، ففوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزراع الذي أخرج شطأه، فأزره فاستغلظ"^(٢).

عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثال للتوضيح والتقريب، وقد ضرب الله ﷻ مثلاً للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وبيان شرف هذه النفقة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣). "وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كأن العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتتقاد النفس مذعنة للإنفاق ساحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة"^(٤).

وضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجته الله من الأرض من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، ثم أصبح هشيماً تذروه الرياح^(٥)، فقال تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَهَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٥/١٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٢/٧.

(٢) تفسير السعدي: ٧٩٥.

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) تفسير السعدي: ١١٢، وانظر: تفسير القرطبي: ٣٠٣/٣.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٤.

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾.

و ضرب النبي ﷺ مثلاً في بيان حال المؤمن الذي يقرأ القرآن، والذي لا يقرأ القرآن، والمنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن ببعض النباتات وذلك للتوضيح والتفريق بين حالهم^(٣)، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الْأُتْرَاجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمِثْلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حَلْوٌ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ»^(٤).

"فهذه أمثال ضربها الرسول ﷺ لبيان تفاوت الناس في هذه الأمور، وأن من كان عنده القرآن فإنه جمع بين خصلتين محمودتين: إيمان وقراءة القرآن، وشبهه بالأترجة التي طعمها حلو، وريحها طيب، وشبهه المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة التي طعمها طيب ولكن لا ريح لها، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب، ولكن طعمها مر، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها"^(٥).

كما أن النبي ﷺ شبه المسلم بالنخلة في "كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها،

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) يونس: ٢٤-٢٥.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم: ٦/٨٤، وفتح الباري: ١/١٤٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام: ٩٩٧ رقم (٥٠٢٠)، وصحيح مسلم،

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن: ١/٥٤٩، رقم (٧٩٧).

(٥) شرح سنن أبي داود للشيخ عبدالمحسن العباد، مطبوع على الحاسب الآلي: ٢/١.

ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعا وحبطا وعصيا ومخاصر وحصرًا وحبالا وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها وينتفع به علفا للابل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعته، ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره، والصدقة والصلة وسائر الطاعات وغير ذلك^(١).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: فقال هي النخلة، قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا»^(٢).

الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الناس يتفاضلون في الإيمان^(٣)، وقد بين النبي ﷺ ذلك، وضربه له مثلا ببعض النباتات والثمار، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»^(٤).

(١) شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٥٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كالنخلة: ٤/ ٢١٦٤، برقم (٢٨١١).

(٣) انظر: كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٣٢، والحجة في بيان المحجة: ١/ ٤٤٠، وصفة المنافق للفريابي: ٥٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام: ٩٩٧ برقم (٥٠٢٠)، وصحيح مسلم،

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن: ١/ ٥٤٩، برقم (٧٩٧).

" وإبراز هذه المعاني وتصويرها إلى المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم يوجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبه بها واردة على تقسيم الحاصل؛ لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها، وعلى هذا فقس الأثمار المشبه بها، ووجه الشبه في المذكورات منتزع عن أمرين محسوسين طعم وريح وليس بمفروق"^(١).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان ملاء القاري: ٦٤٦/١٢.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النبات -:

أولاً: تسمية الله ﷻ بالزراع^(١):

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النبات - تسمية الله ﷻ بالزراع. من قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٢)، والصحيح أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى: (الزراع) على أنه اسماً له أو صفةً من صفاته وإنما يقال: هو الزارع على أنه خبر عن فعلٍ من أفعال الله تعالى، وليس كل فعلٍ فعله الله تعالى يشتق له منه اسماً أو صفة^(٣). قال الشيخ حافظ حكيم رَحِمَهُ اللهُ: "ومن الخطأ ما عده بعضهم، ومنهم ابن العربي المالكي في كتابه أحكام القرآن حيث سماه بالفاعل والزارع، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما، فلا يفيدان مدحا، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحيد، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٤).. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٥). الآيات، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله"^(٦).

ثانياً: تحريف معنى سجود الأشجار:

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٨٠٧/٢، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول

التوحيد، محمد بن إبراهيم المرتضى: ١٦٠.

(٢) الواقعة: ٦٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ١٩٦/٨.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

(٥) الواقعة: ٦٣-٦٤.

(٦) معارج القبول: ١١٩/١.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(١) والنجم ما لا ساق له، والشجر ما له ساق^(٢).

ف قيل في سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء. وقيل: سجودهما دوران الظل معهما، وقيل: إن معنى السجود أنها مسخرة لله فلا تعبدوها، وقيل: أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله ﷻ، فهو من الموات كلها استسلامها لأمر الله ﷻ وانقيادها له^(٣).

والحق أن سجود هذه الكائنات سجود حقيقي الله أعلم بكيفيته^(٤) لقوله تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٥).

(١) الرحمن: ٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٦/٢٧، وتفسير القرطبي: ١٥٣/١٧.

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير القرطبي: ١٥٤/١٧.

(٤) انظر: مبحث عبودية الكائنات في أصل الكتاب.

(٥) الإسراء: ٤٤.

المبحث التاسع

الأمراض

المرض في اللغة:

الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان. منه العلة. والمرض السقم نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير، وهو اسم للجنس، ومرض فلان مَرَضاً ومَرَضاً فهو مَرَضٌ وهو مَرِضٌ ومَرِضٌ، والأنثى مريضة. وشمس مريضة، إذا لم تكن مشرقة.

والمَرَضُ والمَرَضُ الشُّكُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾^(١) أي شكٌ ونفاقٌ وضَعْفٌ يَيقِن، يقال المَرَضُ والسُّقْمُ في البدنِ والدِّينِ جميعاً، كما يقال الصِّحَّةُ في البدنِ والدِّينِ جميعاً، والمَرَضُ في القلبِ يَصْلُحُ لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين ﴿ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾^(٢)، ويقال قلب مَرِضٌ من العداوة وهو النِّفاقُ^(٣).

وفي الاصطلاح:

المرض اعتلال الجسم أو العقل. وقد يكون المرض عارضاً خفيفاً مثل التهاب الحلق أو خطيراً مثل النوبة القلبية. ويمكن للأمراض أن تصيب أي جزء في الجسم. كما يمكنها أن تؤثر على صحة الشخص العقلية والوجدانية.

وتحدث أمراض عديدة بسبب كائنات حية دقيقة مثل البكتيريا أو الفيروسات، تقوم بغزو الجسم. وهذه الكائنات الدقيقة تسمى عادة جراثيم ولكن العلماء يسمونها أحياء مجهرية. وتسمى الأمراض الناتجة عن هذه الأحياء الأمراض المعدية، وتسمى الأمراض الأخرى أمراضاً غير معدية^(٤).

(١) البقرة: ١٠.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣١١/٥، لسان العرب: ٤١٨٠/٦.

(٤) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٠٥/٢٣.

وقد ورد لفظ المرض في القرآن في (١٢) موضعاً^(١)، وورد في السنة في (١١) حديثاً^(٢).
وذكر بعض المفسرين أن المرض في القرآن على ثلاثة أوجه^(٣):

أحدها: مرض البدن. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾^(٦).

والثاني: الشك. ومنه قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٧)، وقال

تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٨)، وقوله

تعالى: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾^(٩).

والثالث: الفجور. ومنه قوله تعالى: ﴿فِيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(١٠).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٣٩.

(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٤.

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤٥، وبصائر ذوي التمييز: ٤/٤٩٢.

(٤) البقرة: ١٩٦.

(٥) التوبة: ٩١.

(٦) النور: ٦١، الفتح: ١٧.

(٧) البقرة: ١٠.

(٨) التوبة: ١٢٥.

(٩) محمد: ٢٠.

(١٠) الأحزاب: ٣٢.

الدلائل العقديّة للآية الكونية - الأمراض -:

الله سبحانه وتعالى حكيم عليم، لم يخلق شيئاً إلا وله فيه حكمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١)، ومن حكمته سبحانه وتعالى أن خلق الصحة وخلق ما يضادها من الأمراض، وهذا من آيات الله العظيمة التي أمر الله ﷻ بالتفكير فيها (٢).
 "ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم، ومقاومة بعضها لبعض، ودفع بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، تبين له كمال قدرة الرب تعالى، وحكمته، وإتقانه ما صنعه، وتفرد به بالربوبية والوحدانية والقهر، وأن كل ما سواه فله ما يضاده وبمانعه، كما أنه الغني بذاته، وكل ما سواه محتاج بذاته" (٣).

ولله ﷻ في هذه الأمراض حكم عظيمة، فمن فوائد المرض وتام نعمة الله على عبده، أنه ينزل بعبد من الضر والشدائد ما يلجئه إلى المخاوف، حتى يلجئه إلى التوحيد، ويتعلق قلبه بربه فيدعوه مخلصاً له الدين، قال الله تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٤).

فكشف الله ضره وأثنى عليه، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٥).
 ومن فوائد المرض: انتظار المريض للفرج، الأمر الذي يجعل العبد يتعلق قلبه بالله وحده، وخصوصاً إذا يئس المريض من الشفاء من جهة المخلوقين وحصل له الإياس منهم وتعلق قلبه بالله وحده، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج.
 ومن فوائد المرض: أنه علامة على إرادة الله بصاحبه الخير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» (٦).

(١) الأنعام: ٨٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤/٢٠، والتحرير والتنوير: ٣٠٤/٣٠.

(٣) زاد المعاد: ١٥١/٤.

(٤) الأنبياء: ٨٣.

(٥) ص: ٤٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المرض، باب ما جاء في كفاة المرض: ١١٠٩ برقم (٥٦٤).

ومن فوائد المرض: أن الله يستخرج به الشكر، فإن العبد إذا ابتلي بعد الصحة بالمرض، وبعد القرب بالبعد، اشتاقت نفسه إلى العافية، وبالتالي تتعرض إلى نفحات الله بالدعاء، فإنه لا يرد القدر إلا الدعاء، بل ينبغي له أن يتوسل إلى الله ولا يتجلد تجلد الجاهل؛ فإن الله أمر العبد أن يسأله تكراً، وهو يغضب إذا لم تسأله، فإذا منح الله العبد العافية وردها عليه عرف قدر تلك النعمة؛ فلهج بشكره شكر من عرف المرض وباشر وذاق آلامه لا شكر من عرف وصفه ولم يقاس ألمه، فإذا نقله ربه من ضيق المرض والفقر والخوف إلى سعة الأمن والعافية والغنى فإنه يزداد سروره وشكره ومحبه لربه بحسب معرفته وبما كان فيه.

ومن فوائد المرض: معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه، فهم فقراء إليه وهو غني عنهم، ولولا أن سُلط على العبد هذه الأمراض لنسي نفسه، فجعله ربه يمرض ويحتاج، لتظهر بذلك عبوديته لربه، وفي الأمراض من الحكم والأسرار ما لا يعمله إلا الله تعالى.

أولاً: توحيد الربوبية:

الأمراض خلق من خلق الله عَزَّوَجَلَّ فعن أم الدرداء رَضِيَ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله خلق الداء والدواء، فتداواوا ولا تتداواوا بحرام»^(١).
وعن أنس رَضِيَ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله خلق الداء خلق الدواء، فتداواوا»^(٢).

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٢٥٤/٢٤ برقم (٦٤٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات. وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة: ١٧٤/٤ برقم (١٦٣٣).
(٢) مسند الإمام أحمد: ٥٠/٢٠، برقم (١٢٥٩٦)، وقال محققه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

١- نفي الشر عن الله:

من مقتضى الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات الإيمان بأن أفعال الله ﷻ كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه، ليس فيها شر بوجه من الوجوه، وأما من جهة العبد فنفس المقدور قد يكون شراً لما يلحقه من المهالك^(١)، وقد قال النبي ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»^(٢)، وفيما يتعلق بهذه الآية الكونية - الأمراض - أخبر الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٣) فأسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا، كما قال تعالى آمراً للمصلي أن يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدبا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن^(٥): ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٦).

٢- العلو:

من أنواع الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على علو الله نزول الأمر من الله تعالى^(٧)، ومن ذلك نزول الداء والدواء من الله، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما

(١) انظر: شرح النووي على مسلم: ١٢١/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ٥٢٤/١ برقم (٧٧١).

(٣) الشعراء: ٨٠.

(٤) الفاتحة: ٦-٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/١٤٦، وانظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٤٢.

(٦) الجن: ١٠.

(٧) انظر: شرح الطحاوية: ١٤٤، ٢٦٤، إعلام الموقعين: ٢/٢٨٢.

أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»^(١).

والمراد إنزال علم ذلك الدواء والشفاء^(٢).

٣- الشافي:

من أسماء الله ﷺ الشافي^(٣)، فهو سبحانه وحده الشافي لجميع الأمراض، وقد دل على هذا الاسم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه، أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»^(٤).

٤- الطيب:

عد بعض أهل العلم الطيب من أسماء الله ﷺ^(٥)، عن أبي رمثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قال: «أتيت للنبي ﷺ مع أبي فرأى التي بظهره، فقال: يا رسول الله، ألا أعالجها لك فإني طيب، قال: أنت رفيق والله الطيب»^(٦).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قالت: «مرض رسول الله ﷺ فوضعت يدي على صدره، فقلت: اذهب البأس، رب الناس، أنت الطيب، وأنت الشافي، وكان رسول الله ﷺ يقول: الحقني بالرفيق الأعلى والحقني بالرفيق الأعلى»^(٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما انزل الله داء إلا أنزل شفاء: ١١١٦ برقم (٥١٧٨).

(٢) فتح الباري: ١٠ / ١٣٥.

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢١٨/١، وكتاب التوحيد لابن منده: ١٣٩/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجل بيده اليمنى: ١١٢٦ برقم (٥٧٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: ١٧٢١/٤ برقم (٢١٩١).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي: ٢٠٩/١، رقم (١٥٣٧)، الأسماء والصفات للبيهقي: ٢١٧/١، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي: ٢٩٣، وأسماء الله الحسنى لعبدالله الغصن: ٣٥٥.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب: ٤٥٨ برقم (٤٢٠٧)، ومسند الإمام أحمد: ٣٩/٢٩ برقم (١٧٤٩٢)، وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر: السلسلة الصحيحة: ٥١/٤ برقم (١٥٣٧).

(٧) مسند الإمام أحمد: ٢٩١/٤١ برقم (٢٤٧٧٤)، وقال محققه: إسناده صحيح.

ثالثاً: توحيد الألوهية:

كثيراً ما يستدل الله ﷻ وجل في كتابه على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، ومما يتعلق بهذه الآية الكونية - الأمراض - أن إبراهيم عليه السلام حين تبرأ من المشركين وأهنتهم التي تعبد إلا الله ﷻ رب العالمين ذكر من جملة صفاته أنه يشفي المرض^(١)، فقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾^(٢).

١- التوكل:

جاء في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأن ذلك لا ينافي التوكل، كما لا ينفيه دفع داء الجوع والعطش والبرد، وأن فعل هذه الأسباب التي جعلها الله أسباباً مما أمرت به الشريعة، وأن تركها يقدح في التوكل ويضعفه^(٣). وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المرض لا يعدي بنفسه، وأن مخالطة المريض لا تضر إلا بإذن الله ﷻ وأنه سبحانه هو المقدر لذلك فوجب فعل الأسباب بالابتعاد عن أسباب الشر، والتوكل على الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى^(٤)»، فقام أعرابي

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٣، وتفسير ابن كثير: ١٤٥/٦.

(٢) الشعراء: ٧٥-٨٢.

(٣) انظر: الفصل الرابع من هذا البحث: ١٦٢.

(٤) المراد بالعدوى: انتقال المرض من شخص إلى شخص، أو من بهيمة إلى بهيمة، أو من مكان إلى مكان. انظر: إعانة

المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ٨/٢.

فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الضباء، فيأتيها البعير الأجرى فتجرب. فقال النبي ﷺ: فمن أعدى الأول»^(١).

والمرض يتعدى من محل إلى محل، ويتعدى من المريض إلى السليم، ويتعدى من الجربى إلى الصحيحة، هذا شيء موجود.

فبين الرسول ﷺ، أن مجرد مقارنة المريض أو القدم على المحل الموبوء هذا سبب، أما التأثير فهو بيد الله سبحانه وتعالى، فقد يدخل الإنسان في الأرض الموبوءة ولا يصاب، وقد يورد الممرض على المصحح ولا يصاب، قد ينام المريض بجانب الصحيح ولا يصاب، وقد يصاب، فما وجه التفريق بين الحالتين؟ وجه التفريق: أن هذا راجع إلى مشيئة الله تعالى^(٢).

٢- الدعاء:

كان من هدي النبي ﷺ الدعاء عند وجود المرض، والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له، قال أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٣)، وهذا الدعاء من جملة الأسباب التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤)، "وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وسيء الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير، ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره لما فيه من

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى: ١١٣٠ برقم (٥٧٧٥).

(٢) انظر: إغاثة المستفيد شرح كتاب التوحيد: ٨/٢، وفتح الباري: ١٠/١٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجيه بيده اليمنى: ١١٢٦ برقم (٥٧٥٠)، وصحيح مسلم،

كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: ٤/١٧٢١ برقم (٢١٩١).

(٤) غافر: ٦٠.

الخشوع والتذلل للرب سبحانه، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالياً على ما قدر فيلزم ترك العمل جملة، ورد البلاء بالدعاء كرد السهم بالترس، وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يتترس من رمي السهم، والله أعلم^(١).

رابعاً: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومنها أنهم يمنعون مرض الطاعون من دخول المدينة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٢).

خامساً: الإيمان بالرسول:

من الإيمان بالرسول الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات: الآية التي أظهرها الله بِعِزِّهِ على يد رسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام حيث كان يبرئ الأبرص والأكمه^(٣)، قال تعالى عنه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ومما يتعلق بهذه الآية الكونية أيضاً بشرية الرسل، وأنه يصيبهم ما يصيب غيرهم من

(١) مرعاة المفاتيح المطبوع بحاشية مشكاة المصابيح، للمباركفوري: ٥٢٥/٩.

(٢) صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة: ٣٥٧ برقم (١٨٨١).

(٣) انظر: تفسير السعدي: ١٣١.

(٤) آل عمران: ٤٩.

الأمراض^(١)، وأنهم يخبرون عند مرضهم بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ فعلمت أنه خير»^(٢).

سادساً: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجنة والنار، ومن ذلك أن الحمى من فيح جهنم فدل على أن النار مخلوقة الآن^(٣)، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»^(٤).

سابعاً: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل مؤمن يعرف ويوقن تماماً أن من يتعرض لمسببات المرض فإن ذلك لا يعني أبداً أنه سوف يصاب بهذا المرض إذا أراد الله سبحانه وتعالى حفظه وتجنبيه، ومن لا يتعرض لمسببات المرض فإن ذلك لا يعني للمرء أنه لن يصاب بالمرض إذا قدر مُقَدِّرُ المقادير ومُسَبِّبُ الأسباب أن يصاب هذا المرء بالمرض، ومن واجب المسلم التوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع أمور حياته اليومية، لكنه مأمور بالأخذ بالأسباب والتحصن ضد مسببات الأمراض^(٥).

(١) انظر: فتح الباري: ٢٢٧/١٠، وفيض القدير: ٥٠١/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ النساء: ٦٩: ٨٧١ برقم (٤٥٨٦).

(٣) انظر: فتح الباري: ٣٢٠/٦، ٣٣٠، ومعارج القبول: ٨٦١/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٦٢٥ برقم (٣٢٦٣).

(٥) انظر: الإعجاز العلمي في لفظتي المريض والمرض في الأحاديث النبوية، لعبدالبديع حمزة زللي: ٢، وإعانة المستفيد

وقد علق النبي ﷺ البرأ من المرض على إذنه ومشيمته سبحانه وتعالى، فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء البرأ بإذن الله تعالى»^(١)، "ففيه الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله، وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع، بل ربما أحدث داء آخر. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداؤوا» الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك، وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر رضي الله عنه: "بإذن الله"، فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته. والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك"^(٢).

ولما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ووجد الوباء قد وقع بها، رجع بعد اختلاف الصحابة في ذلك^(٣)، فقليل له نفر من قدر الله، فقال رضي الله عنه: «أفر من قدر إلى قدر». ثم أخبره عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»، قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف^(٤).

ثامناً: النهي عن التفرق:

حذر النبي ﷺ من الافتراق، وبين أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها

شرح كتاب التوحيد: ٨/٢.

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي: ١٧٢٩/٤ برقم (٢٢٠٤).

(٢) فتح الباري: ١٠ / ١٣٥.

(٣) انظر: الاستذكار: ٧٠/٢٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون: ١١٢٣ برقم (٥٧٢٩)، وصحيح مسلم، كتاب السلام،

باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها: ١٧٤٠/٤ برقم (٢٢١٩).

في النار إلا واحدة، ثم بين حال هؤلاء المتفرقين وأنه كحال من يتجارى به الكلب، فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما « وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه ».

وقال عمرو: « الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله »^(١).

فبين صلى الله عليه وسلم أن هذه الأهواء تتجارى بهم، كما يتجارى الكلب لصاحبه؛ فإن الكلب داء يعرض للإنسان من عضه الكلب الكلب، وهو داء يصيب الكلب كالجنون. وعلامة ذلك فيه أن تحمر عيناه، وأن لا يزال يدخل ذنبه بين رجليه، وإذا رأى إنساناً ساوره^(٢)، فإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك أعراض رديئة، منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشاً، ولا يزال يستسقي حتى إذا سقي الماء لم يشربه^(٣)، وكذلك البدع تدخل فيهم وتؤثر في أعضائهم^(٤).

"فشبه حال الزاغين من أهل البدع في استيلاء تلك الأهواء عليهم، وفي سرية تلك الضلالة منهم إلى الغير بدعوتهم إليها، ثم تنفرهم من العلم وامتناعهم من قبوله حتى يهلكوا جهلاً، بحال صاحب الكلب وسريان تلك العلة في عروقه ومفاصله شبه الجنون، ثم تعديته إلى الغير فلا يعرض المجنون أحداً إلا كلب - أي جن -، ويعرض له أعراض رديئة تشبه الماخيوليا مهلكة غالباً، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً"^(٥).

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة: ٥٠٣، برقم (٤٥٩٧)، ومسند الإمام أحمد: ١٣٥/٢٨ برقم

(١٦٩٣٧)، وقال محققه: إسناده حسن. وحسنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٨٦٩/٣.

(٢) أي وثب عليه. انظر: تهذيب اللغة: ٣٥/١٣.

(٣) معالم السنن للخطابي: ٤/٧.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٨٢/١.

(٥) المرجع السابق: ١/٢٧٨.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض -:

أولاً: تحريف معنى حديث: «مرضت فلم تعدني».

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض - تأويل معنى حديث "مرضت فلم تعدني"، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب: كيف أسقيك، وأنت رب العالمين، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»^(١).

فقالوا هذا الحديث يتضمن معنى باطلاً - وهو أن الله يمرض تعالى الله عن ذلك - ولذا يجب صرفه عن ظاهره^(٢).

والجواب: أن الحديث صريح بأن الله لم يمرض، ولم يأكل ولم يشرب، وإنما العبد هو الذي مرض وطعم وسقي، والمعنى: لوجدت ذلك أي: ثواب ذلك عندي، يعني وجدت ذلك، يعني ثوابه، ثواب العمل، لوجدت ذلك عندي، وإلا فالله - سبحانه وتعالى - فوق العرش، مستوٍ على العرش، بائنٌ من خلقه.

وإنما هذا العبد؛ ولذلك قال: أما علمت أن عبدي مرض؟ أما علمت أن عبدي جاع؟ أما علمت أن عبدي استسقى؟ فالعبد هو الذي مرض وهو الذي جاع، وهو الذي استسقى، لوجدت ذلك عنده يعني ثوابه^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض: ١٩٩٠/٤ برقم (٢٥٦٩).

(٢) انظر: العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير: ١٤١/٤.

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ١٤١/٤، وانظر: شرح النووي على مسلم: ٣٧١/٨، ومجموع

الفتاوى: ٤٣/٣-٤٤، ٤٦٢/٢، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٧٤/٣.

ثانياً: سب المرض:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض - سبها ووصفها بالخبث، وهذا أمر لا يجوز فإن سبها سب لخالقها، وهو الله ﷻ، وقد ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أم السائب قالت: «الحمى لا بارك الله فيها»، فقال النبي ﷺ لها: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "الحمى هي السخونة، وهي نوع من الأمراض وهي أنواع متعددة، ولكنها تكون بقدر الله ﷻ، فهو الذي يقدرها وقوعاً، ويرفعها سبحانه وتعالى، وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبه؛ لأن سبه سب لخالقه جل وعلا، ولهذا قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»^(٢)^(٣).

ثالثاً: اليأس من روح الله والقول بأن هذا المرض ليس له علاج:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية: اليأس من روح الله، واعتقاد أن بعض الأمراض ليس لها علاج، ومن ذلك قول بعض الأطباء هذا مرض ليس له علاج، ميثوس منه ولا يقيد ذلك بقوله: ليس له علاج عندي أو نحو ذلك^(٤)، وهذا الأمر مخالف للحديث الصحيح: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»^(٥)، وفي رواية: «علمه من علمه وجهله من

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة: ٤/١٩٩٣، برقم (٢٥٧٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ٤/١٧٦٢ برقم (٢٢٤٦).

(٣) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين: ٦/٤٦٧، وانظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان، مجلة الدعوة العدد (٢٠٠٩)، ٤ شعبان ١٤٢٦ هـ.

(٤) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، العدد ٧: ٥٦٣/٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل شفاء: ١١١٦ برقم (٥١٧٨).

جهله»^(١)، وقوله ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»^(٢).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يجنبنا الزلل ومزالق الأهواء، وأن يأخذ بنواصينا لما فيه رضاه وسعادتنا في الدارين، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه به، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) مسند الإمام أحمد: ٥٠/٦ برقم (٣٥٧٨)، وقال محققه: صحيح لغيره.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي: ١٧٢٩/٤ برقم (٢٢٠٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: الآيات الكونية السماوية ودلالاتها العقدية	٤
تمهيد	٥
المبحث الأول: السماء	٦
السماء في اللغة والاصطلاح	٦
الدلائل العقدية للآية الكونية - السماء-:	٨
أولاً: وجود الله:	٨
ثانياً: توحيد الربوبية:	١٠
ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:	١٢
١- الثناء على الله:	١٢
٢- التنزيه:	١٢
٣- العدل والحكمة:	١٤
٤- بعض أسماء الله وصفاته:	١٥
٥- الصفات الفعلية الاختيارية لله:	١٦
٦- صفة القدرة:	١٦
٧- صفة الغنى والقوة:	١٧
٨- صفة الرحمة:	١٨
٩- صفة العلم:	١٩
١٠- صفة الكلام لله ﷻ:	٢٠
١١- نزول القرآن والشرائع من الله:	٢١
١٢- صفة العلو:	٢٣
١٣- صفة الاستواء:	٢٦

- ٢٧..... ١٤ - صفة النزول:
- ٢٨..... ١٦ - عظم الكرسي:
- ٢٨..... ١٧ - صفة اليمين لله تعالى:
- ٢٩..... رابعاً: توحيد الألوهية:
- ٣٢..... ١ - بعض أنواع العبادة القلبية:
- ٣٢..... أ- الإخلاص:
- ٣٢..... ب- الخوف والخشية والمراقبة:
- ٣٣..... ج- التوكل:
- ٣٣..... د- اليقين بالله والثوق بوعدده:
- ٣٤..... هـ- الإنابة:
- ٣٤..... ٢ - القسم:
- ٣٥..... ٣ - التوسل:
- ٣٦..... خامساً: الإيمان بالغيب:
- ٣٦..... سادساً: الإيمان بالملائكة:
- ٣٩..... سابعاً: الإيمان بالكتب:
- ٤٠..... ثامناً: الإيمان بالرسول:
- ٤٢..... تاسعاً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٤٥..... عاشراً: الإيمان بالقدر:
- ٤٦..... الحادي عشر: منهج الاستدلال:
- ٤٦..... ١ - الاستدلال بالعقل:
- ٤٦..... ٢ - التصديق والتسليم:
- ٤٧..... ٣ - ضرب الأمثلة:
- ٤٧..... الثاني عشر: الوعد والوعيد:
- ٤٩..... الثاني عشر: الولاء والبراء:

- الثالث عشر: الإيمان بالجن: ٥٠
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - السماء-: ٥١
- المبحث الثاني: الشمس** ٧٢
- الشمس في اللغة والاصطلاح ٧٢
- الدلائل العقدية للآية الكونية - الشمس-: ٧٣
- أولاً: وجود الله: ٧٣
- ثانياً: توحيد الربوبية: ٧٥
- ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ٧٥
- ١- صفة العلم والقدرة: ٧٥
- ٢- صفة الرؤية والعلو: ٧٧
- رابعاً: توحيد الألوهية: ٧٨
- ١- بعض أنواع العبادة القلبية، ومنها: ٨١
- أ- اليقين والإخلاص: ٨١
- ب- التوكل: ٨١
- ٢- القسم: ٨٢
- ٣- التوسل: ٨٣
- خامساً: الإيمان بالرسول: ٨٣
- سادساً: الإيمان باليوم الآخر: ٨٤
- سابعاً: الإيمان بالقدر: ٨٦
- ثامناً: النهي عن مشابهة المشركين والمنافقين في عبادتهم: ٨٦
- تاسعاً: النهي عن التشبه بالشیطان: ٨٨
- عاشراً: الإيمان بالجن: ٨٨
- الحادي عشر: أصول المناظرة: ٨٨
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الشمس-: ٩٠

- الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية: ١٠٣.....
- المبحث الثالث: القمر** ١٠٦.....
- القمر في اللغة, والاصطلاح: ١٠٧.....
- الدلائل العقدية للآية الكونية - القمر-: ١٠٨.....
- أولاً: وجود الله: ١٠٨.....
- ثانياً: توحيد الربوبية: ١١٠.....
- ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ١١١.....
- ١- صفة العلم والقدرة: ١١١.....
- ٢- صفة الرؤية والعلو: ١١٢.....
- رابعاً: توحيد الأولوية: ١١٢.....
- ١- بعض أنواع العبادات القلبية: ١١٢.....
- أ- الاستعاذة بالله: ١١٢.....
- ب- اليقين والإخلاص: ١١٣.....
- ٢- القسم: ١١٤.....
- ٣- التوسل: ١١٤.....
- خامساً: الإيمان بالرسول: ١١٥.....
- سادساً: الإيمان باليوم الآخر: ١١٦.....
- سابعاً: الإيمان بالقدر: ١١٧.....
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية: ١١٩.....
- الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية: ١٢٥.....
- المبحث الرابع: النجم** ١٢٦.....
- النجم في اللغة والاصطلاح: ١٢٧.....
- النوء في اللغة والاصطلاح: ١٢٧.....

- ١٢٨.....الكوكب في اللغة والاصطلاح:
- ١٢٩ الدلائل العقدية للآية الكونية - النجم-:
- ١٢٩..... أولاً: وجود الله:
- ١٣٠..... ثانياً: توحيد الربوبية:
- ١٣٢..... ثالثاً: توحيد الألوهية:
- ١٣٢..... ١- اليقين والإخلاص:
- ١٣٣..... ٢- القسم:
- ١٣٤..... رابعاً: الإيمان بالكتب:
- ١٣٤..... خامساً: الإيمان بالرسل:
- ١٣٥..... سادساً: الإيمان بالملائكة:
- ١٣٥..... سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:
- ١٣٧..... ثامناً: منزلة الصحابة:
- ١٣٨..... تاسعاً: النهي عن مشابهة المشركين واليهود والنصارى:
- ١٤٠..... المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النجم-:
- ١٤٧..... الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
- ١٤٩..... **المبحث الخامس: الرعد والبرق والصواعق**
- ١٥١..... الرعد والبرق والصواعق في اللغة والاصطلاح
- ١٥٢..... الدلائل العقدية للآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق-:
- ١٥٢..... أولاً: وجود الله:
- ١٥٣..... ثانياً: توحيد الربوبية:
- ١٥٣..... ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:
- ١٥٣..... ١- التسبيح:
- ١٥٤..... رابعاً: توحيد الألوهية:
- ١٥٥..... خامساً: الإيمان بالملائكة:

- سادساً: الإيمان بالرسول: ١٥٦.....
- سابعاً: الإيمان باليوم الآخر: ١٥٦.....
- ثامناً: الإيمان بالقدر: ١٥٧.....
- تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام: ١٥٧.....
- عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال: ١٥٨.....
- ضرب الأمثال: ١٥٨.....
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق-: ١٦٠.....
- الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية: ١٦٢.....
- المبحث السادس المطر والثلج والبرد** ١٦٣.....
- المطر والثلج والبرد في اللغة والاصطلاح: ١٦٤.....
- الدلائل العقدية للآيات الكونية - المطر والثلج والبرد-: ١٦٧.....
- أولاً: وجود الله: ١٦٧.....
- ثانياً: توحيد الربوبية: ١٦٨.....
- ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ١٧٠.....
- ١- صفة الرحمة: ١٧٠.....
- ٢- حكمة الله: ١٧١.....
- ٣- صفة العلو: ١٧١.....
- ٤- الصفات الفعلية الاختيارية: ١٧٢.....
- رابعاً: توحيد الألوهية: ١٧٢.....
- ١- التبرك: ١٧٣.....
- خامساً: الإيمان بالملائكة: ١٧٣.....
- سادساً: الإيمان بالرسول: ١٧٤.....
- سابعاً: الإيمان باليوم الآخر: ١٧٤.....
- ثامناً: الإيمان بالقدر: ١٧٥.....

- ١٧٥.....: الإيمان بالغيب:
- ١٧٦.....: مسائل الأسماء والأحكام:
- ١٧٦.....: الحادي عشر تكفير الذنوب:
- ١٧٨.....: الثاني عشر: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:
- ١٧٨.....: ضرب الأمثال:
- ١٨٠.....: المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية -المطر والثلج والبرد-:
- ١٨٢.....: الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
- المبحث السابع: الريح والرياح**
- ١٨٣.....
- ١٨٤.....: الريح في اللغة والاصطلاح:
- ١٨٧.....: الدلائل العقدية للآية الكونية - الريح والرياح-:
- ١٨٨.....: أولاً: توحيد الربوبية:
- ١٨٩.....: ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:
- ١٨٩.....: صفة الرحمة:
- ١٩٠.....: ثالثاً: توحيد الألوهية:
- ١٩٢.....: رابعاً: الإيمان بالرسول:
- ١٩٤.....: خامساً: الإيمان باليوم الآخر:
- ١٩٥.....: سادساً: الإيمان بالقدر:
- ١٩٦.....: سابعاً: مسائل الأسماء والأحكام:
- ١٩٦.....: ثامناً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:
- ١٩٦.....: ضرب الأمثال:
- ١٩٨.....: المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الريح والرياح-:
- ٢٠٠.....: الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
- الفصل الثاني: الآيات الكونية الأرض**
- ٢٠٧.....

٢٠٨	المبحث الأول: الأرض
٢٠٣	تمهيد
٢٠٤	المبحث الأول: حركة الأرض
٢٠٤	الأرض في اللغة والاصطلاح:
٢٠٨	الدلائل العقدية للآية الكونية - حركة الأرض-:
٢٠٩	ثبات الأرض:
٢١٣	أولاً: وجود الله:
٢١٣	ثانياً: توحيد الربوبية:
٢١٤	ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:
٢١٤	١- التنزيه:
٢١٤	٢- صفة الكلام لله ﷻ:
٢١٥	رابعاً: توحيد الألوهية:
٢١٦	خامساً: الإيمان باليوم الآخر:
٢١٧	المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأرض-:
٢١٨	الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
٢١٩	المبحث الثاني: الجبال
٢٢٠	الجبل في اللغة والاصطلاح:
٢٢٤	الدلائل العقدية للآية الكونية - الجبال-:
٢٢٥	أولاً: توحيد الأسماء والصفات:
٢٢٥	١- التنزيه:
٢٢٥	٢- صفة التجلي ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى:
٢٢٧	ثانياً: توحيد الألوهية:
٢٢٨	الخشوع:

- ٢٢٨..... ثالثاً: الإيمان بالملائكة:
- ٢٢٩..... رابعاً: الإيمان بالكتب:
- ٢٣٠..... خامساً: الإيمان بالرسل:
- ٢٣١..... سادساً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٢٣٢..... سابعاً: الإيمان بالقدر:
- ٢٣٢..... ثامناً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:
- ٢٣٢..... ضرب الأمثال:
- ٢٣٣..... تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام:
- ٢٣٥..... المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الجبال -:
- ٢٣٦..... الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
- ٢٣٧..... **المبحث الثالث: الزلازل والخسوف والبراكين**
- ٢٣٨..... الزلازل في اللغة والاصطلاح:
- ٢٣٨..... الخسوف في اللغة والاصطلاح:
- ٢٤٠..... الدلائل العقدية للآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين -:
- ٢٤١..... أولاً: توحيد الربوبية:
- ٢٤٢..... ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:
- ٢٤٢..... ١- صفة الرحمة:
- ٢٤٣..... ٢- العدل:
- ٢٤٣..... ثالثاً: توحيد الألوهية:
- ٢٤٥..... رابعاً: الإيمان بالرسل:
- ٢٤٥..... خامساً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٢٤٦..... سادساً: الإيمان بالقدر:
- ٢٤٨..... المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين -:

٢٥١	المبحث الرابع: البحار والأنهار
٢٥٢	البحر في اللغة والاصطلاح:
٢٥٢	النهر في اللغة والاصطلاح:
٢٥٥	الدلائل العقدية للآيات الكونية - البحار والأنهار-:
٢٥٦	أولاً: توحيد الربوبية:
٢٥٨	ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:
٢٦٤	١- العلم:
٢٦٥	٢- صفة الكلام:
٢٦٠	ثالثاً: توحيد الألوهية:
٢٦١	١- القسم:
٢٦٢	رابعاً: الإيمان بالرسول:
٢٦٣	خامساً: الإيمان باليوم الآخر:
٢٦٥	سادساً الإيمان بالقدر:
٢٦٦	سابعاً: مسائل على الإيمان:
٢٦٦	تكفير السيئات:
٢٦٦	ثامناً: الجن:
٢٦٧	تاسعاً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:
٢٦٧	ضرب الأمثال:
٢٦٩	المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار-:
٢٧١	الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
٢٧٣	المبحث الخامس: الليل والنهار
٢٧٤	الليل والنهار في اللغة والاصطلاح:
٢٧٥	الدلائل العقدية للآيات الكونية - الليل والنهار-:

- أولاً: توحيد الربوبية: ٢٧٦
- ثانياً: توحيد الأسماء والصفات: ٢٧٨
- ١- العلم: ٢٧٨
- ٢- صفة العلو: ٢٧٨
- ٣- صفة اليد وبسطها: ٢٧٩
- ٤- صفة النزول: ٢٧٩
- ثالثاً: توحيد الألوهية: ٢٧٩
- ١- الاستعاذة: ٢٨١
- ٢- القسم: ٢٨٢
- خامساً: الإيمان بالملائكة: ٢٨٣
- سادساً: الإيمان بالكتب: ٢٨٤
- سابعاً: الإيمان بالرسول: ٢٨٥
- ثامناً: الإيمان باليوم الآخر: ٢٨٦
- تاسعاً: مسائل الأسماء والأحكام: ٢٨٧
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الليل والنهار-: ٢٨٩
- الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية: ٢٩٠
- المبحث السادس: الحياة والموت** ٢٩١
- الحياة والموت في اللغة والاصطلاح: ٢٩٢
- الدلائل العقدية للآيات الكونية - الحياة والموت-: ٢٩٧
- أولاً: وجود الله: ٢٩٩
- ثانياً: توحيد الربوبية: ٣٠٠
- ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ٣٠٢
- ١- التسبيح: ٣٠٢
- ٢- العلم: ٣٠٣

- ٣- المحيي والمميت: ٣٠٤
- ٤- اليد: ٣٠٥
- ٥- التردد: ٣٠٥
- رابعاً: توحيد الألوهية: ٣٠٦
- ١- فضل التوحيد: ٣٠٨
- ٢- الاستعاذة: ٣٠٨
- خامساً: الإيمان بالملائكة: ٣٠٨
- سادساً: الإيمان بالكتب: ٣١٠
- سابعاً: الإيمان بالرسول: ٣١١
- ثامناً: الإيمان باليوم الآخر: ٣١٣
- تاسعاً: الإيمان بالقدر: ٣١٥
- عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال: ٣١٦
- ١- ضرب الأمثال: ٣١٦
- ٢- استخدام الألفاظ الشرعية: ٣١٧
- الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام: ٣١٧
- المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت-: ٣١٩
- الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية: ٣٢٢
- المبحث السابع: النوم** ٣٢٣
- النوم في اللغة والاصطلاح: ٣٢٤
- الدلائل العقدية للآية الكونية - النوم-: ٣٢٥
- أولاً: وجود الله: ٣٢٦
- ثانياً: توحيد الربوبية: ٣٢٧
- ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات: ٣٢٨
- ١- نفي السنة والنوم عن الله ﷻ: ٣٢٨

- ٣٢٩ ٢- رؤية الله ﷻ في المنام:
- ٣٣٠ رابعاً: توحيد الألوهية:
- ٣٣١ خامساً: الإيمان بالملائكة:
- ٣٣٢ سادساً: الإيمان بالرسول:
- ٣٣٢ ١- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:
- ٣٣٢ ٢- رؤية النبي ﷺ في المنام:
- ٣٣٣ ٣- رؤيا الأنبياء وحي:
- ٣٣٣ ٤- الرؤيا الصالحة:
- ٣٣٤ سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٣٣٥ ثامناً: صفة الشيطان:
- ٣٣٧ المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النوم-:
- ٣٣٩ الأحاديث الموضوعية والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:
- ٣٤٠ **المبحث الثامن: النباتات**
- ٣٤١ النبات في اللغة والاصطلاح:
- ٣٤٣ الدلائل العقدية للآية الكونية - النبات-:
- ٣٤٤ أولاً: توحيد الربوبية:
- ٣٤٦ البركة:
- ٣٤٦ ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:
- ٣٤٦ ١- كلام الله:
- ٣٤٧ ٢- التسبيح:
- ٣٤٨ ثالثاً: توحيد الألوهية:
- ٣٤٩ رابعاً: الإيمان بالملائكة:
- ٣٥٠ خامساً: الإيمان بالكتب:
- ٣٥١ سادساً: الإيمان بالرسول:

- ٣٥٢ سابعاً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٣٥٤ ثامناً: الإيمان بالقدر:
- ٣٥٦ تاسعاً: منزلة الصحابة:
- ٣٥٧ عاشراً: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:
- ٣٥٧ ضرب الأمثال:
- ٣٥٩ الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام:
- ٣٦١ المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النبات -:
- ٣٦٣ **المبحث التاسع: الأمراض**
- ٣٦٤ المرض في اللغة والاصطلاح:
- ٣٦٧ أولاً: توحيد الربوبية:
- ٣٦٧ ثانياً: توحيد الأسماء والصفات:
- ٣٦٨ ١ - نفي الشر عن الله:
- ٣٦٨ ٢ - العلو:
- ٣٦٩ ٣ - الشافي:
- ٣٦٩ ٤ - الطيب:
- ٣٧٠ ثالثاً: توحيد الألوهية:
- ٣٧٠ ١ - التوكل:
- ٣٧١ ٢ - الدعاء:
- ٣٧٢ رابعاً: الإيمان بالملائكة:
- ٣٧٢ خامساً: الإيمان بالرسول:
- ٣٧٣ سادساً: الإيمان باليوم الآخر:
- ٣٧٣ سابعاً: الإيمان بالقدر:
- ٣٧٤ ثامناً: النهي عن التفرق:
- ٣٧٦ المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض -:

